



مسيج

مكتبة

لح
ش
ي
ب



فرانك هربرت
ترجمة: د. محمد نجيب

مسیح
کتاب

مسيح

كثيب

DUNE

MESSIAH

فرانك هربرت

FRANK HERBERT

ترجمة: د. محمد نجيب

دار كلمات للنشر والتوزيع

بريد إلكتروني:

Dar_Kalamat@hotmail.com

الموقع الإلكتروني:

www.kalamat.com

Published by arrangement with Herbert Properties LLC.

Copyright © 1969 by Frank Herbert

مكتبة

t.me/soramnqraa

ردمك: 978-9921-768-64-0

4 6 2023

مسيح
كثيب

DUNE
MESSIAH

فرانك هيربرت
FRANK HERBERT

ترجمة
د. محمد نجيب

مكتبة | 1192

2022

//kalamat

تمهيد

غرابة كثيب

لقد فرضوا الألوهية على المؤدّب. والآن يقاتلون لتدميره. وفي كل الاحتمالات المستقبلية الوفيرة، لم ير المؤدّب مكاناً من أجل پول آترديز، الإنسان!

كثيب، كوكب أركس، عالم فحل من صحارٍ عظيمة حيث تتراعى الحياة مستحيلة تقريباً. كيّف الفرمن شبه الرُحل جميع عاداتهم مع ندرة المياه، وخاضوا في الصحارى مرتدين بذلات تقطير، تستعيد كل الرطوبة. وحيث شكّلت الديدان الرملية العملاقة والعواصف الوحشية تهديداً مستمراً لهم. كان المورد الوحيد لكثيب هو المزاج، عقار يسبب الإدمان تنتجه الديدان الرملية. ساعد هذا «الاسپايس» على إطالة العمر، وأعطى بعض القدرة للبارعين على التنبؤ بالمستقبل. مكتبة .. سرّ من قرأ كان پول آترديز نجل حاكم كثيب. عندما قُتل والده في حرب مع خصومه، النبلاء الهراكنة، فرّ پول إلى الصحراء برفقة صديقه ومعلمه دانكن آيداهو، وأمه الحامل الليدي چيسيك التي تدرّبت على يد البني چيسيرت -منظمة نسائية مكرّسة للفنون العقلية، والتحكم في السلالات الجينية. وفقاً لهن، كان پول من السلالة المفترض أن تمنحهم «الكويزاتس هاديراك»، مسيح المستقبل. قُتل دانكن آيداهو في أثناء إنقاذ پول ووالدته.

صارع پول طريقه من أجل أن يحظى بقبول الفرمن، وتعلم السيطرة على ديدان الرمال وركوبها. في إحدى طقوسهم، اضطر إلى تناول جرعة مفرطة من الاسپايس، وأحدث هذا تغييرًا دائمًا فيه، بحيث بات قادرًا على اكتساب رؤى المستقبل -أو بالأحرى احتمالات مستقبلية عديدة. تناولت والدته أيضًا جرعة زائدة، في محاولة منها للتغلب على تأثير المزاج في أساليب النبي جيسيرت. ونتيجة ذلك، صارت أخت پول، عالية، على دراية بكل معرفة والدتها وهي لا تزال داخل الرحم، وكاملة الإدراك عند الولادة.

في ثانيا ذلك، صار پول زعيم الفرمن بإجماع منهم. وتزوج الفتاة الفرمنية تشاني، وتبنى معظم عادات الفرمن، لكن عقله الذي تدرب على مهارات مجهولة لهم، منحهم تنظيمًا ومهمة لا عهد لهم بها من قبل. كما خطط پول لتغيير مناخ كثيب، وجلب المياه إلى الكوكب.

في المعاهدة التي فرضها پول بعد انتصاره، حاز أساسًا للسلطة مكَّنه والفرمن من البدء ببناء إمبراطورية نجمية، كثيب مركزها. كما اتخذ وريثة هاركونن، الأميرة إيرولان، قرينته رغم رفضه إتمام الزواج، وظل مخلصًا إلى حظيته تشاني.

في الاثنتي عشرة سنة التالية، أنشأ إمبراطوريته وأطلق جهاده.

ولكن الآن أخذت كل جماعات القوى القديمة تتحد وتتآمر ضده، وضد أسطورة المؤدب، كما يُدعى.

مقتطفات من حوار زنزانة الإعدام مع «برونسو» من كوكب إيكس:
س: ما الذي قادك إلى اتباع النهج الذي اتبعته لدراسة تاريخ
المؤدّب؟

ج: لَمْ عَلَيَّ الإجابة عن أسئلتك؟

س: لأنني سأصون كلماتك.

ج: آهة! الإغراء المطلق لأي مؤرخ!

س: سوف تتعاون إذا؟

ج: لَمْ لَّا؟ لكنك لن تفهم أبدًا ما ألهمني لكتابة «تحليل التاريخ».
أنتم، أيها الكهنة لديكم الكثير جدًا حتى تخاطروا ب..

س: جربني.

ج: أجريك؟ حسنًا، مجددًا.. لَمْ لَّا؟ كنت سجينًا لضحالة
الرؤية الشائعة عن هذا الكوكب، رؤية تتبع من اسمه المشهور:
كثيب. ليس أراكس، لاحظ، بل كثيب. التاريخ مهووس بكثيب كونه
صحراء، مهد الفرمن. مثل هذا التاريخ يركز على العادات التي
تتجاوز شح المياه، وحقيقة أن الفرمن قادوا حياة شبه بدوية في
بذلات التقطير التي تستعيد معظم رطوبة أجسامهم.

س: أهذه الأشياء غير صحيحة إذا؟

ج: حقيقة سطحية. مجرد قشور. وتتجاهل أيضًا ما يكمن
تحت ذاك السطح. ذلك أشبه.. أشبه بمحاولة فهم كوكبي كوكب
إيكس دون استكشاف كيف اشتقنا تسميتنا له من حقيقة أننا
الكوكب التاسع لشمسنا. لا، لا. ليس كافيًا رؤية كثيب على أنه
مكان عواصف متوحشة. وليس كافيًا الحديث عن التهديد الذي
تُشكِّله الديدان الرملية العملاقة فحسب.

س: لكنّ مثل هذه الأشياء أساسيةٌ لهوية أراكس!

- أساسية؟ بالطبع. لكنها تُنتج كوكبًا أحادي المنظور بالطريقة نفسها التي تعتبر كثيب كوكبًا أحادي المنتج، لأنه المصدر الوحيد والحصري للاسپايس؛ المزاج.

س: أجل، فلنستمع إليك وأنت تتناول على الاسپايس المقدس.
ج: المقدس! مثل كل الأشياء المقدسة، يُعطي بيد، ويؤخذ بالأخرى. يُطيل الحياة ويسمح للبارع باستقراء مستقبله لكن يقيد به بإدمان قاسٍ لا فكاك منه، ويوسم عينيه تمامًا كما أن عينيك موسومتان: تامتا الزرققة دون أي بياض. عيناك، المسؤولتان عن الإبصار، تصيران شيئًا واحدًا دون تباين، تغدوان منظرًا أحاديًا.

س: هرطقة مشابهة ما أودت بك إلى هذه الزنزانة!

ج: بل جلبني كهنتك إلى هذه الزنزانة. ومثلما يحدث مع كل الكهنة تعلمت أنت أن تُسمّي الحقيقة «هرطقة».

س: أنت هنا لأنك تجرأت وقلت إن پول آتريديز قد فقد شيئًا جوهريًا من إنسانيته قبل أن يتمكن من أن يصبح المؤدّب.

ج: هذا دون التطرق إلى خسارته والده هنا في حرب الهراكنة أو موت دانكن أيدهو الذي ضحى بنفسه حتى يتمكن پول والليدي جيسيكا من الفرار.

س: تهكمك أخذًا بالحسبان.

ج: تهكم!؟ ذلك، بلا ريب، جريمة أفظع من الهرطقة. لكن، كما ترى، أنا لست مُتهكّمًا حقًا. أنا مجرد مُراقبٍ ومُعلّق. أرى نُبلاً حقيقيًا في پول إذ فرَّ إلى الصحراء برفقة أمه الحبلى. بالطبع، كانت عونًا عظيمًا، وعبئًا أيضًا.

س: العيب فيكم أيها المؤرخون، لا تتركون الصالحين بما يكفي وشأنهم. ترى نبلاً حقيقياً في جلاله المؤدّب، بيد أنك لا بد من أن تُلحق ذلك بتذييل استهزائي. لا استغراب إذاً أنّ البني جيسيرت قد ندّدن بك.

ج: وأنتم أيها الكهنة، تبدلون قصارى جهدكم للاتحاد مع أخوية البني جيسيرت من أجل قضية مشتركة. هنّ، أيضاً، ينجين بالتكم على ما يفعلنه. لكن لا يسعهن إخفاء حقيقة أن الليدي جيسيكاً كانت مُتبناة منهن وقد تلقت تدريب البني جيسيرت. تعرف أيضاً أنها درّبت ابنها وفقاً لأساليب الأخوية. جريمتي مناقشة هذا على أنه ظاهرة، والاستفاضة في شرح فنونهن الذهنية وبرنامجهن الجيني. أنتم لا تبغون تسليط الضوء على حقيقة أن المؤدّب كان أمل أخوية البني جيسيرت في المسيح المتيمّ، هو الكويزاتس هاديراك الذي سعين إليه قبل أن يكون نبيكم.

س: لو راودتني أي شكوك حيال حكم إعدامك، فقد بدّدتها بكلامك هذا.

ج: يمكنني الموت مرة واحدة فقط.

س: ثمّة ميات، وثمّة ميات أخرى.

ج: احذر أن تجعل مني شهيداً. لا أحسب أن المؤدّب.. أخبرني،

هل يعرف المؤدّب بما تقترفونه في تلك الزنازين؟

س: لا تُزعج العائلة المقدسة بالتفاهات.

ج (ضاحكاً): ولأجل هذا، صارع پول آتريديز حتى يكون مشكاة

بين الفرمن! لأجل هذا، تعلم أن يتحكم في الديدان الرملية ويركبها! كان خطأ أن أجيب عن أسئلتك.

س: لكنني سألتزم وعدي بأن أصون كلماتك.

ج: هل ستفعل حقًا؟ إذا استمع إليّ بحرص، أنتم الفرمن تتفسخون، أنت أيها الكاهن، لا إله لك سوى ذاتك! لديك الكثير لتجيب عنه. كان طقسًا فرمنيًا ما أعطى پول جرعته الضخمة الأولى من المزاج، ومن ثم أنار بصيرته على رؤى لمشاهد من مستقبله. كان طقسًا فرمنيًا ما أيقظ المزاج من خلاله عالية غير المولودة بعد داخل رحم الليدي چيسيكا. هل فكرت مليًا ماذا كان يعني لعالية أن تُولد في هذا الكون، كاملة الإدراك، ومُمتلكة كل ذكريات أمها ومعرفتها؟ لا اغتصاب يمكن أن يكون أكثر هولًا.

س: لولا المزاج المقدس، ما كان المؤدّب ليغدو قائد كل الفرمن. لولا تجربتها المبجّلة، ما كانت عالية لتكون عالية. ج: بل لولا شراسة الفرمن العمياء، ما كانت لتصبح أنت كاهنًا. آه، أعرفكم أيها الفرمن. تعتقدون أن المؤدّب ملككم لأنه تزوج بتشاني، لأنه تبنى عادات الفرمن. لكنه كان آترديز أولاً، وتدرّب على يد بارعة من البني چيسيرت. امتلك مهارات غير معروفة تمامًا لكم. حسبتم أنه قد جلب إليكم تنظيمًا ومهمة جديدة، ووعد أن يُحيل كوكبكم الصحراوي إلى جنة غنية بالمياه. وفي حين أدهشكم بمثل تلك الرؤى، جردكم من عذريتكم!

س: مثل هذه الهرطقة لا تغير حقيقة أن التحول البيئي لكثيب قد مضى قُدّمًا.

ج: وأنا ارتكبت «هرطقة» بتتبع جذور ذلك التحول، واستكشاف توابعه. تلك المعركة هناك التي دارت رحاها في سهول أراكس ربما علّمت الكون أن بإمكان الفرمن أن يحققوا الهزيمة بالساردوكار

التابعين للإمبراطور، لكن ماذا علّمت المعركة أيضًا؟ حين صارت الإمبراطورية النجمية لآل كورينو إمبراطورية فرمونية تحت حكم المؤدّب، ماذا أيضًا أصبحته الإمبراطورية؟ جهادكم استغرق فقط اثنتي عشرة سنة لكن أي درسٍ علّمنا الآن، الإمبراطورية تفهم زيف زواج المؤدّب بالأميرة إيرولان!

س: كيف تجرؤ على اتهام المؤدّب بالزيف!

ج: رغم أنكم ستقتلونني على ذلك، فإنها ليست هرطقة. الأميرة غدت قرينته، وليست زوجته. تشاني، محبوبته الفرمنية الشابة- هي خليلته. الجميع يعرف ذلك. إيرولان كانت المفتاح إلى العرش، ولا شيء آخر.

س: من السهل رؤية لماذا يستخدم أولئك المتآمرون ضد المؤدّب كتابك «تحليل التاريخ» كحجتهم المؤازرة!

ج: لن أقنعك، أعرف ذلك. لكن حجة المؤامرة سبقت كتابي. اثنتا عشرة سنة من جهاد المؤدّب خلقت الحجة. ذلك ما وحد مجموعات القوى العريقة، وأوقد المؤامرة ضد المؤدّب.

مخزون بالغ الثراء من الأساطير يكتنف پول المؤدّب، الإمبراطور المنتات، وشقيقته عالية، بحيث يصعب رؤية الأشخاص الحقيقيين وراء الحُجُب. بيد أنه كان هناك، في نهاية المطاف، رجل مولود باسم پول آترديز، وامرأة مولودة باسم عالية. لهما كان عرضة للمكان والزمن. ورغم أن قواهما التنبؤية قد نأت بهما عن الحدود المعتادة للزمن والمكان، فقد انحدرتا من الجذر البشري. وخبراً أحداثاً حقيقية خلّفت آثاراً فعلية على العالم الحقيقي. ولفهمهما، لا مناص من رؤية أن كارثتهما كانت كارثة البشرية جمعاء. ومن ثمّ هذا العمل مُهدى ليس إلى المؤدّب أو شقيقته، لكن إلى ورثته، إلينا جميعاً.

إهداء في «فهرس المؤدّب»

كما نُسخ من الطلبة التذكارية لطائفة «روح المهدي»

أفرز الحكم الإمبراطوري للمؤدّب مؤرّخين أكثر من أي عصر في تاريخ البشرية. معظمهم ناقش وجهة نظر محددة، غيورة ومتعصّبة، عن التأثير الغريب لهذا الرجل، الذي استثار مثل تلك العواطف الجياشة في عوالم شتى.

بالطبع، شمل ذلك الرجل مقومات التاريخ، المثالي فعلاً، الذي عُدّ مثاليًا. هذا الرجل، المولود باسم پول آترديز، في عائلة كبرى عريقة، تلقى تدريب الپرانا-بيندو العميق على يد الليدي

جيسيكَا، أمه النبي جيسيرتية، وامتلك من خلال هذا، تحكماً فائقاً على العضلات والأعصاب. ولكن أكثر من ذلك، كان منتاتاً، عقلاً يفوق عقول الكومبيوترات الميكانيكية المحظورة دينياً التي استخدمها القدماء.

وفوق كل شيء آخر، كان المؤدّب «الكويزاتس هاديراك» الذي سعى وراءه برنامج تناسل أخوية النبي جيسيرت عبر آلاف الأجيال.

الكويزاتس هاديراك، إذاً هو «القادر على أن يوجد في أماكن عدّة في الوقت نفسه». هذا النبي، هذا الرجل الذي تمت النبي جيسيرت من خلاله أن يسيطر على مصير البشرية- هذا الرجل أصبح الإمبراطور المؤدّب، وعقد زواج نفعي مع ابنة الإمبراطور الپاديشاه الذي هزمه.

عندما تفكرون في المفارقة، لا بد أنكم ترون الفشل مُضمراً في ثايا هذه اللحظة، إذ أنكم بالتأكيد قرأتم صوراً أخرى شتى للتاريخ، وتعرفون الحقائق السطحية. في الواقع سحق فرمن المؤدّب الأشاوسة الإمبراطور الپاديشاه شادام الرّابع. أطاحوا بفيالق السّاردوكار، والقوات المتحالفة من العائلات الكبرى وجيوش الهراكنة، والمرتزقة الذين أُشْتروا بالمال الذي صوّت عليه في مجلس اللانديسراد. أركّع پول نقابة الفضاء له، ووضع شقيقته، عالية، على العرش الديني الذي ظنت النبي جيسيرت أنه ملكهن. فعل كل تلك الأشياء، وأكثر.

مبشرو الكِزارة التابعة للمؤدّب شنوا حربهم الدينية عبر الفضاء في جهاد دام زخمه الرئيس اثنتي عشرة سنة بحساب

التقويم القياسي الموحد. لكن، في أثناء ذلك، أخضع الاستعمار الديني العالم البشري - ما عدا جزءاً يسيراً - منه تحت حكم واحد.

فعل المؤدّب ذلك لأن إحكام قبضته على أركاس، ذلك الكوكب المعروف بكثيب، منحه احتكاراً مطلقاً على العملة الأعلى في المملكة - اسپايس الشيوخوخة؛ المزاج، السم الذي يهب الحياة. هنا عنصر آخر للتاريخ المثالي: مادة فكّ تركيبها الكيميائي الخارق طلاسّم الزمن. من دون المزاج، لا تستطيع أمهات طائفة البني جيسيرت الموقرات أداء مآثرهن في المراقبة، والسيطرة على البشر. ومن دون المزاج، لا يمكن لرجال توجيه النقابة التقل عبر الفضاء. من دون المزاج، سيموت المليارات والمليارات من المواطنين الإمبراطوريين بسبب الانسحاب الإدماني.

ومن دون المزاج، ما استطاع پول المؤدّب أن يكون نبياً. نحن نعلم أن لحظة القوة العظمى هذه تضمنت في ثناياها الفشل. لا يمكن أن تكون هناك سوى إجابة واحدة دقيقة تماماً كما أن التنبؤ الكامل مُميت.

تقول روايات تاريخية أخرى أن المؤدّب هُزم على يد متآمرين واضحين - النقابة، وأخوية البني جيسيرت، وغير الأخلاقيين العلميّين من البني تليلاكس من خلال قدرات راقصي الوجوه التليلاكسو على التكر. تشير روايات أخرى إلى الجواسيس من الفرمن الذين اعتبرهم المؤدّب أقاربه. استغلوا إلى أقصى حد بطاقات «تاروت كثيب» التي شوشت على قدرات المؤدّب التنبئية. يُشير البعض إلى كيف أُجبر المؤدّب على قبول خدمات غولة، إذ

بُعِثَ جَسَدٌ مِنْ بَيْنِ الْمَوْتَى، وَدُرِّبَ حَتَّى يَدْمُرَهُ. لَكِنْ بِالتَّأَكِيدِ لَا بَدَّ
أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ هَذَا الْغَوْلَةَ كَانَ دَانَكُنْ آيْدَاهُو، الْمَلَازِمُ الْآتْرِيدِيْزِي
الَّذِي هَلَكَ وَهُوَ يَنْقِذُ حَيَاةَ الشَّابِّ پُولِ.

مَعَ ذَلِكَ، وَصَفُوا بِدَقَّةٍ مَكِيدَةٍ الْكِزَارَةَ بِقِيَادَةِ كُرْبَةِ الْمَدَّاحِ.
أَخَذْنَا خَطْوَةً بِخَطْوَةٍ عَبْرَ خُطَّةٍ كُرْبَةٍ لِجَعْلِ الْمُوَدَّبِ شَهِيدًا،
وَالْقَاءِ اللَّوْمِ عَلَى تَشَانِي، الْحِظِيَّةِ الْفَرْمَنِيَّةِ.

كَيْفَ يُمْكِنُ لِأَيِّ مِنْ هَذَا أَنْ يَفْسِرَ الْحَقَائِقَ كَمَا كَشَفَهَا التَّارِيخُ؟
لَا يُمْكِنُهُ ذَلِكَ. فَقَطْ مِنْ خِلَالِ الطَّبِيعَةِ الْقَاتِلَةِ لِلنَّبِؤَةِ يُمْكِنُنَا أَنْ
نَفْهَمَ فَشَلَ مِثْلِ هَذِهِ الْقُوَّةِ الْجِبَارَةِ وَالْبَعِيدَةِ النَّظَرِ.

نَأْمَلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمُوَرِّخُونَ الْآخَرُونَ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْكَشْفِ.

مِنْ كِتَابِ «تَحْلِيلُ التَّارِيخِ: الْمُوَدَّبُ»

لِمُؤَلِّفِهِ «بَرُونَسُو» مِنْ إِيكْسِ

لا انفصال بين الآلهة والبشر؛ أحدهما ينصهر
في الآخر على نحو عرضي سلس.

من كتاب «أقوال المؤدّب»

رغم الطبيعة القاتلة للمؤامرة التي تمنى أن يحيكها، فإن أفكار
سايٲل، راقص الوجه التليلاكسو كانت تُقضي مرارًا إلى شفقة
مؤسفة.

أخبر نفسه: لسوف أندم على تسببي في الموت والبؤس
للمؤدّب.

أبقى هذه الرحمة مخبأة بحرص عن رفاقه المتآمرين. مثل
تلك المشاعر أخبرته، مع ذلك، أنه يجد التماهي مع الضحية
أسهل من التماهي مع المعتدين- شيء يتسم به التليلاكسو.
وقف سايٲل في صمت مرتبك، بعيدًا إلى حد ما عن الآخرين.
كان الجدال حول السم النفسي مستمرًا لبعض الوقت الآن. كان
نقاشًا نشطًا ومحتدًا، لكنه مهذب بالطريقة الإلزامية العمياء
التي لطالما تبناها البارعون من المدارس العظمى بخصوص
الأمور القريبة إلى مذهبهم.

«عندما تظن أنك طعنته، حينها بالضبط، سوف تجده خاليًا
من أي جروح!»

كانت تلك هي الأم الموقرة العجوز لليني چيسيرت، جايس
هيلين موهيم، مضيفتهم هنا في كوكب والاك 9. كانت كائنًا نحيلًا
ترتدي عباءة سوداء، ساحرة عجوز تجلس في مقعد طافٍ على

يسار سايتل. قلنسوة عباءتها الملقاة إلى الورا كسفت وجهًا
خشناً أسفل شعر فضي. وعينان غائرتان في محجريهما تحدقان
من ملامح أشبه بالقناع-الجمجمة.

كانوا يستخدمون لغة ميراباسا، حروف ساكنة سُلامية مسنونة،
وحروف متحركة متصلة.

كانت أداة لنقل خبايا العاطفة الدقيقة. أجاب إدريك، رجل
توجيه النقابة، على الأم الموقرة الآن بانحناء صوتية مُتضمنة في
ابتسامة ساخرة- لمسة لطيفة من تأدب مترفع.

نظر سايتل إلى مبعوث النقابة. سبح إدريك في حاوية تمتلئ
بغاز برتقالي على مبعده خطوات قليلة منه. حاويته تقبع في
مركز القبة الشفافة التي بنتها البني چيسيرت من أجل هذا
الاجتماع خصيصي. كان رجل النقابة كائنًا مستطالاً شبيهاً
بالبشر على نحو مبهم، بقدمين زُعنفيتين، وأيدٍ غشائية مروحية
الشكل، بأصابع طويلة متباعدة- سمكة في بحر غريب. تتبعث
من فتحات تهوية حاويته سحابة برتقالية شاحبة زاخرة برائحة
اسپايس الشيوخوخة، المزاج.

«لو مضينا في هذا الطريق، فسنموت من الحماقة!»

كان المتحدث الآن الشخص الرابع الحاضر، العضو المحتمل
في المؤامرة- الأميرة إيrolان، زوجة عدوهم المشترك (ذُكر
سايتل نفسه: لكنها ليست خليلته). وقفت عند ركن حاوية إدريك،
جميلة شقراء وفارعة الطول وبهية في رداء من فرو حوت أزرق،
وقبعة متماشية معه. لمعت أزرار ذهبية فوق أذنيها. تتصرف
بشموخ جدير بأرستقراطية، لكن نعومة تشرت بها ملامحها
تُظهر ضوابط خلفيتها البني چيسيرتية.

تحول ذهن سايتل من فروق اللغة والوجه الدقيقة إلى تفاصيل المكان. تنتشر حول القبة تلال مكسوة بثلج ذائب، يعكس الزُرقة الرطبة عن الشمس الصغيرة، البيضاء المخضبة بالأزرق، المتدلية ساعة الزوال.

تعجب سايتل: لماذا هذا المكان بالتحديد؟ قلما فعلت النبي جيسيرت أي شيء اعتباطياً. خذ مثلاً خطة القبة المفتوحة: مساحة تقليدية وضيقة أكثر كانت ربما لتصيب رجل النقابة بعصية رهاب الأماكن المغلقة. كانت الحوائل في نفسية ملاح النقابة ناجمة عن الولادة والحياة خارج الكواكب في الفضاء المفتوح.

غير أن بناء هذا المكان خصوصاً من أجل إدريك- يا له من إصبع حادة موجهة إلى نقطة ضعفه.

تساءل سايتل: ما الشيء الموجه هنا إليّ-أنا؟

طالبت الأم الموقرة: «أليس لديك أي شيء لتقوله، يا سايتل؟»
سأل سايتل: «أترغبين في توريطي في صراع الحمقى هذا؟»
ثم أردف: «حسنًا. نحن نتعامل مع مسيح مُحتمل. لا تشني هجومًا مباشرًا على شخص مثله. استشهاده سوف يهزمننا.»
حدقوا جميعاً إليه.

سألته الأم الموقرة، صوتها يزار: «تحسب أن ذلك هو الخطر الوحيد؟»

هز سايتل كتفيه. اختار مظهرًا غير مميز، بوجه مستدير من أجل هذا الاجتماع، ملامح طريفة وشفتان كاملتان ماسختان وجسم قصير مكترز. خطر له الآن، في حين يتفرس رفاقه

المتأمرين أنه قد اتخذ خيارًا مثاليًا- مدفوعًا بالفريزة غالبًا. وحده في هذه المجموعة يمكنه أن يتلاعب بمظهره المادي عبر طيف واسع من الأشكال والملامح الجسدية. كان حرياء بشرية؛ راقص وجه، والشكل الذي ارتداه الآن دعا الآخرين إلى الحكم عليه باستخفاف شديد.

قالت الأم الموقرة بالحاح: «حسنًا؟»

قال سايتل: «كنت أستمتع بالصمت. من الأفضل أن تُترك عداواتنا دون التصريح بها.»

تراجعت الأم الموقرة إلى الوراء، وشاهدها سايتل تعيد تقييمه. هن جميعًا نتاج تدريب الپرانا-بيندو، وقادرات على التحكم العصبي والعضلي الذي لا يبلغه سوى القليل من البشر. لكن سايتل، راقص وجه، ولديه روابط عضلية وعصبية لا يمتلكها غيره، علاوة على صبغة خاصة من السِمباتِكُو؛ بصيرة مقلّدة يمكن من خلالها تقمص نفسية أحدهم، وارتداء مظهر آخر. منحها سايتل ما يكفي من الوقت لاستكمال إعادة تقييمها له قبل أن يقول، «سُمّ!» نطق الكلمة بالنبرة التي تقول إنه وحده قد فهم معناها السري.

تحرك رجل النقابة، وتردد صوته عبر كرة مكبر الصوت المتلألئة التي تدور حول إحدى زوايا حاويته فوق إيرولان «نحن نناقش سُمًا نفسيًا، وليس سُمًا جسديًا.»

ضحك سايتل. بوسع ضحكة الميراباسا أن تسلخ خصمًا، وما عاد يكتف بداخله أي شيء الآن.

ابتسمت إيرولان في امتنان لكن حواف عيني الأم الموقرة كشفت عن مسحة خفيفة من الغضب.

جارت موهيم: «كف عن ذلك!»

توقف سايتل لكنه قد نجح في لفت انتباههم الآن؛ إدريك في ثورة صامتة، والأم الموقرة متيقظة بفعل غضبها، وإيرولان مستمتعة لكن حائرة.

قال سايتل: «يقترح صديقنا إدريك أن اثنتين من البني جيسيرت المدربتين على كل وسائل الأخوية الدقيقة، لم تتعلما الاستخدامات الحقيقية للخداع».

استدارت موهيم وأجالت عينيها إلى التلال الباردة لكوكب البني جيسيرت. أدرك سايتل: بدأت ترى شيئًا جوهريًا هنا. كان ذلك جيدًا. غير أن إيرولان كانت شأنًا آخر.

سأل إدريك، محددًا بعينه الضئيلتين الأشبه بعيون القوارض: «هل أنت واحد منا أم لا، يا سايتل؟»

قال سايتل: «ولائي ليس القضية». أبقى انتباهه على إيرولان. «أنت تتساءلين يا أميرة، إن كان هذا هو سبب قدومك كل تلك الفراسخ الفلكية، مخاطرة بالكثير؟»
أومأت موافقة.

سأل سايتل: «هل كانت من أجل تراشق الترهات مع سمكة شبيهة بالبشر أم التشاحن مع راقص وجه تليلاكسو سمين؟»
خطت إيرولان مبتعدة عن حاوية إدريك، هازة رأسها في ضيق من الرائحة الكثيفة للمزاج. انتهز إدريك تلك اللحظة ليقتذف قرص مزاج داخل فمه. لاحظ سايتل: لقد أكل إدريك المزاج، واستنشقه، وقطعًا شربه. ذلك مفهوم، إذ إن الاسپايس يضحّم قدرة ملاح النقابة على الاستبصار، ويعطيه المقدرة على توجيه

سفينة هايلاينر النقابة عبر الفضاء بسرعات عابرة للضوء. بفضل وعي الإسبايس، يستشرف ذلك المسار من مستقبل السفينة الذي يجنبه التصادم والهلاك. إدريك شمَّ نوعاً آخر من الخطر الآن، لكن قدرته الاستبصارية قد تعجز عن رؤيته.

قالت إيrolان: «أعتقد أن قدومي إلى هنا كان خطأ».

استدارت الأم الموقرة، وفتحت عينيها وأغمضتهما. إيماءة ماكرة مثيرة للفضول.

نقل سايتل ناظره من إيrolان إلى الحاوية، داعياً الأميرة إلى مشاركته وجهة نظره. عرف سايتل: سوف ترى إيrolان إدريك ككائن مُنْفَر بنظراته المخيفة، وقدميه ويديه مشوهة المنظر التي تتحرك بهدوء داخل الغاز، والتموج الدخاني للدوامات البرتقالية من حوله. ستتساءل عن عاداته الجسدية وتفكر في مدى غرابة النكاح مع كائن مثله. حتى المولد الذي أعاد خلق انعدام الوزن في الفضاء من أجل إدريك، من شأنه أن يعزز شعور الانفصال بينه وبينها الآن.

قال سايتل: «أميرتي، بسبب وجود إدريك هنا، فإن رؤية زوجك النبوية لا يمكنها التعثر بأحداث معينة، بما في ذلك هذا الاجتماع... كما يُفترض».

قالت إيrolان: «كما يُفترض».

أموات الأم الموقرة مغمضة عينيها، وقالت: «إن ظاهرة الاستبصار بالكاد يفهمها مبتدئوها».

قال إدريك: «أنا ملاح نقابة كامل، ولدي القدرة».

مجددًا فتحت الأم الموقرة عينها. هذه المرة، حدقت إلى راقص الوجه، وعيناها تتفحصانه بحدة البني چيسيرت العجيبة. كانت تزن أدق التفاصيل.

تمتم سايتل: «لا، أيتها الأم الموقرة، لست بسيطًا كما أبدو». قالت إيرولان: «نحن لا نفهم قدرة الرؤية الثانية هذه. هناك نقطة أود الاستفهام عنها. يقول إدريك إن زوجي لا يستطيع رؤية أو معرفة ما يحدث في دائرة تأثير الملاح أو توقعه. ولكن إلى أي مدى يمتد هذا التأثير؟»

قال إدريك، فمه الأشبه بالسمة يرسم خطأ رقيقًا في أثناء الكلام: «في عالمنا أشخاص وأشياء أعرفها فقط من خلال تأثيراتها، أعلم أنهم كانوا هنا... هناك... في مكان معين. مثلما تستثير المخلوقات المائية التيارات في أثناء مرورها، فإن المستبصر يستثير الزمن. رأيت أين كان زوجك غير أنني لم أراه قط ولا الأشخاص الذين يشاركونه أهدافه وولاءاته حقًا. هذا هو الإخفاء الذي يعطيه بارع في الاستبصار لمن هم ملكه.»

قال سايتل: «إيرولان ليست ملكك». ثم نظر جانبًا إلى الأميرة. قال إدريك: «كلنا نعرف أهمية وجودي من أجل تنفيذ المؤامرة.»

قالت إيرولان مستخدمة نمط الصوت لوصف آلة: «من الواضح أن لك استخداماتك.»

فكر سايتل: تراه الآن على حقيقته. جيد!

قال سايتل: «المستقبل شيء ينبغي تشكيكه. تمسكي بهذه الفكرة يا أميرة.»

ألقت إيرولان نظرة خاطفة إلى راقص الوجه. قالت: «الأشخاص الذين يشاركون بول أهدافه وولاءاته، الواثقين بفيالته الفرمنية، يرتدون عباءة إخفائه إذاً. رأيتهم يتبأ لهم، وسمعت هتافاتهم المُدهّنة من أجل مهديهم -مؤدّبهم».

فكر سايتل: لقد خطر ببالها، أنها تخضع للمحاكمة هنا، وأن حكمًا لا يزال يتعين إصداره عليها، من شأنه أن ينقذها أو يدمرها. إنها ترى الفخ الذي نصبناه لها.

للحظة تلاقت نظرات سايتل والأم الموقرة، وأدرك كشفًا غريبًا بأنهما تشاركا الفكرة نفسها حول إيرولان. بالطبع، أطلعت البني جيسيرت أميرتهن على كل المعلومات، وبرمجتها بالقدرة على كشف الكذب. لكن اللحظة تجيء دائمًا عندما يتعين على البني جيسيرتية أن تثق بشكل أعمى بتدريبيها وغرائزها.

قال إدريك: «يا أميرة، أعرف أكثر ما ترغبين في الحصول عليه من الإمبراطور».

سألت إيرولان: «من ذا الذي لا يعرفه؟»

قال إدريك كأنما لم يسمعها: «تتمنين أن تكوني الأم المؤسّسة للأسرة الملكية. لن يحدث ذلك إلا إذا انضمت إلينا. ثقي بكلمتي النبوية في هذا الأمر. تزوجك الإمبراطور لأسباب سياسية لكنك لن تشاركيه فراشه أبدًا».

قالت إيرولان باستهزاء: «إذا القدرة النبوية متلصصة أيضًا».

قال إدريك محتدًا: «الإمبراطور متزوج بحظيته الفرمنية أكثر من زواجه المزعوم بك!»

قالت إيرولان: «لكنها لا تمنحه أي وريث».

غمغم سايتل: «المنطق هو الضحية الأولى للعاطفة القوية».

شعر بتدفق غضب إيرولان، ورأى أن تحريضه يؤتي أُكله.

قالت إيرولان، صوتها هادئ: «لا تمنحه وريثًا لأنني أدس في طعامها مانع حملٍ خفيًا. هل هذا هو نوع الاعتراف الذي أردته مني؟»

قال إدريك مبتسمًا: «وهو شيء لن يكتشفه الإمبراطور».

قالت إيرولان: «لدي أكاذيب جاهزة له. قد يمتلك القدرة على كشف الحقيقة، لكن تصديق بعض الأكاذيب أسهل من تصديق الحقيقة».

قال سايتل: «يجب أن تختاري، يا أميرة، لكن عليك أن تفهمي ما الذي يحميك».

«بول منصف معي. أجلس في مجلسه».

سأل إدريك: «خلال الاثنتي عشرة سنة التي كنت فيها الأميرة قرينته، هل أظهر لك أدنى درجة من الدفاء؟»
هزت إيرولان رأسها.

قال إدريك: «أطاح الإمبراطور وجماعة الفرمن سيئة السمعة بوالدك، وتزوجك لتعزيد مطالبته بالعرش، ومع ذلك لم يتوجك إمبراطورة».

قال سايتل: «يحاول إدريك التأثير فيك بالعاطفة، يا أميرة. أليس هذا مثيرًا للاهتمام؟»

حملقت في راقص الوجه، ورأت الابتسامة الجريئة على ملامحه. ردت عليها برفع حاجبيها. كانت واعية تمامًا الآن، كما لاحظ سايتل، بحقيقة أنها لو غادرت هذا الاجتماع محمية بتأثير

إدريك باعتبارها جزءًا من مؤامراتهم، فقد تُحجَب هذه اللحظات عن رؤية پول النبوية. لكن لو انسحبت من الالتزام..
سأل سايتل: «هل يتراءى لك يا أميرة أن إدريك يمتلك سيطرة غير مُستحقة على مؤامرتنا؟»
قال إدريك: «لقد وافقتُ مسبقًا. سأحترم أفضل حكم يتخذه مجلسنا هنا».

سأل سايتل «ومن يختار أفضل حكم؟»
سأل إدريك: «هل تود أن تغادر الأميرة هنا دون الانضمام إلينا؟»

جأرت الأم الموقرة: «هو يتمنى أن يكون التزامها حقيقيًا. يجب ألا يكون هناك أي خداع بيننا».

رأى سايتل: إيرولان قد استرخت في وضعية تأمل، وكانت يداها مخبأتين في أكمام رداؤها. كانت تفكر الآن في الطعم الذي عرضه إدريك: تأسيس أسرة ملكية! وكانت تتساءل ما هو المخطط الذي دبره المتآمرون لحماية أنفسهم منها. لا بد أنها تزن أشياء عديدة في رأسها.

قالت إيرولان عائدة إلى الحاضر: «سايتل، يُقال إن لديكم نظام شرف عجيب حيث يجب أن يمتلك ضحاياكم دائمًا وسيلة هروب».

وافقها سايتل: «هذا لو استطاعوا العثور عليها».
سألت إيرولان: «هل أنا ضحية؟»
أفلتت ضحكة مجلجلة من سايتل.
ابتسمت الأم الموقرة بسخرية.

قال إدريك، صوته مُقنِعٌ وناغم: «يا أميرة، أنتِ واحدة منا بالفعل، لا تخافي من ذلك. ألا تتجسسين على البيت الإمبراطوري لصالح مشرفاتكِ من البني جيسيرت».

«بول يعرف أنني أنقل المعلومات إلى معلماتي».

سأل إدريك: «ولكن، ألا تعطينهن المعلومات لصنع دعاية قوية ضد إمبراطورك؟»

لاحظ سايتل: ليس «إمبراطورنا» بل «إمبراطورك». إن طبيعة إيرولان البني جيسيرتية لن تسمح لها بالتغافل عن تلك الزلة.

قال سايتل مقترئاً من حاوية رجل النقابة: «السؤال يتعلق بالقوى، وكيف يمكن استخدامها. نحن، التليلاكسو، نؤمن بأنه لا يوجد في الكون سوى الشهية النهمة للمادة. أن الطاقة هي المادة الصلبة الحقيقية الوحيدة. والطاقة تتعلم. اسمعيني جيداً يا أميرة: الطاقة تتعلم، وهذا، ما نسميه قوة».

قالت إيرولان: «لم تقنعوني أننا نستطيع هزيمة الإمبراطور».

قال سايتل: «لم نقنع أنفسنا حتى».

قالت إيرولان: «في كل حذب وصوب نلتفت إليه، قوته تواجهنا. أنه الكويزاتس هاديراك «الشخص القادر على أن يكون أماكن كثيرة في الوقت نفسه». هو المهدي الذي أهواؤه المحضة بمثابة أمر مطلق واجب التنفيذ إلى مبشري الكِزارة. هو المنتات، الذي يفوق عقله الحسابي أعظم الكومبيوترات القديمة. هو المؤدب الذي بأمر منه تخلي فيالق الفرمن الكواكب من سكانها. يمتلك رؤية نبؤية تستشرف المستقبل. ولديه ذلك النمط الجيني الذي نتوق إليه نحن البني جيسيرت...».

قاطعتها الأم الموقرة، «نعرف صفاته ونعرف أن الشنعة،
أخته عالية، تمتلك هذا النمط الجيني أيضاً. لكنهما أيضاً بشر،
كلاهما. وبالتالي لديهما نقاط ضعف».

سأل راقص الوجه: «وأين نقاط الضعف البشرية تلك؟ هلا
بحثنا عنها في الذراع الدينية لجهاده؟ هل يمكن أن ينقلب كزاره
الإمبراطور ضده؟ وماذا عن السلطة المدنية للبيوت الكبرى؟
وهل يستطيع مجلس اللانديسراد أن يفعل شيئاً أكثر من إثارة
ضجة كلامية».

قال إدريك مستديراً في حاويته: «أقترح الائتلاف المجري
لأقطاب التجارة الأشراف. تشوم تعني التجارة، والتجارة تتبع
الأرباح».

قال سايتل: «أو ربما والدة الإمبراطور. الليدي جيسيك، كما
أفهم، تمكث في كلادان، لكنها على تواصل مستمر بابنها».

قالت موهيم بصوت عالٍ: «العاهرة الخائنة، لو كان بوسعي
ذلك، لتبرأت من يدي اللتين دربتاهما».

قال سايتل: «تتطلب مؤامرتنا ورقة ضغط».

ردت الأم الموقرة عليه: «نحن أكثر من متآمرين».

وافقها سايتل: «آه، نعم، نحن نشيطون، ونتعلم بسرعة. وذلك
يجعل منا الرجاء الوحيد الحقيقي، الخلاص المؤكد للبشرية».
تحدث بنبرة اقتناع مطلق، وهو ما كان ربما السخرية المطلقة
لصدورها - وقد صدرت بالفعل- عن تليلاكسو.

فقط الأم الموقرة بدا أنها فهمت السخرية الضمنية في

كلامه. سألت موجهة سؤالها إلى سايتل: «لماذا؟»

قبل أن يستطيع راقص الوجه الإجابة، تتحنح إدريك، وقال: «دعونا لا نضيع وقتنا في هذا الهراء الفلسفي. كل الأسئلة يمكن تلخيصها في سؤال واحد: لماذا يوجد أي شيء؟» كل سؤال ديني أو تجاري أو حكومي له اشتقاق واحد: «من سيمارس السلطة؟» التحالفات، الائتلافات، التكتلات، كلهم يطاردون السراب ما لم ينطلقوا وراء السلطة. كل شيء آخر محض هراء، كما تدرك معظم الكائنات المفكرة».

هز سايتل كتفيه، إشارة مصممة فقط من أجل الأم الموقرة. إدريك أجاب عن سؤالها بالنيابة عنه. كان ذلك الأحمق الذي لا يستطيع أن يمسك لسانه، نقطة ضعفهم الكبرى. حتى يتأكد من أن الأم الموقرة قد فهمت، قال سايتل: «حتى يستمع المرء بإنصات إلى المعلم، فإنه يتطلب تعليمًا».

أومأت الأم الموقرة ببطء.

قال إدريك: «يا أميرة، احسمي خيارك. وقع الاختيار عليك أداةً للقدر، أرفع...».

قالت إيرولان: «ادخر مديحك لأولئك الذين يمكن استمالتهم به. ذكرت سابقًا شبحًا، عائدًا من الموت ربما نلوث به عقل الإمبراطور. اشرح هذا».

قال إدريك بزهو: «الأتريديزي سوف يهزم نفسه بنفسه!»

انفجرت إيرولان: «كف عن حديث الأحاجي. ما هذا الشبح؟»

«شبح غير عادي. له جسد واسم. الجسد - لحم خبير فنون النزال المعروف باسم دانكن آيداهو. الاسم...».

قالت إيرولان: «آيداهو ميت. پول يرثي خسارته كثيرًا في وجودي. شاهد آيداهو يموت على يد جنود الساردوكار التابعين لأبي».

قال إدريك: «حتى في الهزيمة، لم يتخل الساردوكار عن الحكمة. دعونا نفترض أن قائد ساردوكار حكيم، تعرف على خبير فنون النزال في جثة ذبحها رجاله. ماذا إذا؟ ثمة استخدامات لمثل هذا اللحم والتدريب... لو تصرف المرء بسرعة»..

همست إيرولان وهي تحيد بناظرها إلى سايتل: «غولة تليلاكسو».

عند ملاحظته اهتمامها، مارس سايتل قدرات راقص الوجه-شكل يتدفق داخل شكل، ولحم يتحرك ويُعدّل من ذاته. في اللحظة الآنية، وقف رجل نحيل أمامها. ظل الوجه بشكل ما مستديرًا لكن أكثر سُمرًا، وبملامح مسطحة قليلًا. عظام فك عالية تُشكّل رفوفًا لعينين بتفضنات محددة ما فوق المؤق⁽¹⁾. والشعر أسود فاحم متمرد.

قال إدريك مشيرًا إلى سايتل: «غولة بهذا المنظر».

سألت إيرولان: «أو ربما مجرد راقص وجه آخر؟»

«ليس راقص وجه. راقص الوجه يخاطر بانفضاح أمره تحت الرقابة الطويلة. لا، دعينا نفترض أن قائد الساردوكار الحكيم محل كلامنا، قد أمر بحفظ جثة آيداهو من أجل حاويات الإكسولوتل. لمَ لا؟ هذه الجثة تحتفظ بلحم وأعصاب أحد أرفع

(1) المؤق: طرف العين الذي يلي الأنف وهو مخرج الدمع من العين (المترجم).

المبارزين في التاريخ، ومستشار لآل آترديز، وعبقري عسكري. يا له من إهدار؛ خسارة كل ذلك التدريب والقوة في حين يُمكن إعادة إحيائه ليكون مُعلماً للساردوكار».

قالت إيرولان: «لم أسمع همسة واحدة عن هذا، وقد كنتُ من بين المقربين إلى أبي».

قال إدريك: «آه، لكن أباك كان رجلاً مهزوماً، وخلال ساعات قليلة، اضطر إلى بيعك إلى الإمبراطور الجديد».

طالبت: «هل تمّ الأمر؟»

قال إدريك بمسحة غرور جنونية: «دعونا نفترض أن قائد الساردوكار الحكيم، وقد عرف ضرورة السرعة، قد أرسل فوراً جسد آيداهو المحفوظ إلى بني تليلاكس. دعونا نتوسع في افتراضنا أن القائد ورجاله ماتوا قبل أن ينقلوا هذه المعلومة إلى أبيك -الذي ما كان بوسعه الاستفادة كثيرًا منها على أي حال. ستبقى عندئذ حقيقة مادية، شيء من لحم أُرسِل إلى التليلاكسو. ثمة طريقة واحدة لإرساله بالطبع، على متن هايلانير. نحن، في النقابة، نعرف بطبيعة الحال كنه كل حمولة ننقلها. عند علمنا بهذه الحمولة، ألم نكن لنفكر بمزيد من الحكمة في أن نشترى الغولة هديةً تليق بإمبراطور».

قالت إيرولان: «فعلتموها إذا».

قال سايتل الذي استعاد مظهره الأول، القصير والسمين: «كما يشير صديقنا الثرثار، فقد فعلناها».

سألت، «كيف كانت تهيئة آيداهو؟»

سأل إدريك رامقًا التليلاكسو بنظراته: «آيداهو؟ هل تعرف أي آيداهو يا سايتل؟»

«بعناكم مخلوقًا يُدعى حياة».

قال إدريك: «أهه، أجل- حياة. لماذا بعثونا إياه»

قال سايتل: «لأننا ربينا في سالف الأزمان كويزاتس هاديراك تليلاكسو».

بحركة سريعة من رأسها العجوز، رفعت الأم الموقرة ناظرها إليه، وقالت بنبرة اتهام: «لم نخبرنا بذلك».

قال سايتل: «لم تسألوني».

سألت إيرولان: «كيف تغلبتم على الكويزاتس هاديراك التليلاكسو؟»

قال سايتل، «كائن قضى حياته يخلق صورة محددة لشخصيته، سيفضل الموت على أن يصبح نقيضًا لتلك الصورة».

اقتحم إدريك الحديث: «لا أفهم».

جأرت الأم الموقرة: «قتل نفسه».

«تابعيني جيدًا أيتها الأم الموقرة»، حذرها سايتل مستعملًا الصوت قال: «أنتِ لست أداة شخصية، لم تكوني، ولا يمكن أن تكوني أداة شخصية».

انتظر التليلاكسو حتى تستوعب المرأة الموقرة تمامًا التوكيد الصارخ في كلماته.

يجب ألا تسيء فهم مقصده. لا بد أن يمر إدراكها عبر الغضب حتى تستوعب بأن التليلاكسو قطعًا لا يستطيع توجيه اتهام كهذا إليها، عارفًا، كما يجدر به، متطلبات التنازل لدى الأخوية. كلماته، مع ذلك، تضمنت إهانة رخيصة لا تتسق تمامًا مع تليلاكسو.

سريعاً، حاول إدريك أن يخفف من حدة اللحظة مستخدماً نبرة ميراباسا استرضائية: «أخبرتنا يا سايتل، أنكم بعثونا حياة لأنكم تشاركوننا رغبتنا في طريقة استخدامه».

قال سايتل: «إدريك، سوف تظل صامتاً حتى أعطيك الإذن بالكلام».

وحين همَّ رجل النقابة بالاحتجاج، انفعلت الأم الموقرة: «اخرس، يا إدريك!»

انكمش رجل النقابة داخل حاويته في هياج متخبط.

قال سايتل: «عواطفنا العابرة ليست ذات صلة بحل المشكلة المشتركة. إنها تغشي العقل لأن العاطفة الوحيدة ذات الصلة هنا هي الخوف الصرف الذي جلبنا إلى هذا الاجتماع». قالت إيrolan محدقة إلى الأم الموقرة: «نحن نفهم».

قال سايتل: «يجب أن تروا قيود درعنا المحفوفة بالمخاطر. لا تستطيع النبوءة مصادفة ما لا تستطيع فهمه».

قالت إيrolan: «أنت مراوغ يا سايتل».

فكر سايتل: يجب ألا تخمن مدى مراوغتي. عندما يفلح هذا، سوف نمتلك كويزاتس هاديراك يمكننا التحكم فيه. هؤلاء الآخرون لن يمتلكوا أي شيء.

سألت الأم الموقرة: «ماذا كان مصدر الكويزاتس هاديراك التليلاكسو؟»

«انغمسنا في تجربة العديد من الخلاصات النقية. خير نقي، وشر نقي. شرير نقي يتلذذ فقط بخلق الألم والرعب يمكن أن يكون تعليمياً إلى حد كبير».

سألت إيرولان: «البارون هاركونن العجوز، جد إمبراطورنا، هل كان خليفة التليلاكسو؟»

«ليس واحدًا منا، لكن الطبيعة عادة ما تنتج مخلوقات مُميّنة أكثر من مخلوقاتنا. نحن بالكاد ننتجها تحت ظروف معينة حيث نستطيع دراستها».

احتج إدريك: «لن أسمح بتجاهلي ومعاملتي بهذه الطريقة! من ذا الذي يُخفي هذا الاجتماع عن...».

سأل سايتل: «هل ترى؟ من يمتلك الحكم الأمثل الذي يخفيها عن بصيرة المؤدّب؟ وأي حكم؟!»

أصرَّ إدريك، «أود مناقشة الطريقة التي سنعطي بها حياة للإمبراطور. على حسب فهمي، فإن حياة يعكس الأخلاقيات القديمة التي تعلمها الآتريديزي في كوكب ميلاده. يُفترض أن يُسهل حياة على الإمبراطور توسيع طبيعته الأخلاقية، وتوصيف العناصر الإيجابية والسلبية في الحياة والدين».

ابتسم سايتل، مُمرِّزًا نظرة بريئة إلى رفاقه. كانوا كما كان يتوقع. الأم الموقرة العجوز تقبض على مشاعرها مثل منجل. وكانت إيرولان قد تلقت تدريبًا جيدًا على مهمة فشلت فيها، وباتت خلقًا معيبًا للبني جيسيرت. ولم يكن إدريك أكثر (ولا أقل) من يد ساحر؛ ربما هو مفيد في الإخفاء والتشتيت. في الوقت الحالي، عاد إدريك إلى الصمت العابس في حين تجاهله الآخرون.

سألت إيرولان: «هل أفهم أن القصد من حياة هذا تسميم عقل پول؟»

قال سايتل: «أجل، أكثر أو أقل».

سألت إيرولان: «وماذا عن الكِزارة؟»

قال سايتل: «تحويل الغبطة إلى عداوة يتطلب فقط تغييرًا طفيفًا في الأهمية، انحدار في المشاعر».

سألت إيرولان: «وتشوم؟»

قال سايتل: «سيحتشدون حول الريح».

«ماذا عن مجموعات القوى الأخرى؟»

«سنستدعي اسم الحكومة. سنضم إلينا الأقل قوة باسم الأخلاق والتقدم، وستدحر معارضتنا من تلقاء نفسها بسبب تورطهم».

«وماذا عن عالية أيضًا؟»

قال سايتل: «حياة غولة متعددة الأغراض. شقيقة الإمبراطور في سن يمكن أن تسحر فيها بذكر وسيم مهيأ لذلك الغرض. سوف تنجذب إلى ذكوريته وقدراته كونه مننتات».

سمحت موهيم لعينيها العجوزتين بأن تجحظا من فرط الدهشة. «الغولة مننتات؟ تلك خطوة خطيرة».

قالت إيرولان: «لأتحرى الدقة، المننتات يجب أن يمتلك بيانات دقيقة. ماذا لو سأله پول أن يحدد الغاية من وراء هديتنا؟»

قال سايتل: «سيخبره حياة بالحقيقة. لن يصنع ذلك فرقًا».

قالت إيرولان: «إذا فأنت تترك باب هروب مفتوحًا لبول».

غمغمت موهيم: «مننتات!»

حذق سايتل إلى الأم الموقرة العجوز، مشاهدًا الأحقاد القديمة التي صبغت إجاباتها. من أيام الجهاد البطلري عندما

مُحِيت «الآلات المُفكِّرة» من معظم العالم، وأوحت الكومبيوترات بعدم الثقة. المشاعر القديمة لطخت الكومبيوتر البشري أيضًا. قالت موهيم بغتة متحدثة بنمط معرفة الحقيقة في حين ترمي سايتل بنظراتها: «لا تروق لي الطريقة التي تبتسم بها». قال سايتل مستخدمًا الصوت: «لا يشغلني كثيرًا التفكير في ما يسعدك. لكن يجب أن نعمل معًا. ذلك واضح لنا جميعًا». ثم حدق إلى رجل النقابة. «أليس كذلك، يا إدريك؟»

قال إدريك: «أنت تُعلِّم دروسًا مؤلمة. أفترض أنك رغبت من البداية في إيضاح أنني لا يجب أن أفرض نفسي على القرارات المشتركة لرفاقي المتأمرين».

قال سايتل: «ترون، بوسعك أن يتعلم».

دمدم إدريك: «أرى أشياء أخرى. أتريدز يحتكر الاسپايس. من دونه، لن أستطيع التمعن في المستقبل. وستفقد البني جيسيرت قدراتهن على معرفة الحقيقة. لدينا مخزون منه لكنه محدود. المزاج عملة قوية».

قال سايتل: «حضارتنا تمتلك أكثر من عملة واحدة، وبهذا يتداعى قانون الإمداد والطلب بما يفرضه من احتكار».

صاحت موهيم: «تفكر في سرقة سر المزاج، وهو بحوزته كوكب كامل يحرسه رجاله من الفرمن المسعورين!»

قال سايتل: «الفرمن مدنيون، متعلمون وجاهلون. ليسوا مجانيين. إنهم مدرَّبون على الإيمان لا المعرفة. الإيمان يمكن التلاعب به. فقط المعرفة مصدر خطر».

سألت إيرولان: «لكن هل سيبقى لي شيءٌ لأنجب أسرة ملكية؟»

سمعوا جميعاً الالتزام في صوتها لكن فقط إدريك ابتسم
ساخراً منه.

قال سايتل: «شيء.. شيء».

قال إدريك: «نجاح المؤامرة يعني نهاية هذا الأتريديزي كقوة
حاكمة».

قال سايتل: «يجب أن أتخيل أن آخرين أقل موهبة من النبويين
قد توصلوا إلى ذلك التوقع. بالنسبة إليهم، هو مكتوب بالملح، كما
يقول الفرمن».

ترجمت إيرولان: «الشيء مكتوب بالملح».

في حين تكلمت، أدرك سايتل ما رتبته البني چيسيرت من
أجله هنا- أنثى ذكية وجميلة لا يمكن أن تكون له أبداً. فكر: أوه،
حسناً، ربما سأنسخ هيئتها من أجل آخر.

على كل حضارة أن تواجه قوّة غير واعية يمكنها
حظر أي نية واعية للجماعة أو خيانتها أو إبطالها.

- نظرية تليلاكسو (غير مثبتة)

جلس پول على حافة سريرهِ، وبدأ يخلع بيادات الصحراء.
فاحت منها رائحة عفونة من المُزيت الذي يسهل عمل المضخات
-المدعومة من كعوب البيادات- التي تحرّك بذلة التقطير. كانت
الساعة متأخرة. أطال مدة تمشيته الليلية، مُسبباً القلق لأحبته.
من المسلم به أن جولات مشيه كانت محفوفة بالخطر، لكنها
كانت نوعاً من الخطر الذي بوسع پول التعرف عليه والتعامل معه
في الحال. هناك شيء مُثير وجذاب اكتف المشي مجهول الهوية
ليلاً في شوارع أراكين.

ألقي البيادات في الزاوية أسفل كرة الإنارة الطافية الوحيدة
في الحجرة، وهاجم بيده شرائط إقفال بذلة التقطير ليفكّها.
كم كان متعباً! اقتصر التعب على عضلاته، وترك عقله يَمور
بالأفكار. غمرته مشاهدة الأنشطة الدنيوية للحياة اليومية بحسد
عميق. لا يمكن للإمبراطور مشاركة معظم تلك الحياة المتدفقة
التي لا اسم لها خارج جدران حصنه - ولكن... السير في شارع
عام دون لفت الانتباه: يا له من امتياز! المرور بصخب الحجاج
طالبِي الصدقات، وسماع أحد الفِرمَن يلعن صاحب متجر قائلًا:
«لديك أيادٍ رطبة!»..

ابتسم پول للذكرى، وانزلق خارج بذلة التقطير.

وقف عارياً، منسجماً بشكل غريب مع عالمه. كان كئيب الآن
عالمًا من التناقضات- عالم تحت الحصار، ومع ذلك فهو مركز
القوة. قرر في دخيلة نفسه: الوقوع تحت الحصار هو المصير
الحتمي للسلطة. حذق إلى السجادة الخضراء، شاعرًا بملمسها
الخشن على باطن قدميه.

كانت الشوارع مغمورة حتى مستوى الكاحل بالرمال المتطايرة
فوق الجدار الحامي بفعل رياح ركامية. أدت حركة الأقدام السائرة
إلى تحوّلها إلى غبار خانق، سدّ مرشحات بذلة التقطير. يمكنه
شم رائحة الغبار حتى هذه اللحظة رغم مروره بمراوح التهوية
عند بوابات حصنه. كانت رائحة زاخرة بذكريات الصحراء.

أيام أخرى... أخطار أخرى.

مقارنة بتلك الأيام الأخرى، فإن الخطر الكامن في جولات
مشيه وحده يظل طفيفاً. لكن مع ارتدائه بذلة التقطير، يرتدي
الصحراء. البذلة بكل أجهزتها المخصصة لاستعادة رطوبة جسمه
وجّهت أفكاره بطرائق خفية، وثبّتت حركاته في نمط صحراوي.
أصبح فرمناً شرساً. كانت البذلة أكثر من مجرد تمويه إذ جعلته
غريباً عن ذاته المدنية. في بذلة تقطيره، تخلى عن الأمن،
وارتدى مهارات العنف القديمة. مر عليه الحجيج وأهل البلدة
بأعين منكسرة حزينة. تركوا الفرمن الجامحين وشأنهم بدافع
الحذر. إن كان للصحراء وجه من أجل أهل المدينة، فقد كان
وجه فرمني مخفياً وراء مرشّح الفم وسدّادة الأنف لبذلة تقطير.
في الحقيقة، لم يكن هناك الآن سوى خطر محدود من أن
أحدهم من أيام السييتش الخوالي قد يميزه من مشيته أو رائحته
أو عينيه. وحتى حينها، ظلت فرص ملاقاته عدوٍ ضئيلة.

حفيف ستائر الباب، ودفقة ضوء حطما تأمله. دخلت تشاني حاملة القهوة على صينية بلاطينية. تبعها زوج من كرات الإنارة الطافية المسخّرة، ثم اندفعتا لتحتلا موقعهما: واحدة عند رأس السرير، والأخرى تحوم بجانب تشاني.

تحركت تشاني في هالة سرمدية من قوة هشة - كانت متماسكة جدًا، وضعيفة جدًا أيضًا. ذكّره شيء في الطريقة التي انحنى بها لتقديم القهوة بأيامهما الأولى. بقيت ملامحها الملائكية بغموض، لا تحمل علامات سنواتهما معًا - إلا لو دقق أحدهم النظر إلى الزوايا الخارجية لعينيها الخاليتين من البياض، ملاحظًا الخطوط الموجودة هناك، «آثار الرمال»، كما أطلق عليها فرمن الصحراء.

تصاعد البخار من المرجل وهي ترفع الغطاء بمقبضه الزمردى. يمكن أن يقول إن القهوة لم تكن مختمرة بعد من الطريقة التي أعادت بها وضع الغطاء. المرجل - على شكل أنثى فضية، حبلى - أتاه كفنيمة، فاز بها في معركة عندما قتل المالك السابق له في نزال. چيميس، كان هذا اسم الرجل... چيميس. يا له من موت خلودٍ عجيب الذي منحه إلى چيميس. مع علمه أنّ الموت حتمي، هل تصور چيميس هذه الميتة بالتحديد في ذهنه؟ وضعت تشاني الأكواب المصنوعة من خزف أزرق أسفل المرجل الضخم فبدت أشبه بالخدم. كان هناك ثلاثة أكواب: واحد لكل شارِبٍ وواحد للمالك السابق. قالت: «لن يستغرق الأمر سوى لحظة».

نظرت إليه عندئذ، وتساءل پول كيف تراءى لها. هل لا يزال في نظرها الأجنبي الغريب النحيل ولكن الغني بالمياه قياسًا إلى الفرمن؟ هل ظل أصول، اسمه القبلي، الذي أخذها في «نشوة الطاو الفرمنية» بينما كانا طريدين في الصحراء؟

حدق پول إلى جسده: عضلات صلبة، ونحيل... وعدد أكثر قليلًا من الندوب، لكنه في الأساس الجسد نفسه رغم مضي اثنتي عشرة سنة على كونه إمبراطورًا. نظر إلى الأعلى، ولمح انعكاس وجهه في مرآة أحد الرفوف - أعين فرمنية تامة الزرقة، علامة على إدمان الاسپايس؛ وأنف آتريديزي حاد. بدا الحفيد الملائم لجده الأتريديزي الذي مات في حلبة مصارعة الثيران، خالقًا مشهدًا لن ينساه شعبه.

شيء قاله جده الشيخ حينذاك انزلق إلى ذهن پول: «من يتولى الحكم، يتحمل مسؤولية لا رجعة فيها تجاه المحكومين. أنت الراعي. وهذا يتطلب، في بعض الأحيان، فعل حُبٍّ غير أناني، قد يكون مُسلِّبًا فقط لمن تحكمهم».

لا يزال الناس يتذكرون ذلك الرجل العجوز بمودة.

سأل پول نفسه: وماذا فعلتُ أنا من أجل اسم آتريديز؟ لقد أطلقت الذئب بين الخراف.

تأمل لحظة في كل أعمال الموت والعنف التي تدور رحاها تحت راية اسمه.

قالت تشاني بنبرة أمرة حادة كان پول يعلم أنها ستصدم رعايا إمبراطوريته: «إلى الفراش الآن!»

امتثل، واستلقى على السرير، ويده خلف رأسه، وترك الألفة اللطيفة لتحركات تشاني تهدده.

داهمه فجأة شعور بالدهشة حيال الغرفة من حولهما. لم تكن قط كما قد يتخيل شعبه أن تكون عليه حجرة نوم الإمبراطور. الضوء الأصفر لكرات الإنارة التي لا تهدأ حرّكت الظلال فوق صف من الجرّات الزجاجية الملونة على رف خلف تشاني. سمّى پول محتوياتها بصمت - المكونات الجافة لدستور أدوية وعقاقير الصحراء، ومراهم، وبخور، وتذكّارات... وحفنة من الرمل من سييتش تبر، وخصلة شعر من ابنهما البكر... الميت منذ زمن طويل... الميت منذ اثنتي عشرة سنة... متفرج بريء قُتل في المعركة التي جعلت پول إمبراطورًا.

ملأت رائحة الاسپايس العبقة الغرفة. استنشقتها پول، ووقعت نظرتة على وعاء أصفر بجانب الصينية حيث كانت تشاني تعدّ القهوة. وعاء يحتوي على مكسرات مطحونة. كان كشّاف السموم -الذي لا مفر من وجوده- المثبت تحت الطاولة، يطوّح بذراعيه فوق الطعام. أغضبه الكشّاف. لم يحتاجوا قط إلى كشافي السموم في أيام الصحراء!

قالت تشاني: «القهوة جاهزة. هل أنت جائع؟»

إنكاره الغاضب غرق في الصفيير الصاخب لمركبة اسپايس خفيفة تقذف نفسها باتجاه الفضاء خارج أراكين.

رأت تشاني غضبه، مع ذلك، صبت قهوته، ووضعتها قرب يده. جلست فوق قدم السرير، وعرّت ساقيه، وأخذت تدلكهما حيث العضلات متيبسة من المشي الطويل في أثناء ارتداء بذلة التقطير. بنعومة، وبشيء من اللا مبالاة لم تتطلّ عليه، قالت: «لنناقش رغبة إيرولان في طفل».

انفتحت عينا پول على اتساعهما فوراً. تفرس تشاني بحرصٍ.
قال: «مضى على رجوع إيرولان من والاك أقل من يومين. هل
اشتكت إليك بالفعل؟»

قالت تشاني: «لم نناقش خيبتها».

أجبر پول ذهنه على اليقظة العقلية، وتفحص تشاني في
الضوء الساطع لقدرته الفائقة على ملاحظة أدق التفاصيل، على
نهج النبي جيسيرت الذي علمته إياه أمه ناقضة بذلك عهودها
مع الأخوية.

كان شيئاً لم يرق له ممارسته على تشاني. كان جزء من
انجذابه إليها يكمن في حقيقة أنه قلما احتاج إلى استعمال
قدراته -التي تزيد من توتره- معها. تجاهلت تشاني في الغالب
الأسئلة الطائشة. حافظت على حس الفضائل لدى الفرمن.
أسئلتها كانت عملية في أكثر الأحيان. ما أثار اهتمام تشاني
هي الحقائق التي تؤثر في مكانة رجلها -قوته في المجلس،
وولاء فيالقه، وقدرات حلفائه ومواهبهم. احتفظت ذاكرتها بقوائم
من الأسماء والتفاصيل المفهرسة. يمكنها سرد نقطة الضعف
الرئيسية في كل عدو معروف، والترتيبات المحتملة للقوات
المعارضة، والخطط القتالية لقادتهم العسكريين، وإمكانات توفير
الأدوات والإنتاج المرتبطة بالصناعات الأساسية.

تساءل پول: «لماذا سألت عن إيرولان الآن؟»

قالت تشاني: «لقد شغلْتُ بالك. لم يكن ذلك مقصدي».

«ماذا كان مقصدك؟»

ابتسمت بحياء، وقد تلاقت نظراتهما. «إن كنت غاضباً يا

حبيبي، فأرجوك.. لا تُخفِ ذلك».

استلقى بول ثانية مستنداً إلى إطار السرير الأمامي.

«هل أتخلص منها؟ فائدتها محدودة الآن، ولا تطيب لي الأشياء التي أستشعرها حيال رحلتها إلى الأخوية».

قالت تشاني: «لن تتخلص منها». واصلت تدليك ساقيه. أضافت بنبرة تقريرية: «قلت مرات عديدة إنها وسيلة اتصالك بأعدائك، وأنتك تستطيع قراءة خططهم من خلال أفعالها».

«إذا لماذا تسألين عن رغبتها في طفل؟»

«أعتقد أنك لو أنها حبلى منك، فسوف يريك ذلك أعداءنا ويضع إيرولان في موقف هش».

قرأ من حركة يديها فوق ساقيه ما كلفها ما صرحت به. شعر بغصة تتكون في حلقه.

قال بلين: «تشاني، يا حبيبتي، لقد قطعت عهداً أن لا أصحبها إلى فراشي. وطفل سوف يمنحها قوة مُفرطة. هل ستوافقين على أن تأخذ مكانك؟»

«ليس لي مكان».

«ذلك غير صحيح، يا سيهيا، يا ربيع صحرائي. ما سبب هذا القلق المفاجئ على إيرولان؟»

«أنا قلقة عليك، وليس عليها! لو حملت طفلاً آتريديزياً، فسوف يشكك أصدقاءها في ولاءاتها. وكلما قلت الثقة التي يضعها أعداؤنا فيها، غدت فائدتها أقل لهم».

قال بول: «طفل لها قد يعني حتفك. تعرفين قواعد التآمر في هذا المكان».

شملت حركة من ذراعه حدود الحصن.

قالت محتدة: «يجب أن تمتلك وريثاً!»

قال: «آه».

إذاً ذلك هو الأمر: لم تُتجب تشاني طفلاً له. وبالتالي يجب على شخص آخر أن يفعل ذلك. لماذا ليست إيرولان؟ تلك كانت الطريقة التي عمل بها ذهن تشاني. ويجب أن يتم ذلك من خلال المضاجعة، إذ إن الإمبراطورية أقرت تحريمات مغلظة ضد طرق الإنجاب الاصطناعية. توصلت تشاني إلى قرار فرمني.

تفرس پول في وجهها في ضوء هذا الإدراك الجديد. كان وجهها عرفه من نواح معينة أفضل من معرفته بوجهه نفسه. رأى هذا الوجه في حالات كثيرة؛ منشرحاً بالحب، وناعساً، ومكتسباً بالخوف والغضب والأحزان.

أغمض عينيه، فتجسدت تشاني في ذكرياته فتاة مرة أخرى - ملثمة في الربيع، تغني، تستيقظ من سباتٍ بجانبه - باللغة الكمال لدرجة أن مجرد رؤياها فقط ابتلعتته. في ذاكرته، ابتسمت بحياء في البداية ثم تشنجت في مقابل الرؤية كأنها تتوق إلى الهروب. جفَّ فم پول. للحظة ذاق منخاراه دخان مستقبل مُفجِع، وسمع صوت نوع آخر من الرؤية أمره: انفصل.. انفصل.. انفصل.

كانت رؤياه تتصت على الأبدية لمدة طويلة جداً، ملتقطة نفاً من لغات أجنبية، ومستمعة إلى أحجار، وإلى جسد ليس بجسده. منذ مواجهته الأولى مع الغاية الرهيبة، وهو لا ينفك يحدق إلى المستقبل، راجياً أن يعثر على السلام.

كانت هناك طريقة بالطبع. عرفها عن ظهر قلب دون أن يعرف جوهرها - مستقبل مكرَّر، صارم في تعليماته له: انفصل... انفصل... انفصل.

فتح پول عينيه، ونظر إلى العزم في وجه تشاني. توقفت عن تدليك ساقيه، وجلست الآن - الأنقى بين معشر الفرمن. ظلت ملامحها مألوفة تحت شال النيزوني الأزرق الذي كثيراً ما كانت ترتديه حول شعرها في جناحهما. لكن قناع العزم استولى عليها، وهي طريقة تفكير قديمة وغريبة عليه. شاركت نساء الفرمن رجالهن لآلاف السنين - ليس دائماً في سلام، ولكن بكيفية تجعل الحقيقة غير مُدمرة. يوجد شيء فرمني على نحو غامض من هذه الطريقة طراً على تشاني.

قال: «ستهينني الوريث الوحيد الذي أريده».

سألت وقد أوضحت نبرة التأكيد في صوتها أنها تشير إلى قدرته الاستبصارية: «هل رأيت هذا؟»

كما فعل عدة مرات، تساءل پول كيف يمكن تفسير الطبيعة الملتبسة للاستبصار، الخطوط الزمنية التي تتجسد له فوق نسيج متموج دون تحديد لأي رؤية حامت أمامه. تههد متذكراً مشهد المياه التي غرفها من نهر في جوف يديه - ترتجف، وتستنفد. غمرت الذاكرة وجهه فيها. كيف يمكن أن ينغمس في احتمالات مستقبلية تزداد غموضاً تحت ضغوط الكثير من النبوءات؟

قالت تشاني: «لم تره إذن».

تلك الرؤى المستقبلية باتت شحيحة، ولم تعد في متناوله إلا مقابل جهد مضمّن مستنزف للحياة. سأل پول نفسه: ماذا يمكن أن تظهر لهما سوى الغم؟ شعر بأنه يحتل منطقة وسط موحشة، مكان خرب حيث انجرفت عواطفه، واهترت، واكتُسحت إلى الخارج في اضطراب لا يمكن السيطرة عليه.

غطت تشاني ساقيه، وقالت: «وريث آل آترديز، هذا ليس شيئاً تتركه للصدفة أو لامرأة واحدة».

فكر پول: ذلك شيء ربما كانت أمه لتقوله. تساءل إن كانت الليدي چيسيكا على اتصال سري بتشاني. ستفكر أمه وفقاً لأعراف آل آترديز. كان نمطاً هجنته وهياته بداخلها البني چيسيرت، وستظل أمه تنتهجه حتى الآن رغم انقلاب قواها ضد الأخوية.

قال بنبرة اتهام: «استمعتِ عندما أتت إيرولان لمقابلتي اليوم».
تكلمت دون النظر إليه: «استمعتُ».

ركز پول ذاكرته على لقاءه إيرولان. دلف إلى قاعة الاستقبال، ولاحظ رداء غير مكتمل فوق منوال تشاني. انتشرت رائحة لاذعة لدودة في المكان، رائحة خبيثة بالكاد أخفت لسعة القرفة الخفيفة للمزاج. سكب أحدهم خلاصة الاسپايس دون تغيير، وتركها لتمتزج هناك مع بساط مشبّع بالاسپايس. لم يكن مزيجاً موفقاً إذ أذابت خلاصة الاسپايس البساط. ورقدت بقع زيتية متجمدة فوق الأرضية المصنوعة من البلاستون مكان البساط. فكّر أن يرسل إلى أحدهم حتى ينظف الفوضى لكن حارّة-زوجة ستيلجار، وصديقة تشاني المقربة- انسلت إلى داخل الحجرة حتى تعلن عن وصول إيرولان. كان مرغماً على إجراء المقابلة في وجود تلك الرائحة الخبيثة، عاجزاً عن التهرب من التفكير في الخرافة الفرمينية أن الروائح الخبيثة تتبأ بقرب حدوث كارثة. انسحبت حارّة في حين دخلت إيرولان.

قال پول: «مرحباً».

ارتدت إيرولان رداء من فرو حوت رمادي. ضمّته، ولمست بيدها شعرها. يمكنه أن يراها تتساءل عن نبرة صوته المعتدلة. يمكنه بجلاء استشعار الكلمات الغاضبة التي كانت قد أعدّتها من أجل هذا اللقاء تغادر ذهنها في فوضى أفكار ثانية.

قال پول: «لقد أتيت لتبغيني أن الأخوية فقدت آخر ذرة مما تبقى من أخلاقها».

سألت: «أليس خطيراً أن تكون سخيّاً إلى هذا الحد؟»

قال: «أن تكون سخيّاً وخطيراً.. لهو تحالف يثير الشكوك». تدريب البني جيسيرت اللاتي تمرد عليهن، مكّنته من ملاحظة قمع إيرولان لرغبة ملحة في الانسحاب والمغادرة. كشف الجهد الذي بذلته عن لمحة مقتضبة من خوف كامن، وشاهد أنها مكلفة بمهمة لا تحبها.

قال: «إنهن يتوقعن أكثر قليلاً من أميرة ملكيّة الدماء».

غدت إيرولان ساكنة، وصار پول واعياً أنها عزلت نفسها في تماسكٍ مشدود. فكّر: عبءٌ ثقيل بالفعل. وتعجب لماذا لم تمنحه الرؤية الاستبصارية لمحة على هذا المستقبل المحتمل.

بيطء أخذت إيرولان تسترخي. قرّرت: لا غاية في الاستسلام إلى الخوف أو التراجع.

قالت وهي تدعك ذراعها من فوق رداؤها: «لقد سمحت للطقس بأن يسقط في نمط شديد البدائية. إنه جاف، كما هبت عاصفة رملية اليوم. ألن تسمح أبداً بهطول المطر هنا؟»

قال پول: «لم تأتي إلى هنا للحديث عن الطقس».

شعر بأنه غارق في معانٍ مزدوجة. هل كانت إيرولان تحاول أن تبوح إليه بشيء لن يسمح لها تدريبيها بأن تقوله علانية؟ تراءى له الأمر كذلك. شعر كأنه انجرف بعيداً فجأة، وعليه الآن أن يشق طريقه عائداً إلى مكان ثابت.

قالت: «يجب أن أحظى بطفل».

هز رأسه من جانب إلى آخر.

قالت منفعة: «يجب أن أمتلك طريقي! إن لزم الأمر، سوف أجد أباً آخر لطفلي. سأجعل منك زوج زانية، وسأتحدك أن تقضحني».

قال: «اجعلي مني زوج زانية كما تودين، لكن لا طفل».

«كيف بوسعك أن تُوقني؟»

قال بابتسامة تعكس أكبر قدر من الطيبة: «سامر بخنقك إن وصل الأمر إلى ذلك».

مصدومة، التزمت الصمت لحظة، واستشعر پول تشاني تُتصت من وراء الستائر الثقيلة المؤدية إلى جناحهما الخاص.

همست إيرولان: «أنا زوجتك».

قال: «دعينا لا نمارس هذه الألعاب السخيفة. تلعبين دوراً، لا أكثر. كلانا يعرف من تكون زوجتي».

قالت، صوتها مُثقل بالمرارة: «وأنا؟ زواج نفعي، لا شيء أكثر!».

قال: «لا أتمنى قط أن أكون قاسياً معك».

«اخترتي في هذه المكانة».

«كلا، لست أنا. القدر اختارك. أبوك اختارك. البني جيسيرت اخترتك. النقابة اختارتك. وقد اختاروك ثانية. لماذا اختاروك يا إيرولان؟»

«لماذا لا أستطيع أن أنجب طفلك؟»

«لأن ذلك الدور لم يقع عليك الاختيار لأدائه».

«إنه حقي أن أحمل الوريث الملكي! أبي كان...».

«أبوك كان ولا يزال وحشًا. كلانا يعلم أنه فقد تقريبًا كل اتصال بالبشرية التي كان من المفترض أن يحكمها ويحميها».

قالت محتدة: «هل كان مكروهًا أقل مما أنت مكروه؟»

قال موافقًا، ابتسامة تهكمية ترسم على شفثيه: «سؤال جيد».

«أنت تقول إنك لا ترغب في أن تكون قاسيًا معي، بيد أنك...».

«ولهذا السبب أوافق على أنه يمكنك أن تتخذي أي حبيب تختارينه. لكن افهميني جيدًا: اتخذي حبيبًا، لكن لا تحضري طفلًا تربي على الضغينة إلى بيتي. سأتبرأ من طفل كهذا. أنا لا أحرمك من أي خليل طالما كنت متكتمة.. ودون إنجاب أي طفل. سيكون أمرًا سخيًا أن أشعر بشيء آخر تحت تلك الظروف. لكن لا تفترضني ما هو أكثر من ذلك بموجب هذا التصريح الذي أمنحه إليك بحرية. أينما تعلق الأمر بالعرش، فأنا من يتحكم في أي دم يرثه. لا تتحكم البني جيسيرت في هذا، ولا النقابة. هذه أحد الامتيازات التي ظفرت بها عندما سحقت فيالق أبيك من الساردوكار هناك على سهل أراكين».

قالت إيرولان: «إنه خطوك إذًا».

استدارت، واندفعت خارجة من الحجرة.

متذكرًا اللقاء الآن، أبعد پول وعيه عنه، وركز على تشاني الجالسة بجانبه على سريرهما. يمكنه أن يفهم مشاعرها المتناقضة حول إيرولان، وأن يستوعب قرار تشاني الفرمني.

في ظل ظروف مغايرة، قد تغدو تشاني وإيرولان صديقتين.

سألت تشاني: «ماذا قررت؟»

قال: «لا طفل».

رسمت تشاني علامة الفِرمِن للسكين العاجية بسبابة وإبهام يدها اليمنى.

ووافق على ذلك: «قد يؤول الأمر إلى ذلك».

«ألا تعتقد أن الطفل سيذيب أي خلاف مع إيرولان؟»

«فقط الأحمق هو الذي يعتقد ذلك».

«أنا لست حمقاء يا حبيبي».

تملَّكه الغضب.

«لم أقل إنك حمقاء! لكننا لا نناقش رواية رومانسية لعينة هنا. توجد أميرة حقيقية على امتداد الردهة. أميرة تربت على كل الدسائس الخبيثة التي تُحَاك داخل بلاط إمبراطوري. التأمّر شيء طبيعي بالنسبة إليها مثله مثل كتابة كتبها التاريخية الغبية».

«ليست غبية يا حبيبي».

«ربما لا». تمالك غضبه، وأخذ يدها في يده. «أسف. لكن لتلك المرأة مؤامرات عديدة- مؤامرات داخل مؤامرات. ارضخي إلى أحد طموحاتها، وسوف تعجّلين من تحقيق طموح آخر».

قالت تشاني، صوتها لين: «ألم أقل دائماً الشيء نفسه؟»

«أجل، بالطبع». حدق إليها. «إذا ماذا تحاولين حقاً أن تخبريني

به؟»

استلقت بجواره، وأرخت يدها فوق عنقه.

«توصلوا إلى قرار حيال كيفية قتلِك. تفوح من إيرولان رائحة

قرارات خفية».

مسد بول شعرها .

مَسَّته الغاية الرهيبة . هبت عاصفة كوريوليسية داخل روحه ،
مُحدِّثة صفيراً عبر هيكل كيانه . عرف جسده أشياء حينذاك ، لم
يعلمها أبداً في وعيه .

همهم : «تشاني ، محبوبتي ، هل تعرفين ما أنا على استعداد
لبذله حتى أضع نهاية للجهاد - حتى أنأى بنفسني عن الألوهية
اللعيينة التي تفرضها عليَّ الكِزارة؟
ارتجفت . قالت : «عليك فقط أن تأمر بهذا» .

«أوه ، لا . حتى لو مت الآن ، سيظل اسمي يقودهم . عندما أفكر
في اسم آتريديز مرتبطاً بهذه المجزرة الدينية ..» .
«لكنك الإمبراطور! أنت ..» .

«إمبراطور صوري . عندما يُمنح المرء صفة الألوهية ، تغدو
الشيء الوحيد الذي يكف ذلك المدعو بالإله عن التحكم فيه» .
زلزلته ضحكة مريرة أفلتت منه . أحس بالمستقبل ينظر إليه
من خلال سلالات لم يحلم بها حتى . شعر بكيانه يُطرد ، باكياً
ومحرراً من حلقات القدر .. فقط اسمه استمر . قال : «لقد وقع
الاختيار عليَّ . ربما عند الولادة .. وبالتأكيد قبل أن يكون لي رأي
فيه . لقد وقع الاختيار عليَّ» .

«إذا تحرر من ذلك الاختيار» .

شدَّ ذراعاه حول كتفها : «في التوقيت المناسب يا حبيبتي .
أمهليني القليل من الوقت» .

أحرقته عينيه دموع لم يذرفها .

قالت تشاني: «يجب أن نعود إلى سييتش تابر. هنالك أمور كثيرة جداً يجب أن نتعامل معها في هذه الخيمة الحجرية». أوماً. احتكت ذقنه بالقماش الأملس للوشاح الذي غطى شعرها. رائحة الاسپايس المهدئة التي تفوح منها، ملأت منخاريه. سييتش. الكلمة التشاكوبسية العتيقة استولت عليه: مكان للتقهقر والأمان في ساعة الخطر. اقتراح تشاني أثار بداخله حنيناً إلى آفاق الرمال المفتوحة، إلى المساحات الشاسعة الجرداء حيث يمكن للمرء رؤية عدو آتياً من مسافة بعيدة. قالت: «تتوقع القبائل عودة المؤدّب إليهم». أردفت رافعة رأسها لتتظر إليه: «أنت تنتمي إليهم».

همس: «بل أنتمي إلى رؤية».

فكر عندئذ في الجهاد، في الجين الذي يمتزج عبر الفراسخ النجمية، وفي الرؤية التي أخبرته كيف قد يضع حداً له. هل ينبغي له أن يدفع الثمن؟ كل الكراهية ستتبخّر، ستموت مثلما تتطفئ النار- جمرة فجمرة. لكن.. أوه! الثمن الرهيب! فكّر: لم أرغب قط في أن أكون إلهاً. أردت فقط أن أختفي مثل جوهرة ندى بخرها الصباح. أردت أن أهرب من الملائكة والملعونين- وحدي... كأنما سهواً.

ضغطت تشاني: «هل سنعود إلى السييتش؟»

همس: «أجل». وفكّر: يجب أن أدفع الثمن.

زفرت تشاني تهيدة عميقة، واستندت إليه مجدداً.

فكر: أهدرت الوقت سدى. ورأى كيف طوقته حدود الحب والجهاد. ماذا كانت حياة واحدة، مهما كانت عزيزة، في مقابل

كل الأرواح التي كان الجهاد سيزهقها بكل تأكيد؟ هل يمكن وضع
بؤس فردي في كفة واحدة مع عذاب جحافل من البشر؟
قالت تشاني مستهمة: «حبيبي؟»

وضع إحدى يديه على شفيتها.

فكر: سأسلم نفسي. سأندفع إلى الخارج بينما لا أزال أملك
القوة، وأطير عبر فضاء ربما لا يعثر عليه طير. كانت خاطرة
عديمة الجدوى، وقد عرف ذلك. سيتبع الجهاد شبجه. تساءل:
بماذا يستطيع أن يجيب؟ كيف يفسر الأمر في حين فرض الناس
عليه حماقة وحشية؟ من قد يفهم؟

أردت فقط أن أنظر إلى الورا، وأقول: «هاك! هاك! وجود لم
يتمكن من السيطرة عليّ. انظروا! أنا أختفي! لا يوجد أي قيد أو
شبكة من الاختراعات البشرية يمكن أن تحبسني مرة أخرى. أنا
أتخلى عن ديني! هذه اللحظة المجيدة ملكي! أنا حر!»

يا لها من كلمات فارغة!

قالت تشاني: «شوهدت دودة ضخمة أسفل الجدار العلامي
البارحة. يقولون إن طولها يتجاوز مئة متر. قلما تأتي مثل تلك
الديدان الضخمة إلى هذه المنطقة بعد الآن. أفترض أن الماء
يُنْفَرها. يقولون إن هذه الدودة جاءت لاستدعاء المؤدّب إلى
صحرائه». قرصت صدره. «لا تضحك علي!»

«أنا لا أضحك».

شعر پول، مدهوشاً من أساطير الفِرمِن الصامدة، بضيق في
صدره، شيء أصاب شريان حياته: أدب، الذكرى الملحة. ثم تذكر
حجرة طفولته في كلادان... ليلة معتمة في الحجرة الحجرية...

رؤية! كانت إحدى أولى لحظات تبصُّره. شعر بذهنه يفوص في الرؤية، وشاهد عبر ذاكرة غائمة محجوبة (رؤية داخل رؤية) صفًا من الفرمن، أرديتهم مغبِّرة. ساروا عبر فجوة في صخور طويلة رافعين حمولة طويلة ملفوفة بالقماش.

وسمع پول نفسه يقول في الرؤية: «كانت حلوة في الغالب، وكنت الأمل من بين الجميع...».

حرَّره أدب.

همست تشاني: «أنت هادئ جدًا. ما الأمر؟»

هز پول كتفيه، وجلس، مشيخًا بوجهه عنها.

قالت تشاني: «أنت غاضب لأنني ذهبت إلى حافة الصحراء؟ هز رأسه دون أن يتكلم.

قالت تشاني: «ذهبت فقط لأنني أرغب في طفل».

عجز پول عن الحديث. شعر أن القوة الخام لتلك الرؤية المبكرة قد استنزفته. الغاية الرهيبة! في تلك اللحظة كانت حياته أشبه بغصن شجرة اهتز برحيل طير... وكان الطير فرصة. إرادة حرَّة.

فكَّر: رضخت إلى غواية النبوءة.

وشعر أن رضوخه لتلك الغواية قد يعني تثبيت نفسه في حياة أحادية المسار. تعجب: هل يمكن أن النبوءة لم تخبره بالمستقبل بل صنعته؟ هل كشف حياته إلى شبكة من الخيوط الكامنة، وحاصر نفسه هناك في تلك الصحوة التي حدثت منذ زمن طويل، وصار ضحية مستقبل عنكبوتي يتقدم حتى هذه اللحظة نحوه بمخالب مُرعبة.

انزلت إحدى مُسلّمات النبي جيسيرت إلى ذهنه: «أَنْ تستخدم القوة الصّرف يعني أن تجعل نفسك عرضة دائماً للهجوم من قوى أعظم».

قالت تشاني وهي تلمس ذراعه: «أعرف أن زهابي للصحراء يفضبك. صحيح أن القبائل أعادت إحياء الطقوس القديمة وتضحيات الدم لكنني لم أشارك مطلقاً فيها».

استنشق پول نفساً عميقاً مرتعشاً. تفسخ سيل رؤيته، وأصبح مكاناً ساكناً وعميقاً تتحرك تياراته بقوة ممتصّة، بعيداً عن متناوله.

توسلت تشاني: «أرجوك، أود طفلاً، طفلاً. أذلك شيء مريع؟»

مسّد ذراعها حيث لمستته، ثم شدّ نفسه بعيداً عنها. هبط من الفراش، وأطفأ كرات الإنارة، وعبر إلى نافذة الشرفة، وفتح الستائر. لا يمكن للصحراء العميقة اقتحام المكان هنا إلا عن طريق روائحها. جدارٌ بلا نوافذ تسلق إلى سماء الليل في الجهة المقابلة له. وانحدر ضياء القمر داخل البستان المسوّر، أشجار حارسة وأوراق عريضة، خُصرة رطبة. أمكنه رؤية بركة سمك تعكس النجوم وسط الأوراق، جيوب من ألق زهري أبيض في الظلال المعتمة. للحظات شاهد البستان من خلال أعين الفِرمين: أجنبية، مصدر تهديد، خطرة في هدرها المياه.

فكّر في باعة الماء، الذي دمّر إغداًه السخي بالماء أساليبهم. مقتوه. سحق الماضي. وكان هناك آخرون، حتى أولئك الذين صارعوا من أجل شراء المياه الثمينة كرهوه على تغييره الطرائق القديمة. في حين أعاد النمط البيئي الذي حدده المؤدّب تشكيل

معالم الكوكب، زادت المقاومة البشرية. تساءل ألم يكن من العجرفة أن يعتقد أنه يستطيع إعادة تشكيل كوكب بالكامل - كل شيء ينمو حيثما وكيفما أخبره أن ينمو؟ حتى لو نجح، ماذا عن العالم المنتظر في الخارج هناك؟ هل يخاف من معاملة مشابهة؟ أسدل الستائر فجأة، وأغلق مراوح التهوية.

استدار إلى تشاني في الظلام، وشعر بها تنتظره هناك. حلقاتها المائية تخشخش مثل أجراس صدقة الحجيج. تلمس طريقه نحو الصوت، وقابل ذراعيها المفرودين.

همست: «هل أزعجتك يا حبيبي؟»

أحاطت ذراعيها بمستقبله لحظة إحاطتها بجسده.

قال: «ليس أنت.. أوه.. ليس أنت».

أدى ظهور درع الطاقة وبنديقية الليزر بتفاعلهما الانفجاري المميت للمهاجم والمُهَاجِم إلى وضع الضوابط الحالية على تكنولوجيا الأسلحة. لا نحتاج إلى الخوض في الدور الخاص للأسلحة الذرية. حقيقة أن أي عائلة في إمبراطوريتي يمكنها نشر الأسلحة الذرية لتدمير القواعد الكوكبية لخمسين أو أكثر من العائلات الأخرى تسبب في بعض الحزازات؛ هذا صحيح. لكن كل واحد منا لديه خطط احترازية للانتقام الفَتَّاك. تمتلك النقابة ومجلس اللانديسراد المفاتيح التي تُبقي تلك القوة تحت السيطرة، لا، ما يشغلني هو تطوير البشر كأسلحة خاصة. هنا يكمن مجال غير محدود عملياً تسعى قوى قليلة إلى تطويره.

«المؤدّب - محاضرة إلى الكلية الحربية»¹

من «سجلات ستيلجار»

وقف الشيخ عند مدخل منزله، متطلعاً إلى الخارج بأعين تامة الزرقة بلا أي بياض. كانت الأعين مفضية بذلك الشك البدائي الذي يكتنه جميع قوم الصحراء تجاه الغريباء. شوهدت حواف فمه تجاعيد داكنة يمكن رؤيتها من خلال سجاف لحيته البيضاء. لم يكن يرتدي بذلة تقطير، وكونه قد تجاهل هذه الحقيقة -رغم معرفته الكاملة بالرطوبة المتدفقة من منزله عبر الباب المفتوح- قد باح بالكثير عنه.

انحنى سايتل، وأعطى إشارة التحية المتفق عليها. من مكان ما خلف الشيخ، علا صوت ربابة ينوح من خلال نشاز الذبذبات الموسيقية اللا-نمطية لموسيقى السموتا. لم يحمل سلوك الشيخ أيًا من بلادة المخدر- ما يشير إلى أن السموتا كانت نقطة ضعف شخص آخر. مع ذلك، بدا غريبًا بالنسبة إلى سايتل أن يجد تلك الرذيلة المعقدة تُمارَس في هذا المكان.

قال سايتل، مبتسمًا من خلال الوجه مسطح الملامح الذي اختاره لهذا اللقاء: «التحية إليك من مكان بعيد». خطر له، عندئذ، أن هذا الشيخ قد يتعرف على الوجه المختار. بعض من الفرمن الأكبر سنًا هنا على كثيب قد عرفوا دانكن آيداهو.

قرر سايتل في دخيلة نفسه أن اختيار الملامح -الذي كان يعتقد أنه مسليًا- ربما كان خطأ. لكنه لم يجرؤ على تغيير الوجه في الخارج هنا. ألقى بنظرات عصبية على امتداد الشارع. ألن يدعوه الشيخ إلى الداخل؟

سأل الشيخ: «هل عرفت ابني؟»

تلك على الأقل إحدى كلمات السر. أعطى سايتل الرد المناسب، مُبقيًا عينيه يقظتين طوال الوقت تحسبًا لأي ظروف مريبة في محيطه. لم يرق له مكانه هنا. كان الشارع مسدودًا، ينتهي بهذا البيت. كانت البيوت من حوله، المشيدة من أجل قدامى محاربي الجهاد، تشكّل ضاحية في أراكين امتدت حتى الحوض الإمبراطوري بعد «تيماج». كانت الجدران المحيطة بهذا الشارع أسطحًا جرداء من البلاز ميلد تتخللها ظلال معتمة تتمثل في مداخل البيوت المغلقة، وهنا وهناك خربش عليها عبارات

بذيئة. بجوار هذا الباب بالضبط كتب أحدهم بالطباشير إعلاناً بأن «بريس» نجل الشيخ قد أعاد إلى كتيب مرضاً بغيضاً سلب منه فحولته.

سأل الشيخ: «هل أتيت في صحبة؟»

قال سايتل: «بمفردي».

تحنح الشيخ. ولا يزال التردد جلياً على ملامحه بطريقة مؤثرة.

حافظ سايتل على صبره. اتصال بهذا الأسلوب يحمل مخاطره الخاصة. ربما عرف الشيخ شيئاً يبرر التصرف بتلك الطريقة. بيد أنها كانت الساعة الصحيحة. كانت الشمس الشاحبة تقف فوق رؤوسهما مباشرة تقريباً. سكان هذا الحي لا يزالون يفلقون أبواب منازلهم حتى يناموا خلال الجزء الحار من النهار.

تساءل سايتل: هل كان الجار الجديد سبب إزعاج الشيخ؟ عرف أن البيت الملاصق خُصص لعثيم، الذي كان ذات يوم عضواً في مفاوير الموت من الفدائيين المخيفين. وبجاز، القزم-المحفز ينتظر برفقة عثيم.

أعاد سايتل ناظره إلى الشيخ، ولاحظ الكمّ الفارغ المتدلي من الكتف اليسرى وعدم ارتدائه بذلة تقطير. أحاطت هذا الشيخ هالة من الزعامة. لم يكن متشدداً في الجهاد.

سأل الشيخ: «هلا عرفتُ اسم الزائر؟»

قمع سايتل تهيدة ارتياح. قُبِل في النهاية. قال ذاكرًا الاسم

المخصص لهذه المهمة: «أنا زائل».

«أنا فاروق، الباشار السابق للفيلق التاسع في الجهاد. هل يعني ذلك لك أي شيء؟»

قال سايتل وقد استشف وعيداً في كلمات فاروق: «وُلِدت في سييتش تاير مُقسماً بالولاء إلى ستيلجار».

مسترخياً، تنحى فاروق جانباً: «أنت مرحبٌ بك في منزلي».

انسل سايتل متجاوزاً فاروق إلى داخل ردهة معتمة- أرضية قرميديّة زرقاء، وتصاميم براقّة من الكريستال فوق الجدران. يمتد وراء الردهة فناء مسقف، والضوء المنبعث من مرشحات شفافة، ينشر بريقاً فضياً كالليلة البيضاء للقمر الأول. احتك الباب في أثناء انفلاقه بأقفال الرطوبة ورائه.

قال فاروق وهو يقود الطريق صوب الفناء: «كنا نبلاء. لم نكن من المنبوذين. ولم نعش في قرية أخاديد... مثل هذه! امتلكننا سييتشاً لائقاً في الجدار الحامي فوق تلال الحبانية. وكان بوسع دودة واحدة أن تحملنا إلى الكديم، الصحراء الداخلية».

«ليس مثل هذه»، اتفق معه سايتل، مدرِكاً الآن دافع فاروق للاشتراك في المؤامرة. اشتاق الفرمني إلى الأيام الخوالي، والطرائق القديمة.

دخلا الفناء.

أدرك سايتل: فاروق يصارع مقتناً شديداً تجاه زائره. لم يثق الفرمني بالأعين التي لم تكن أعين عباد التامة الزرقة. دأب الفرمني على القول: للأجانب أعين شاردة ترى أشياء لا يُفترض أن تراها.

انقطعت موسيقى السموتا لحظة دخولهما. وحل محلها

مداعبة أوتار آلة باليست، أولاً ضربة وتر من الدرجة التاسعة، ثم
نغمات واضحة لأغنية كانت شائعة في كوكب ناراج.
في حين راحت عيناه تتكيفان مع الضوء، شاهد شاباً يجلس
القرفصاء فوق ديوان منخفض أسفل أقواس حجرية إلى يمينه.
عينا الشاب محجران فارغان. بتلك القدرة الخارقة للعميان، بدأ
يفني في اللحظة التي ركز فيها سايتل عينيه عليه. كان الصوت
جهورياً وعذباً:

ريح صرصر عصفت بالأرض،

وبالسماء،

وبكل الرجال!

من هذه الريح؟

الأشجار تقف غير محنية،

تشرب حيثما شرب الرجال.

لقد عرفت الكثير من الكواكب،

والكثير من الرجال،

والكثير من الأشجار

والكثير من الرياح.

لاحظ سايتل: لم تكن تلك كلمات الأغنية الأصلية. قاده فاروق
بعيداً عن الشاب، إلى الجانب المقابل أسفل الأقواس، وأشار إلى
الوسائد المتناثرة فوق أرضية مبلّطة. البلاط منقوش بمخلوقات
بحرية.

قال فاروق مشيراً إلى ربوة سوداء مستديرة: «هنا وسادة قعد فوقها المؤدّب ذات مرة في السييتش. هي لك الآن».

قال سايتل وهو يجلس فوق الربوة السوداء: «أنا مدين لك».

عكس فاروق حكمة. المرء الحكيم يتحدث بالولاء حتى بينما يستمع إلى أغانٍ بمعانٍ خفية، وكلمات مُحَمَّلة برسائل سرية. من بوسعه إنكار القوى الرهيبة للإمبراطور الطاغية؟

قال فاروق مُقْحَمًا كلماته عبر الأغنية دون أن يكسر الإيقاع: «هل تُزعجك موسيقى ابني؟»

أشار سايتل إلى وسادة تواجهه، وأسند ظهره إلى دعامة بارد: «أنا أستمتع بالموسيقى».

«فقد ابني عينيه في غزو ناراج. أُسْعِفُ هناك، وكان يجب أن يبقى. لا امرأة من الشعب هنا سوف تقبل به في هذه الحالة. بيد أنني أجد الأمر مثيراً للفضول أن أعرف امتلاكي أحفاداً في ناراج قد لا أراهم أبداً. هل تعرف كوكب ناراج يا زائل؟»

قال سايتل: «في شبابي. تجولت هناك مع فرقة من رفقائي من راقصي الوجوه».

قال فاروق: «أنت راقص وجه إذاً. تعجبت من ملامحك. تذكرني برجل عرفته يوماً هنا».

«دانكن آيداهو؟»

«ذاك هو، أجل. خبير في فنون النزال في بلاد الإمبراطور».

«يُقال إنه قُتِلَ».

وافقه فاروق: «يُقال ذلك. هل أنت رجل حقاً، إذا؟ سمعت قصصاً عن راقصي الوجوه...». هز كتفيه.

قال سايتل: «نحن خُنْثى جاداتشا. يمكننا تقمص أيُّ الجنسين حسب الرغبة. في الوقت الحاضر، أنا رجل».

ضم فاروق شفّتيه مفكراً ثم قال: «هل أطلب المرطبات؟ هل تشتهي الماء؟ فاكهة مثلجة؟»

قال سايتل: «الحديث سيكفي».

قال فاروق مستقراً فوق الوسادة المواجهة لسائتل: «أمنية الضيف أمر».

قال سايتل: «بُورك أبو الدهور، العارف بطرائق الزمن اللامحدودة». وفكر: هَاك! قد أخبرته بصراحة أنني أتيت من طرف رجل توجيه النقابة وأن قدرة ملاح النقابة الاستبصارية تحجب لقاءنا عن المؤدّب.

قال فاروق طاوياً يديه في حجره في تشابك شعائري: «بُورك ثلاث مرات»، كانت أيادي عجوز كثيفة العروق.

قال سايتل كاشفاً عن رغبته في مناقشة حصن الإمبراطور: «شيء يُرى من مسافة يُظهر فقط إطاره الخارجي».

قال فاروق ناصحاً بالتأجيل: «ما هو مظلّم وشر سيُرى شراً من أي مسافة».

تساءل سايتل: لماذا؟ لكنه قال: «كيف فقد ابنك عينيه؟»

«استخدم مدافعو ناراج حارق صخور. كان ابني قريباً جداً. الأسلحة الذرية اللعينة! حتى حارق الصخور يجب أن يُحظر».

وافق سايتل: «ذلك التفاف على مقصد القانون». وفكر: حارق صخور في ناراج! لم نتلق خبراً بذلك. لماذا يتحدث هذا الرجل العجوز عن حارقات الصخور هنا؟

«عرضت شراء أعين تليلاكسو له من أسياذك. لكن هناك قصة منتشرة في الفيالق أن أعين التليلاكسو تستعبد مستخدميها. أخبرني ابني أن تلك الأعين معدنية وهو من لحم، أن مثل هذا الاتحاد لا بدّ أنه آثم».

قال سايتل محاولاً أن يعيد المحادثة إلى المعلومات التي ينشدها: «إطار الشيء يجب أن يناسب مقصده الأصلي».

أطبق فاروق شفثيه لكنه أوماً: «تحدث بصراحة عما تشاء. يجب أن نضع ثقتنا في ملاح النقابة المشارك في المؤامرة».

سأل سايتل: «هل دخلت الحصن الإمبراطوري من قبل؟»

«كنت هناك من أجل حضور مأدبة الاحتفال بنصر موليتور. كان الجو بارداً داخل ذلك المبنى الحجري رغم وجود المدافئ الفضائية من إيكس. نمنا فوق شرفة معبد عالية الليلة السابقة للاحتفال. لديه أشجار هناك كما تعلم.. أشجار من كواكب مختلفة. نحن الباشار كنا نرتدي أفضل ما لدينا من الأردية الخضراء، واتخذنا موائدنا بعيداً عن الآخرين. أكلنا وشربنا الكثير. كنت مشمئزاً من بعض الأشياء التي رأيتها. الجرحى القادرون على السير أتوا وهم يجرون أنفسهم متكئين على عكازاتهم. لا أعتقد أن مؤدبنا يعرف عدد الرجال الذين تسبب في إصابتهم بالعاهات».

سأل سايتل من منطلق معرفته بعريجات الفرمن التي تثيرها بيرة الاسپايس: «اعترضت على المأدبة؟» قال فاروق: «لم تكن مثل تمازج أرواحنا في السييتش. لم يكن هناك طاو. ومن أجل الترفيه، حظي القوات بإماء من الفتيات، وتشارك الرجال قصص معاركهم وجروحهم».

«إذا فقد كنت داخل المبنى الحجري العظيم».

«خرج المؤدّب إلينا فوق الشرفة. وقال: «حظ سارٌّ لنا جميعاً،

صوت الحفر المُرحّب للصحراء في ذلك المكان!»

سأل سايتل: «هل تعرف موقع أجنحته الخاصة؟»

«في أعماق الحصن. في مكان عميق بداخله. قيل لي إنه

وتشاني يعيشان حياة بدوية، وكل هذا داخل جدران حصنهما.

يخرج إلى القاعة الكبرى للقاء الحضور من العامة. لديه قاعات

استقبال وأماكن اجتماع رسمية، وجناح كامل مخصص لحرسه

الشخصي، وأماكن للاحتفالات، وقسم داخلي للاتصالات. وقيل

لي إن هناك حجرة عميقة أسفل حصنه حيث يحتفظ بدودة

غير مكتملة النمو، محاطة بخندق مائي، يسممها به. هناك حيث

يستشرف المستقبل».

فكر سايتل: الأسطورة متشابكة مع الحقائق.

قال فاروق مُتذمّراً: «جهاز الحكومة يرافقه في كل مكان.

موظفون وكتبة ومعاونون، ومعاونون للمعاونين. لا يثق إلا بأشخاص

من أمثال ستيلجار، الذين كانوا مقربين جداً منه في الأيام

الخوالي».

قال سايتل: «لا يثق بك؟».

قال فاروق: «أعتقد أنه نسي وجودي».

سأل سايتل: «كيف يروح ويجيء عندما يغادر ذلك المبنى؟»

«لديه مهبط طائرات ثوبتر صغير، يمتد من جدار داخلي. قيل

لي إن المؤدّب لا يسمح لغيره بأن يتولى قيادة الثوبتر عند الهبوط

هناك. يُقال إن الأمر يستلزم أسلوباً معيناً حيث أقل خطأ في

الحسابات سوف يُسْقِطه فوق جدار شديد الانحدار إلى داخل إحدى حدائقه الملعونة».

أوماً سايتل. هذا صحيح على الأرجح. مثل هذا المدخل الجوي إلى مقر إقامة الإمبراطور سيحمل قدرًا معينًا من الأمان. كان آل آترديز جميعًا طيارين ماهرين.

قال فاروق: «يستخدم الرجال لنقل رسائله المُكَوِّدة. إنه يحط من قدر الرجال بأن يزرع فيهم مترجمي موجات. يجب أن يكون صوت الرجل هو صوته الحقيقي ليأمر به. ولا ينبغي أن يحمل رسالة رجل آخر مخبأة داخل نبرات صوته».

هز سايتل كتفيه. استخدمت جميع القوى العظمى المُكَوِّدات في هذا العصر. لا يمكن للمرء أن يعرف أبدًا ما العقبة التي قد توضع بين مرسل الرسالة ومتلقيها. تغلبت المُكَوِّدات على التشفير السياسي إذ اعتمدت على انحراف دقيق في أنماط الصوت الطبيعية التي يمكن خلطها بتعقيدات هائلة.

اشتكى فاروق: «حتى مسؤولو الضرائب الموالين له يستخدمون هذه الطريقة. في أيامنا، كانت المُكَوِّدات تُزرع فقط في الحيوانات الدنيا».

اعتقد سايتل: معلومات أرباح الاسپايس يجب أن تبقى سرية. سقطت أكثر من حكومة لأن الناس اكتشفوا الحجم الحقيقي للثروة الرسمية.

سأل سايتل: «ما شعور جماعات الفرمن الآن تجاه جهاد المؤدّب؟ هل يعترضون على صنع إله من إمبراطورهم؟»

قال فاروق: «معظمهم لا يفكر في هذا حتى. هم يرونه بالطريقة التي رأيتهم بها سابقاً - غالبيتهم على الأقل. يعدّون الجهاد مصدر تجارب غريبة، ومغامرة، وثروة. هذا الكوخ المتصدع الذي أعيش فيه» - أشار فاروق إلى الفناء - «يكلف ستين ليدياً من الاسپايس. أي تسعين قنطاراً! كان هناك زمن لم أكن أستطيع حتى تخيل مثل هذه الثروات». هز رأسه.

راح الشاب الأعمى في الجهة المقابلة للفناء، يعزف نغمات أغنية حب شعبية على الباليست. مكتبة .. سُرْمَن قرأ فكَر سَايْتَل: تسعون قنطاراً. يا للفرابة. ثروات عظيمة بالفعل. كوخ فاروق سيكون قصيراً في كواكب أخرى كثيرة لكن الأشياء كلها نسبية - حتى القنطار. هل يعرف فاروق، مثلاً، من أين أتى مقياسه لهذا الوزن من الاسپايس؟ هل فكَر في دخيلة نفسه أن قنطاراً ونصف القنطار كان يساوي ذات مرة حمولة جَمَل؟ غير جائز. ربما لم يسمع فاروق حتى بالجمال أو بالعصر الذهبي لكوكب الأرض.

قال فاروق، كلماته تتماشى بفرابة مع إيقاع لحن باليست ابنه: «امتلكتُ سكيناً عاجية، وحلقات مياه حتى عشرة لترات، وقارورة مصنوعة من الزجاج الأحمر أقدم من أي ذكرى في سييتشي. كان لي حصتي من الاسپايس، لكن لا مال. كنت غنياً، ولم أعرف بذلك. وكان لدي زوجتان: إحداهما عادية المنظر وعزيزة عليّ، والأخرى غبية وعنيدة لكن بهيئة ووجه ملاك. كنت نائباً فرمناً، وراكب دودة، وسيد لويathan والرمال». عبر الفناء رفع الشاب إيقاع لحنه.

قال فاروق: «عرفت الكثير من الأشياء دون الحاجة إلى التفكير فيها. عرفت أن هنالك مياهًا عميقة تحت رمالنا، تحتجزها هناك الصانعات الصغيرة. عرفت أن أسلافي ضحوا بالعداوى إلى الشّي هولوود... قبل أن يُوقفنا لبيت كاينز. كان من الخطأ أن نتوقف لمشاهدة الجواهر في فم دودة. كان لروحي أربع بوابات، وقد عرفتُها جميعًا».

صمت مفكرًا.

قال سايتل: «ثم جاء آتريديز برفقة أمه الساحرة».

وافقه فاروق: «جاء آتريديز. ذاك الذي سميناها أصول في سييتشنا، اسمه السري بيننا. مؤدّبنا، مهدينا! وعندما نادى إلى الجهاد، كنت من أوائل من سألوا: «لماذا يجب أن أذهب إلى القتال هناك؟ ليس لدي أقارب هناك». لكن الرجال الآخرين ذهبوا.. شبان وأصدقاء ورفقاء طفولتي. عندما رجعوا، تحدثوا عن السحر، عن القوة الكامنة في هذا المنقذ آتريديز. قاتل عدونا، هاركونن. لبيت كاينز الذي وعدنا بجنة على كوكبنا، باركه. قيل إن آتريديز أتى ليغير كوكبنا وعالمنا، إنه الرجل الذي سيجعل الزهرة الذهبية تفتح في الليل».

رفع فاروق يده، وفحص كفيّه: «أشار الرجال إلى القمر الأول، وقالوا: «روحه هناك». وهكذا سُمي المؤدّب. لم أفهم كل هذا». خفض يديه، وحدق عبر الفناء إلى ابنه: «لم يكن لدي أي أفكار في رأسي. كان هناك أفكار فقط في قلبي وبطني وخاصرتي».

مجددًا، علا إيقاع الموسيقى في الخلفية.

قال فاروق: «هل تعلم لماذا تجندت في الجهاد؟» حدقت
الأعين العجوز بشدة إلى سايتل: «سمعت عن وجود شيء يُدعى
بحر. كان من الصعب جدًا تصديق وجود بحر في حين عشت
فقط هنا وسط الكثبان. لا نملك بحارًا. رجال كئيب لم يعرفوا
قطّ أي بحر. لدينا مصائد رياح. نجمع المياه من أجل التغيير
العظيم الذي وعدنا به لييت- كاينز... هذا التغيير العظيم الذي
سيجلبه المؤدّب بتلويحة من يده. يمكنني تصور قناة، مياه تتدفق
عبر أرض في قناة. بالاستعانة بهذه الصورة، استطاع ذهني تخيل
نهر.. لكن بحر؟»

حدق فاروق إلى الغطاء الشفاف للفناء كأنه يحاول النظر إلى
الكون المائل وراءه.

قال بصوت خفيض: «بحر. كأنه شيء يفوق قدرة ذهني على
التخيل. مع ذلك، رجال عرفتهم قالوا إنهم رأوا هذه الأعجوبة.
اعتقدت أنهم يكذبون لكن كان عليّ أن أعرف بنفسني. لهذا السبب
تجندت.»

ضرب الشاب وترًا أخيرًا عاليًا على الباليست ثم بدأ يعزف
أغنية جديدة بإيقاع متموج غريب.

سأل سايتل: «هل وجدت بحرك؟»

ظل فاروق صامتًا، وظن سايتل أن الشيخ لم يسمعه. تعالت
موسيقى الباليست من حولهم، وبدت أشبه بحركة مدّ. تنفس
فاروق على إيقاعها.

قال فاروق وقد عاد إلى الحاضر: «كان بوسع أحد الفنانين
الكبار أن يرسم مثل هذا الغروب. كان مخضّبًا بالأحمر، نفس لون

الزجاج في قارورتي. وكان هناك لون ذهبي... وأزرق. كان ذلك على الكوكب الذي يسمونه إنثيل، الكوكب الذي قادت فيه فيلتي إلى النصر. خرجنا من ممر جبلي حيث كان الهواء مشبعًا بالمياه. بالكاد استطعت تنفسه. ثم تحتي كان الشيء الذي أخبرني عنه أصدقائي: مياه تمتد بقدر ما أستطيع أن أرى، وأبعد. هبطنا إليه. سرت داخله وارتويت. كان مُرًا، وأصابني بالإعياء. لكن روعته لم تبرحني قط».

وجد سايتل نفسه يشارك الفِرمني العجوز إعجابه.

قال فاروق ناظرًا إلى الكائنات المائية المنقوشة فوق بلاط أرضية منزله: غمرت نفسي في ذلك البحر. وغاص أحد الرجال تحت تلك المياه... ونهض أحدهم من داخله. شعرت بأنني أستطيع تذكر ماضٍ لم يكن قط. حدقت حولي بعينين تستطيعان قبول أي شيء... أي شيء على الإطلاق. شاهدت جثة في المياه- أحد المدافعين الذين ذبحناهم. كان هناك جذع قريب تدعمه تلك المياه، قطعة من شجرة ضخمة. أستطيع أن أغمض عيني الآن، وأرى ذلك الجذع. كان أسود عند إحدى نهايتيه بسبب حريق. وكان هناك قطعة قماش في تلك المياه.. لا تزيد على خرقة قماش صفراء.. ممزقة ومتسخة. نظرت إلى كل تلك الأشياء، وفهمت لماذا أتينا إلى هذا المكان. حتى أراه».

استدار فاروق ببطء، وحدق في عيني سايتل. قال: «الكون غير منتهٍ كما تعرف».

فكر سايتل: كان هذا ثرثرة لكن عميقة. ثم قال: «يمكنني أن أرى أنه ترك انطباعًا عميقًا فيك».

قال فاروق: «أنت تليلاكسو. شاهدت بحورًا عديدة. أنا شاهدتُ هذا البحر فقط، لكنني أعرف شيئاً عنها لا تعرفه أنت.»
وجد سايتل نفسه في قبضة شعور مضطرب عجيب.
«أم الفوضى مولودة في بحر. وقف المفوض بالكِزارة قريباً عندما خرجت مبللاً من تلك المياه. لم يلج البحر قط. وقف فوق الرمال... كان رملاً مُبللاً.. مع بعض رجالي الذين شاركوه خوفه. شاهدني بعينين عرفت أنني علمت شيئاً عصياً عليه. صرت مخلوق بحر وقد أربعه ذلك. البحر شفاني من الجهاد، وأعتقد أنه رأى هذا.»

أدرك سايتل أنه عند نقطة معينة من هذا السرد، توقفت الموسيقى. أزعجه أنه عاجز عن تحديد اللحظة التي سكت فيها باليسِت.

كما لو كان ذا صلة بما كان يحكيه، قال فاروق: «كل بوابة محروسة. لا طريق إلى داخل قلعة الإمبراطور.»
قال سايتل: «تلك نقطة ضعفها.»
مدَّ فاروق رقبته إلى أعلى، محدقاً.

شرح سايتل: «هناك طريقة للدخول. حقيقة أن معظم الرجال- بمن فيهم الإمبراطور كما نتمنى- يعتقدون خلاف ذلك... تلك أفضلية لنا.» فرك شفتيه، شاعرًا بالغرابة في الوجه الذي اختاره. صمت الموسيقى ضايقه. هل يعني ذلك أن نجل فاروق انتهى من نقل الرسالة المشفرة؟ كانت هذه هي الطريقة، بطبيعة الحال: الرسالة تتكثف وتنتقل داخل الموسيقى. وانطبعت على النظام المحايد الخاص بسايتل، هناك حيث ستُحفَظ في اللحظة

المناسبة بواسطة المُكوِّدات الموجودة في قشرة غدته الكظرية. لو انتهت، فقد صار حاوية لكلمات مجهولة. كان وعاء مملوءاً بالبيانات: كل خلية من خلايا المؤامرة هنا على أَرَاكس. كل اسم، كل عبارة اتصال- كل المعلومات الحيوية.

بهذه المعلومات، يمكنهم أن يتحدوا أَرَاكس، ويُمسكوا دودة رملية، ويبدؤوا دورة إنتاج المِزاج في مكان ما خارج نطاق أوامر المؤدِّب. يمكنهم كسر الاحتكار مع كسر المؤدِّب. يمكنهم فعل أشياء كثيرة بهذه المعلومات.

قال فاروق: «لدينا المرأة هنا. هل ترغب في رؤيتها الآن؟»

قال سايتل: «رأيتها بالفعل. درستها بعناية. أين هي؟»

فرقع فاروق بإصبعيه.

التقط الشاب ربابته، وسحب قوسه فوقه. تعالت موسيقى السموتا من الأوتار. كما لو أن الصوت يشدها، ظهرت امرأة برداء أزرق من مدخل باب وراء الشاب الموسيقي. بلادة المُخدَّر ملأت عينيها التي كانت عيون عباد تامة الزرقة. كانت فرمونية، مدمنة على الاسپايس، والآن أصابتها رذيلة لا عهد للفرمن بها- إدمان مخدر السموتا. استحوذت السموتا على ذهنها، وباتت ضائعة في مكان ما، ممتطية نشوة الموسيقى.

قال فاروق: «ابنة عثيم. أعطها ابني المخدر أملاً في الفوز

بامرأة من الشعب لنفسه رغم عماه. كما تستطيع أن ترى، كان نصره فارغاً. أخذت السموتا ما كان يأمل في أن يكسبه.»

سأل سايتل: «لا يعرف أبوها؟»

قال فاروق: «لا تعرف هي حتى. يزودها ابني بذكريات كاذبة تُعلل بها لنفسها زياراتها. تعتقد أنها واقعة في غرامه. هذا ما تعتقده أسرتها أيضاً. هم ساخطون لأنه رجل غير كامل، لكنهم لن يتدخلوا بالطبع».

تراجعت الموسيقى حتى سكتت.

بإشارة من الموسيقي الأعمى، جلست المرأة الشابة بجانبه، وانحنت مقتربة لتستمع في حين يتمم إليها.

سأل فاروق: «ماذا ستفعل بها؟»

مجدداً فحص سايتلِ الفناء. سأل: «من غيرنا في المنزل؟»

قال فاروق: «نحن كلنا هنا الآن. لم تقل لي ماذا ستفعل بهذه المرأة. ابني من يود أن يعرف».

كأنه على وشك الإجابة، مدَّ سايتلِ ذراعه اليمنى. من كمِّ رداءه، انطلقت إبرة متألثة، انغrustت في عنق فاروق. لم تكن هناك صرخة أو تغير في وضعية جلوسه. سيموت فاروق في غضون دقيقة لكنه جلس بلا حراك، متجمداً بفعل سم الإبرة. ببطء، نهض سايتلِ على قدميه، وعبر إلى الموسيقي الأعمى. كان الشاب لا يزال يتمم إلى المرأة الشابة عندما ارتطمت الإبرة به.

أمسك سايتلِ بذراع المرأة الشابة، وحثّها برقة حتى تنهض، وغير مظهره قبل أن تنظر إليه. وقفت منتصبه وركزت عليه.

سألت: «ما الأمر يا فاروق؟»

قال سايتلِ: «ولدي مُتعب، ويجب أن يرتاح. هيا. سنخرج من الطريق الخلفية».

قالت: «حظينا بحديث لطيف. أعتقد أنني أقنعتُه بأن يحصل على أعين تليلاكسو. ستجعل منه رجلاً من جديد».

سأل سايتل وهو يحثها على الدخول إلى حجرة خلفية: «ألم أقل هذا عدة مرات؟»

صوته، الذي أضفى عليه نبرة فخر تطابق بدقة مع ملامحه. كان بلا شك صوت فرماني عجوز، كان ميتاً قطعاً بحلول هذا الوقت.

تهد سايتل. أخبر نفسه: تمَّ الأمر برأفة، والضحايا علموا قطعاً بهلاكهم. والآن يجب إعطاء المرأة الشابة فرصتها.

لا تعاني الإمبراطورات فراغَ الغاية وقت تكوُّنها.
عندما تُصبح مؤسسة وراسخة، تضيع الأهداف
ويُستبدل بها طقوس غامضة.

«كلمات المؤدّب» للأميرة إيrolان

أدركت عالية: ستكون جلسة سيئة، هذا الاجتماع للمجلس
الإمبراطوري. أحست بالخلاف يقوى، ويخترن الطاقة- الطريقة
التي أبت بها إيrolان أن تنظر إلى تشاني، وتقلب ستيلجار
الأوراق بعصبية، والنظرات العابسة التي يوجهها پول إلى قائد
الكِزارة كُرية.

اتخذت مجلسها في نهاية مائدة المجلس الذهبية حتى
تستطيع أن تُلقي نظرة خارج نوافذ الشرفة إلى الضوء المغبّر
لفترة ما بعد الظهيرة.

واصل كُرية، الذي قاطعه دخولها، الحديث عن شيء كان يقوله
لپول: «ما أقصده يا مولاي، أنه لا يوجد عدد من الآلهة كما كان
في السابق».

ضحكت عالية، رامية رأسها إلى الوراء. أسقطت الحركة
القلنسوة السوداء لعباءتها. تبدّت ملامحها- «عيون مزاج» تامة
الزرقة، ووجه أمها البيضاوي تحت قبعة من الشعر البرونزي،
وأنف صغير، وفم واسع ومكتنز الشفتين. اكتسى خدا كُرية بلون
يكاد يُماثل لون رداءه البرتقالي. حدّق في عالية، أشبه بجنوم
غاضب، أصلع، يستشيط غضبًا.

سأل: «هل تعرفين ما يُقال عن أخيك؟»

ردَّت عليه: «أعرف ما يُقال عن كِزارتك. أنتم لستم مقدسين، أنتم جواسيس الإله».

حدق كُرية إلى پول ناشدًا المساندة: «بُعُثنا بتفويض من المؤدِّب، أنه سيعرف حقيقة شعبه، وسيعرفون حقيقته».

قالت عالية: «جواسيس».

زَمَّ كُرية شفّيته في صمت مجروح.

نظر پول إلى شقيقته، متسائلًا لماذا استفزت كُرية. وإذ به يرى أن عالية قد انتقلت إلى الأنوثة، جميلة ببراءة الشباب المشتعلة الأولى. فوجئ بأنه لم يلاحظ ذلك من قبل. كانت في الخامسة عشرة من عمرها - السادسة عشرة تقريبًا، أم موقرة دون أمومة، كاهنة عذراء، موضع تبجيل مُخيف للجماهير المتطيِّرة - عالية حامله السكين.

قالت إيرولان: «ليس هذا هو الوقت أو المكان المناسب لعبث أختك».

تجاهلها پول، وأومأ إلى كُرية. «الساحة مملوءة بالحجيج. اخرج وقد صلاتهم».

قال كُرية: «لكنهم يتوقعونك يا مولاي».

قال پول: «ارتد عماملك. لن يعرفوا أبدًا من هذه المسافة».

اختنقت إيرولان بالحنق بسبب تجاهله لها، وراقبت كُرية ينهض مطيعًا.

ساورتها فكرة مقلقة مفاجئة أن إدريك قد لا يخفي أفعالها عن عالية. تساءلت: ماذا نعرف حقًا عن الأخت؟

نظرت تشاني، يداها مشدودتان بإحكام في حجرها، عبر المائدة إلى ستيلجار، عمها، ووزير في حكومة پول. تساءلت: هل اشتاق النائب الفرمني العجوز إلى بساطة الحياة في سييتشه الصحراوي؟ لاحظت أن شعر ستيلجار الأسود قد بدأ يشيب عند الحواف، لكن عينيه تحت الحواجب الكثّة ظلّتا ثابتتين. كانت تلك هي نظرة النسر في البرية، ولا تزال لحيته تحمل بصمة أنبوب الترشيح من الحياة الطويلة داخل بذلة التقطير.

متوترًا من انتباه تشاني، جال ستيلجار بعينه في قاعة المجلس. وقعت نظراته على نافذة الشرفة وكُرْبَة واقفًا في الخارج. رفع كُرْبَة ذراعين ممدودتين للمباركة، وألقت أشعة شمس الظهيرة بهالة حمراء على النافذة خلفه. للحظة، رأى قائد الكِزارة شخصًا مصلوبًا على عجلة نارية. أنزل كُرْبَة ذراعيه، وتحطم الإيهام، لكن ستيلجار ظل مهزوزًا بسببه. انتقلت أفكاره في حالة من الإحباط الغاضب إلى المتضرعين المتملقين المنتظرين في قاعة الحضور، وإلى الأبهة البغيضة التي أحاطت بعرش المؤدّب. فكر ستيلجار: مع الاجتماع بالإمبراطور، كان المرء يأمل في أن يجد عيبًا فيه، أن يعثر على أخطاء. شعر أن هذا قد يكون تدنيسًا لمقدس، لكنه أراد ذلك على أي حال.

دخلت غمغمة الجماهير البعيدة الغرفة عند عودة كُرْبَة. اصطدم باب الشرفة بمصرعيه وراءه كاتمًا الصوت. تبعت نظرة پول قائد الكِزارة. جلس كُرْبَة في مقعده إلى يسار پول، ملامحه القاتمة متماسكة، وعيناه تلمعان بالتعصب. استمتع بلحظة القوة الدينية تلك.

قال: «استُحضر الوجود الروحاني في نفوس المتضرعين».

قالت عالية: «شكرا للمولى على ذلك».

ابيضت شفتا كُرية.

مجددًا، تفحصَ پول شقيقته، متسائلًا عن دوافعها. أخبر نفسه: براءتها تُخفي مكرًا. عالية كانت مثله نتاج برنامج تتاسل البني جيسيرت. ما الذي أنتجته جينات الكويزاتس هاديراك فيها؟ لطالما كان هناك ذلك الاختلاف الغامض: كانت جنيئًا في الرحم عندما نجت أمها من سم المزاج الخام. صارت الأم وابنتها غير المولودة أمتين موقرتين بشكل متزامن. لكن ذلك التزامن لم يحمل هوية واضحة.

عن التجربة، قالت عالية إنها أوقظت إلى الوعي في إحدى اللحظات المرعبة، وامتصت ذاكرتها الحيوانات الأخرى التي لا تُحصى والتي كانت والدتها تستوعبها.

قالت: «أصبحت أمي وكل الأخريات. لم أكن مُتشكِّلة، ولم أولد بعد، لكنني أصبحت امرأة عجوزًا في التو واللحظة».

مستشعرة أفكاره عنها، ابتسمت عالية إلى پول. لان تعبير وجهه. سأل نفسه: كيف يمكن لأي شخص أن يتجاوب مع كُرية بغير الدعابة الساخرة؟ ما الأكثر غرابة من تحوُّل أحد مغاوير الموت إلى كاهن؟

نقر ستيلجار على أوراقه. قال: «لو سمح لي مولاي، هذه أمور عاجلة ومُلحَّة».

سأل پول: «معاهدة تيوبايل؟»

قال ستيلجار: «تصرُّ النقابة على وجوب توقيعنا هذه المعاهدة دون معرفة الموقع الدقيق لاتفاق تيوبايل. حصلوا على بعض الدعم من مفوضي مجلس لاندسراد».

سألت إيرولان: «ما الضغوط التي فرضتها عليهم؟»

قال ستيلجار: «الضغوط التي حدَّدها إمبراطوري لهذا المشروع». احتوت الرسمية الصارمة في رده على رفضه التام للأميرة القرينة.

قالت إيرولان: «مولاي وزوجي»، والتفتت إلى پول لإجباره على الاعتراف بها.

فكَّر پول: تأكيد الاختلاف في الألقاب أمام تشاني ضعف. في مثل هذه اللحظات، شارك ستيلجار كراهية إيرولان، لكن الشفقة هدأت عواطفه. ماذا كانت إيرولان سوى بيدق للبني جيسيرت؟

قال پول: نعم؟

حدقت إيرولان إليه: «لو منعت عنهم المزاج...»

هزت تشاني رأسها معترضة.

قال پول: «علينا الاحتياط. لا تزال تيوبايل ملجأ للبيوت الكبرى المهزومة. تيوبايل يرمز إلى الملاذ الأخير، مكان نهائي لسلامة جميع رعايانا. كُشف موقع الملجأ يجعله عرضة للخطر».

قال ستيلجار محتدًا: «إنَّ كان بوسعهم إخفاء الناس فيمكنهم إخفاء أشياء أخرى. جيش ربما، أو بدايات مجتمع لإنتاج المزاج» قالت عالية: «لا ينبغي أن تدفع الناس إلى الزاوية. ليس إذا كنت تريد أن يظلوا مسالمين». بحسرة، رأت أنها قد انجرت إلى الخلاف الذي توقعته.

قالت إيرولان: «إذًا أمضينا عشر سنوات من المفاوضات من أجل لا شيء».

قالت عالية: «لا فعل من أفعال أخي من أجل لا شيء».

التقطت مخرز كتابه وأمسكت به بتوتر. لاحظ پول تحكمها العاطفي الدقيق على نهج البني جيسيرت: التحديق الداخلي المتغلغل، والتنفس العميق. يكاد يسمعها وهي تكرر التعويذة. قالت الآن: «ماذا ربحنا؟»

قالت تشاني: «أبقينا النقابة فاقدة التوازن».

قالت عالية «نريد تجنب مواجهة حاسمة مع أعدائنا. ليست لدينا رغبة خاصة في قتلهم. هناك ما يكفي من إراقة الدماء التي تجري تحت راية آترديدز».

فكّر پول: تشعر بذلك أيضًا. غريب، يا له من إحساس بالمسؤولية الملحة الذي شعر به كلاهما تجاه ذلك الكون المتعارك الوثني بنشواته من السكينة والحركة الجامحة. تساءل: هل يجب أن نحميمهم من أنفسهم؟ يلعبون بالتفاهة في كل لحظة - حياة فارغة، وكلمات جوفاء. يطالبونني بالكثير جدًا. شعر بحلقه مشدود وممتلئ. كم عدد اللحظات التي سيخسرها؟ أي أبناء؟ وأي أحلام؟ هل كان يستحق الثمن الذي كشفته رؤيته؟ من سيسأل الأحياء في مستقبل بعيد جدًا، من سيقول لهم: «لكن لولا لمؤدّب، ما كنتم هنا».

قالت تشاني: «حرمانهم من حصتهم من المزاج لن يحل شيئًا. بل سيفقد ملاحو النقابة قدرتهم على رؤية الزمكان، وستفقد أخواتك من البني جيسيرت قدرتهن على معرفة الحقيقة. وقد

يموت بعض الناس قبل أوانهم. سوف ينقطع الاتصال. من يمكن أن يُلام؟»

قالت إيرولان: «لن يسمحوا بوصول الأمر إلى ذلك».

سألت تشاني: «لن يسمحوا؟ لماذا لا؟ من بوسعه أن يلوم النقابة حينذاك؟ سيكونون عاجزين، وبشكل واضح».

قال پول: «سنوقع على المعاهدة في ظل الظروف القائمة».

قال ستيلجار، عيناه مثبتتان على يديه: «مولاي، هناك سؤال في أذهاننا».

«أجل؟» أعطى پول الفرمني العجوز انتباهه الكامل.

قال ستيلجار: «لديك قدرات.. معينة. ألا تستطيع تحديد مكان تحالف تيوبايل رغمًا عن النقابة؟»

فكر پول: قدرات! لم يستطع ستيلجار أن يقول فحسب: «أنت مُستبصر. ألا تستطيع أن تتبع مسارًا في المستقبل يقود إلى تيوبايل؟»

نظر پول إلى سطح المائدة الذهبي. المشكلة نفسها دائمًا: كيف يمكنه التعبير عن حدود ما لا يمكن وصفه؟ هل يتحدث عن التشظي، المصير الطبيعي لكل القوى؟ كيف يمكن لشخص لم يجرب أبدًا تأثير المزاج في قدرة الاستبصار أن يتصور وعيًا لا يحوي زمكانًا محددًا، أو تحكّمًا شخصيًا في الصورة أو قدرة على التقاط الأحاسيس المرتبطة بالرؤية؟

حذق إلى عالية، ووجد انتباهها منصبًا على إيرولان. أحست عالية بحركته، والتفتت إليه، وأومات تجاه إيرولان. فهم ما تود قوله. أي إجابة سيعطيها سوف تجد طريقها إلى أحد تقارير

إيرولان الخاصة التي ترسلها إلى النبي جيسيرت. لم يستسلمن عن السعي وراء أي إجابة تتعلق بقدرات الكويزاتس هاديراك. لكن ستيلجار استحق إجابة ما. وفي ذلك الصدد، إيرولان أيضًا.

قال پول: «يحاول المبتدئون تصور الرؤية على أنها تخضع لقانون طبيعي». وضع يديه أمامه. «لكن سيكون من الصواب القول إن السماء تحدث إلينا، أن القدرة على استقرار المستقبل هي عمل متناغم لكيان الإنسان. بمعنى آخر، التنبؤ نتيجة طبيعية في موجة الحاضر. إنه يرتدي مظهر الطبيعة، كما ترى. لكن لا يمكن استخدام تلك القدرات من موقف يفيد أهداف وغايات معينة. هل تشير الرقاقة التي تعلق في موجة إلى أين تتجه؟ لا يوجد سبب وتأثير في النبوءة. تصبح الأسباب مناسبة للانتقال والاجتماع من خلال البصيرة، أماكن حيث تلتقي التيارات الزمنية. عند قبول الاستبصار، فأنت تملأ كيائك بمفاهيم منافية للعقل. لذلك فإن وعيك الفكري يرفضها. ومع الرفض، يصبح العقل جزءًا من عمليات الاستبصار، ويخضع إليها».

سأل ستيلجار: «لا تستطيع فعلها؟»

قال پول مخاطبًا إيرولان مباشرة: «لو بحثت عن تيوبايل بقدرتي الاستبصارية، فربما يُخفي هذا مكان تيوبايل».

قالت إيرولان: «فوضى! لا تمتلك أي.. أي استمرارية».

قال پول: «لقد قلت إنها لا تخضع لأي قانون طبيعي».

سألت إيرولان: «إذًا هناك حدود لما تستطيع أن تراه أو تفعله

بقدراتك؟»

قبل أن يستطيع پول الإجابة، قالت عالية: «عزيزتي إيرولان، الاستبصار ليس له حدود. هل الاستبصار ليس مستمرًا؟ الاستمرارية ليست جانبًا ضروريًا للكون». «لكنه قال...».

«كيف يستطيع أخي أن يمنحك معلومات واضحة عن حدود شيء لا حدود له؟ الحدود تتهرب من الذهن».

فكر پول: كان ما فعلته عالية شيئًا مريبًا. سوف ينبّه إيرولان التي تمتلك وعيًا حذرًا، وتعتمد بشدة على قيم مشتقة من حدود دقيقة. انتقلت نظراته إلى كُرْبَةِ الجالس في حالة من التأمل الديني- مستمعًا بروحه. كيف تستطيع الكِزارة الاستفادة من هذا التبادل؟ المزيد من الغموض الديني؟ شيء يثير الرهبة؟ لا شك في ذلك.

سأل ستيلجار: «إذًا فستوقع على المعاهدة بشكلها الحاضر؟» ابتسم پول. مسألة النبوءة، وفقًا لحكم ستيلجار قد أُغْلِقَتْ. يستهدف ستيلجار الانتصار فقط، وليس اكتشاف الحقيقة. السلام والعدالة وسك عملة سليم- تلك الأشياء ما يُرسي عالم ستيلجار. أراد شيئًا مرئيًا وحقيقيًا- توقيع معاهدة. قال پول: «سوف أوقعها».

أخرج ستيلجار مجلدًا جديدًا: «أحدث اتصال من القادة الميدانيين في قطاع إيكس يتحدث عن وجود تمرد يطالب بوضع دستور». حذق الفرمني العجوز إلى تشاني التي هزت كتفيها. إيرولان التي أغمضت عينيها ووضعت كلتا يديها فوق جبهتها في حشد استذكاري، فتحت عينيها، وأمغنت في النظر إلى پول باهتمام.

«كونفدرالية إيكس تقدم فروض الطاعة لكن مفاوضيها يشككون في كمية الضرائب الإمبراطورية التي...».

«يريدون حدوداً قانونية لإرادتي الإمبراطورية. من سيحكمني، اللانديسراد أم تشوم؟»

أخرج ستيلجار ورقة من المجلد. «أحد عملائنا أرسل هذه المذكرة من تجمع لأقليات تشوم. قرأ الشيفرة بصوت جامد: «يجب إيقاف محاولة العرش احتكار السلطة. يجب أن نقول الحقيقة عن آترديز، كيف أنه يناور من وراء التحالف الثلاثي لتشريع لانديسراد، والعقوبات الدينية، والكفاءة البيروقراطية.».

أعاد الورقة إلى المجلد.

هممت تشاني: «دستور».

حدق پول إليها ثم عاود النظر إلى ستيلجار. فكَرَّ پول: ها هو الجهاد يتعثر لكن ليس بالسرعة الكافية لإنقاذي. ولدت الفكرة توترات عاطفية بداخله.

تذكر أولى رؤى الجهاد القادم، الرعب والاشمئزاز الذي شعر بهما. الآن بالطبع عرف رؤى رعب أعظم. عايش عنفاً حقيقياً. رأى أتباعه الفِرمَن مشحونين بقوة صوفية، يكتسحون كل شيء أمامهم في الحرب الدينية. الجهاد اكتسب منظوراً جديداً. كان زائلاً بالطبع، سَورة مقتضبة قياساً إلى الأبدية، لكن أبعد منه قبعَت أهوال ستفوق أي شيء في الماضي.

فكَرَّ پول: كل هذا باسمي.

اقترحت تشاني: «ربما يمكن منحهم دستوراً شكلياً. يجب ألا يكون فعلياً.».

وافقت إيرولان: «الخداع أداة فن الحكم».

قال پول: «هناك حدود للسلطة، مثلما يكتشف دائماً أولئك

الذين يضعون آمالهم في دستور».

اعتدل كُرية خارجاً من جلسته المتأملة: «مولاي؟»

«أجل؟» وفكر پول، ها هو الآن! ها هو شخص قد يضمّر

تعاطفاً خفياً مع حكم متخيل للقانون.

قال كُرية: «نستطيع أن نبدأ بدستور ديني. شيئاً من أجل

المؤمنين الذين...».

انفعل پول: «للا سوف نجعل ذلك فرماً في المجلس. هل

تسجلين هذا يا إيرولان؟»

قالت إيرولان، صوتها فاتر من مقتها للدور الوضيع الذي

يفرضه عليها: «أجل يا مولاي».

قال پول: «الساتير تصبح الطغيان المطلق. الدستور قوة

منظمة بهذا الحجم بحيث يكون مهيمناً. الدستور سلطة اجتماعية

معبأة وليس لها ضمير. يمكن أن يسحق الأعلى والأدنى، ويزيل كل

كرامة وفردانية. للدستور نقطة توازن غير مستقرة، وبلا قيود.

لكن أنا لدي قيود. من منطلق رغبتني في توفير حماية مطلقة

لشعبي، أحظر وضع دستور. فرمان في المجلس، في تاريخه،

إلخ، إلخ...».

سأل ستيلجار: «ماذا عن مخاوف الإيكسيين بشأن الضرائب

يا مولاي؟»

أبعد پول انتباهه عن النظرة الغاضبة والمتجهمّة على وجه

كُرية وقال: «لديك اقتراح يا ستيل؟»

«يجب أن نتحكم في الضرائب، يا مولاي».

قال پول: «سعرنا للنقابة من أجل توقيعى معاهدة تيوبايل هو خضوع كونفدرالية إيكسين إلى ضرائبنا. لا يمكن للكونفدرالية التجارة دون نقل النقابة. سوف يدفعون».

«جيد جداً يا مولاي». فتح ستيلجار مجلداً آخر. تنحى وقال: «تقرير الكِزارة عن سالوسا سوكانداس. والد إيرولان يُخضع فيلقه لمناورات هبوط».

لاحظت إيرولان شيئاً لافتاً في كف يدها اليسرى. وخفق وريد في عنقها.

سأل پول: «إيرولان، هل ما زلت مصرة على الجدل بأن فيلق أبيك لا يعدو كونه لعبة؟»

سألت: «ماذا يمكن أن يفعل بفيلق واحد فقط؟» حدقت إليه بعينين ضيقتين.

قالت تشاني: «يمكنه التسبب في مقتله».

أوما پول: «وأنا من سألام على ذلك».

قالت عالية: «أعرف القليل من القادة في الجهاد، ممن سيبادرون إلى الانقراض لو علموا بذلك».

احتجت إيرولان: «لكنها قوة شرطته فقط!»

قال پول: «إذن هم ليسوا بحاجة إلى مناورات الهبوط. أقترح أن تحوي رسالتك الصغيرة التالية إلى أبيك مناقشة صريحة ومباشرة لآرائى حيال موقفه الحساس».

خفّضت ناظرها. «أجل يا مولاي. أتمنى أن يكون ذلك النهاية. سيصنع أباى شهيداً جيداً».

قال پول: «مهم... لن تبعث أختي رسالة إلى أولئك القادة الذين ذكرتهم دون أن أعطي الأمر بذلك».

قالت إيرولان: «هجوم على أبي سيحمل مخاطر أكثر من المخاطر العسكرية الواضحة. سيبدأ الناس في النظر إلى فترة حكمه بحنين معين».

قالت تشاني بصوتها الفِرمِني شديد الجدية: «سوف تتجاوزين الحد ذات يوم».

أمر پول: «كفى!»

وازن إعلان إيرولان عن الحنين العام - الآن ذلك شيء يحمل نبرة من الحقيقة. أثبتت إيرولان قيمتها.

قال ستيلجار مقدماً مجلداً آخر: «أرسلت البني چيسيرت مناشدة رسمية. يتمين استشارتك حيال الحفاظ على سلاتك».

نظرت تشاني إلى المجلد شذراً كأنه يحوي أداة مميتة.

قال پول: «أرسل لهم الأعذار المعتادة».

سألت إيرولان: «هل يجب أن نفعل ذلك؟»

قالت تشاني: «ربما.. هذا هو الوقت المناسب لمناقشة الأمر».

هز پول رأسه بجدة. لم تعلم أن هذا كان جزءاً من الثمن الذي لم يقرر بعد أن يدفعه.

لكن تشاني لم تتوقف. «لقد ذهبت إلى جدار الصلاة في سييتش تبر حيث ولدت. لجأت إلى الأطباء. ركعت في الصحراء وأرسلت أفكارى إلى الأعماق حيث يقيم الشي هولود لكن» - هزت كتفيها - «لا شيء يفيد».

فكر پول: العلم والخرافة كلاهما خذلاها. هل أخذتها بدوري،
بعدم إخبارها بما سيترتب على وجود وريث لآل آتريديز؟
رفع عينيه ليجد تعبير شفقة في عيني عالية. فكرة شفقة
أخته عليه نفّرتة. هل رأت هي أيضاً ذلك المستقبل المرعب؟
قالت إيرولان: «مولاي يجب أن يعرف المخاطر التي تحيق
بمملكته في حالة عدم وجود وريث. من الطبيعي أن يكون
من الصعب مناقشة هذه الأشياء، ولكن يجب طرحها علانية.
الإمبراطور أكثر من مجرد رجل. شخصيته تقود العالم. لو مات
دون وريث، سيعقب ذلك بالضرورة فتنة مدنية. بما أنك تحب
شعبك، فلا يمكنك تركهم هكذا؟»

نهض پول، وتوجه نحو نوافذ الشرفة. هبت ريح وراحت تبدد
الدخان المتصاعد عن حرائق المدينة. ظهرت السماء زرقاء-
فضية داكنة، خفف من حدة لونها سقوط الغبار المسائي من
الجدار الحامي. كان يحدق جنوباً إلى الجرف الذي يحمي أراضي
الشمالية من ريح كوريوليسية، وتساءل لماذا لا تستطع راحة باله
أن تجد مثل هذا الدرع.

جلس المجلس بصمت خلفه، مدركاً مدى قربه من الغضب.
أحس پول بالزمن يتدفق من خلاله. حاول إجبار نفسه على
هدوء متعدد التوازنات حيث يمكنه تشكيل مستقبل جديد.

فكر: انفصل.. انفصل.. انفصل. ماذا سيحدث لو أخذ
تشانني، واستقل ثوبتر وغادر معها، ناشداً ملجأً على كوكب
تيوبايل؟ سيصبح اسمه وراءه. سيجد الجهاد مراكز جديدة وأكثر
فضاعة ليولي وجهه شطرها.

سِيّلام على ذلك أيضًا. شعر فجأة بالخوف من أنه في سعيه لأي شيء جديد، قد يسمح بتداعي أئمن الأشياء، أن أقل ضجيج يصدر عنه قد يُودي بالكون إلى الانهيار، إلى الانحسار حتى لا يستطيع استعادة أي قطعة منه أبدًا.

أسفله، صارت الساحة مكانًا لزمرة من الحجيج في ثياب الحج الخضراء والبيضاء. شقوا طريقهم كثعبان ملتو وراء مرشد من أراكين واسع الخطى. ذكروا پول بأن قاعة استقباله ستكون ملأى بالمتضرعين الآن. الحجيج! صارت ممارستهم التشرّد مصدرًا مُقزّزًا للثروة لصالح إمبراطوريته. ملأ الحج طرق الفضاء بالصعاليك الدينيين. جاؤوا.. و جاؤوا.. و جاؤوا.

سأل نفسه: كيف حرّكتُ هذا؟

تحرّك بالطبع من تلقاء نفسه. كان في حينات ربما حُملت لقرون من أجل تحقيق هذه الدفقة المقتضية من الأحداث. بدافع من تلك الغريزة الدينية العميقة، جاء الناس مطالبين ببعثهم من جديد. انتهى الحج هنا - «أراكس، مكان ولادة جديدة، المكان حيث يجدر بالمرء أن يموت».

قال سنيد -فرمني عجوز- إنه يريد الحجيج من أجل مائهم. تساءل پول: بمَ كان الحجيج ينشدون حقًا؟ قالوا إنهم أتوا إلى مكان مقدّس لكن لا بد أنهم يعرفون أن العالم لا يتضمن مصدر لجنة عدن، أو تيوبايل للروح. سمو أراكس مكان المجهول حيث كل الألفاظ تُفسّر. كان رابطًا بين عالمهم والعالم التالي. والشيء المخيف أنه تراءى أنهم يغادرون راضين.

سأل پول نفسه: ماذا وجدوا هنا؟

كثيراً ما يملؤون الشوارع في نشوتهم الدينية بالصراخ كقفص طيور عجيب. في الحقيقة سمّاهم الفرمن، «الطيور المارّة»، والقليل الذين ماتوا هنا كانوا «أرواحاً مُجنّحة».

فكر پول متهدداً كيف أن كل كوكب أخضع فيالقه فتح منابع جديدة للحجيج. أتوا امتاناً لـ«سلام المؤدّب».

فكر پول: في كل مكان كان هناك سلام. في كل مكان... ما عدا قلب المؤدّب.

شعر بأن جزءاً منه يقبع منغمساً في ظلام جليدي رمادي بلا نهاية. قدرته الاستبصارية تلاعبت بصورة العالم التي احتفظت بها كل البشرية. هزّ النظام الكوني المتناغم الآمن واستبدل جهاده بالأمن. تفوق في القتال والتفكير والتوقع على عالم البشر لكن يقيناً معيناً ملأه بأن هذا العالم لا يزال مستعصياً عليه.

هذا الكوكب الممتد تحته، الذي أمر بأن يُعاد تشكيله من صحراء إلى جنة عامرة بالمياه، كان حياً. كان له نبض ديناميكي مثل نبض أي إنسان. قاتله، وقاومه، وتصل من أوامره... انسلت يدٌ إلى داخل يده. خفض عينيه ليرى تشاني تحديق إليه، والقلق في عينيها. تلك العيون أثملتته. همست: «أرجوك يا حبيبي، لا تصارع روحك».

تدفق من المشاعر سرى من يدها إليه، وملأه بالقوة.

همس: «سيهياً».

قالت بصوت خفيض: «يجب أن نذهب إلى الصحراء قريباً». ضغط على يدها، ثم حررها، وعاد إلى المائدة حيث ظل واقفاً. اتخذت تشاني مقعدها.

حدقت إيرولان إلى الأوراق أمام ستيلجار، فمها مطبق.

قال پول: «تقترح إيرولان نفسها أمّا للوريث الإمبراطوري». حدق إلى تشاني ثم إلى إيرولان مجددًا التي رفضت النظر إلى عينيه: «جميعنا نعرف أنها لا تكنُ أي حبّ لي». تسمرت إيرولان تمامًا في مكانها.

قال پول: «أعرف الجدالات السياسية. المناقشات الإنسانية هي التي تشغلني. أعتقد أن الأميرة القرينة لو لم تكن مقيدة بأوامر البني جيسيرت، لو لم تكن تسعى وراء هذا بدافع رغبتها في السلطة الشخصية، ربما لكانت ردة فعلي مختلفة جدًا. لكن في الوضع الراهن، أرفض هذا الاقتراح». استشقت إيرولان نفسًا عميقًا مرتجفًا.

فكّر پول وهو يتخذ مقعده ثانية، في أنه لم يرها قطّ فاقدة السيطرة بتلك الدرجة. مال إليها وقال: «إيرولان، أنا آسف حقًا». رفعت ذقتها، ونظرة من الغضب الصافي في عينها. هسهست: «لا أرغب في شفقتك!» ثم استدارت إلى ستيلجار: «هل هناك شيء آخر عاجل وملح؟»

قال ستيلجار مثبتًا نظراته تمامًا إلى پول: «هناك أمر آخر يا مولاي. تقترح النقابة مجددًا سفارة رسمية هنا في أراكس». سأل كُرية وصوته مفعم بكراهية مسعورة: «أحد هؤلاء القادمين من الفضاء السحيق؟» قال ستيلجار: «هذا هو المفترض».

قال كُرية مُحدّثًا: «مسألة يجب التفكير فيها بعناية قصوى. لن يروق ذلك لمجلس النواب، رجل نقابة هنا على أراكس. إنهم يدنسون الأرض التي يطؤونها».

قال پول سامحًا لصوته أن يُظهر انزعاجًا: «يعيشون في

حاويات، ولا يلمسون الأرض».

قال كُرية: «ربما يتعامل النواب مع الأمر بأنفسهم يا مولاي».

حدق پول إليه.

أصرَّ كُرية: «هم في النهاية فرمن يا مولاي. سيتذكرون كيف جلبت النقابة أولئك الذين اضطهدونا. لم ننس الطريقة التي ابتزوا بها فدية اسپايس منا للحفاظ على أسرارنا من أعدائنا. لقد استنزفونا من كل -»

قاطعہ پول: «كفى! هل تعتقد أنني نسيته؟»

كما لو أنه قد انتبه للتو إلى إحالات كلماته، تلثم كُرية بشكل غير مفهوم، ثم قال: «مولاي، سامحني. لم أقصد الإيحاء بأنك لست فرمن. لم أفعل...»

قال پول: «سيرسلون رجلٌ توجيه. ليس من المرجح أن يأتي رجل نقابة هنا لو أنه قد رأى خطرًا في ذلك».

قالت إيرولان، فمها جاف على إثر خوف مفاجئ: «هل... رأيت رجل توجيه نقابة يأتي إلى هنا؟»

قال پول محاكيًا نبرتها: «بالطبع لم أر رجل نقابة. لكن أستطيع أن أرى أين كان أحدهم وأين سيذهب. دعهم يرسلون إلينا رجل نقابة. ربما سأستفيد من شخص مثله».

قال ستيلجار: «كما تأمر».

فكرت إيرولان وهي تُخفي ابتسامة وراء يدها: الأمر حقيقي إذا. لا يستطيع الإمبراطور رؤية رجل نقابة. كلاهما أعمى عن الآخر. المؤامرة مُخبأة.

مرة أخرى، تبدأ الدراما .

الإمبراطور پول المؤدّب

عن صعوده إلى عرش الأسد الذهبي

حدقت عالية من نافذة تلتصصها إلى قاعة الاستقبال الكبرى لمشاهدة تقدم حاشية النقابة. تدفق الضوء الفضي الحاد لشمس الظهيرة من خلال النوافذ البلّورية على أرضية من بلاط أخضر وأزرق وبني فاتح في محاكاة لنهر صغير مع أشكال نباتات مائية، وتناثرت هنا وهناك، بقع من الألوان الأجنبية الغلّابة تمثل طيرًا أو حيوانًا.

تحرك رجال النقابة عبر نمط البلاط هذا مثل صيادين يطاردون فرائسهم في غابة غريبة. شكّلوا تصميمًا متحركًا من أردية رمادية وأردية سوداء وأردية برتقالية -كلها مصفوفة بطريقة عشوائية على نحو مضللّ حول الحاوية الشفافة حيث سبح رجل النقابة- السفير في غازه البرتقالي. تنزلق الحاوية في مجالها الداعم، ويسحبها مرافقان يرتديان أردية رمادية، فبدت الحاوية كسفينة مستطيلة الشكل مغطاة في حوضها.

تحت عالية مباشرة، جلس پول على كرسي عرش الأسد فوق منصته المرتفعة. ارتدى التاج الرسمي الجديد بشعارات السمكة والقبضة. غطت الأردية الذهبية المرصعة بالجواهر جسده. أحاط به وميض درع طاقة شخصي. انتشر جناحان من الحرس الشخصي على كلا جانبيه على طول المنصة وأسفل الدرج. وقف

ستيلجار خطوتين أسفل يد پول اليمنى في رداء أبيض بحبل أصفر كحزام.

أخبرها التعاطف الأخوي أن پول شعر بنفس الانفعالات التي كانت تخالجها رغم أنها كانت تشك في قدرة شخص آخر على اكتشاف ذلك. ظل انتباهه على مرافق يرتدي رداء برتقاليًا، وكانت عيناه المعدنيتان المحدقتان بشكل أعمى لا تنظر إلى اليمين ولا إلى اليسار. سار هذا المرافق في الزاوية الأمامية اليمنى لفرقة السفير كجندي عسكري. وجه مسطح -إلى حد ما- تحت شعر أسود مجعد، شخص بمثل بنيته التي يمكن رؤيتها تحت الرداء البرتقالي، كانت كل إيحاء تصرخ بهوية مألوفة. كان دانكن آيداهو.

لا يمكن أن يكون دانكن آيداهو، لكنه كان كذلك.

الذكريات الأسيرة التي امتصتها في الرحم خلال لحظة تغيير اسپايس والدتها عرّفت عالية على هذا الرجل باستخدام قدرة فك التشفير الريحانية البني جيسيرتية التي تخترق كل أشكال التمويه. كانت تعرف أن پول كان يراه من خلال تجارب شخصية لا حصر لها، ومن خلال شعور بالامتتان والمشاركة الشبابية. كان دانكن.

ارتجفت عالية. يمكن أن يكون هناك إجابة واحدة فقط: كان هذا غولة تليلاكسو، كائن أعيد بناؤه من اللحم الميت للأصل. هذا الأصل قد هلك لإنقاذ پول. يمكن أن يكون هذا فقط نتاج حاويات الإكسولوتل.

سار الغولة بيقظة خبير بالمبارزة. توقف في مكانه في حين انزلت حاوية السفير لتتوقف على مبعدة عشر خطوات من درجات المنصة.

بنهج البني چيسيرت الذي تدربت عليه، لم تستطع عالية تفاعدي ذلك؛ قرأت اضطراب پول. لم يعد يرى الشكل من ماضيه. دون أن ينظر، كان كيانه كله يحدق. تشنجت العضلات ضد القيود المفروضة عليها في حين أوماً پول إلى سفير النقابة، وقال: «قيل لي إنَّ اسمك إدريك. نرحب بك في بلاطنا على أمل أن يجلب هذا تفاهماً جديداً بيننا».

اتخذ رجل توجيه النقابة وضعية مستلقية مُترفة داخل غازه البرتقالي، ودس كبسولة مزاج في فمه قبل أن تلتقي عيناه نظرات پول. أعاد المحوّل الصغير الذي يدور حول إحدى زوايا حاوية رجل النقابة إصدار صوت سعال، ثم علا صوت خشن مُجرّد من أي عاطفة: «أنحني أمام إمبراطوري، وأتوسل إليه أن يمنحني الإذن حتى أقدم أوراق اعتمادي، وهدية صغيرة».

مرر أحد المساعدين لفافة ورق إلى ستيلجار، الذي قرأها عابساً، ثم أوماً برأسه إلى پول. لحظتذاك استدار كل من ستيلجار وپول نحو الغولة الذي يقف بتؤدة أسفل المنصة. قال إدريك: «ميّز إمبراطوري الهدية بالفعل».

قال پول: «يسعدنا قبول أوراق اعتمادك. اشرح الهدية». تدحرج إدريك في الحاوية، وحوّل انتباهه إلى الغولة. قال متهجياً الاسم: «هذا رجل يُدعى حياة. وفقاً لمحققينا، لديه تاريخ مثير. قُتل هنا في أراكس... جرح بالغ في الرأس تطلب عدة

أشهر من إعادة النمو. بيعت الجثة إلى البني تليلاكس باعتبارها جثة خبير فنون النزال من مدرسة آل جناز. تنامي إلى علمنا أن هذا لا بد أنه دانكن آيداهو، الخادم الموثوق به لعائلتكم. اشتريناه هدية تليق بإمبراطور». حذق إدريك إلى پول. «أليس آيداهو، يا مولاي؟»

ضبط النفس والحذر استحوذا على صوت پول: «له هيئة آيداهو».

تساءلت عالية: هل يرى پول شيئاً لا تراه؟ لا، إنه دانكن! وقف الرجل المدعو حياة بجمود، عيناه المعدنيتان مثبتتان أمامه مباشرة، وجسمه متراخ. لا إمارة تفلت منه تشير إلى أنه عرف أنه موضع النقاش.

قال إدريك: «وفقاً لأفضل ما لدينا من معرفة، هو آيداهو».

قال پول: «يُدعى حياة الآن. اسم فضولي».

قال إدريك: «سيدي، لا يمكن التكهن بالطريقة والسبب وراء منح التليلاكسو الأسماء. لكن الأسماء قابلة للتغيير. الاسم الذي منحه له التليلاكسو قليل الأهمية».

فكّر پول: هذا شيء من صنعة التليلاكسو. هنا تكمن المشكلة .

كان لدى بني تليلاكس القليل من الارتباط بالطبيعة الظواهرية والأعراف المتفق عليها. يحمل الخير والشر معاني غريبة في فلسفتهم. ما الذي يمكن أن يكونوا قد دمجوه في لحم آيداهو- بدافع التصميم أو النزوة؟

نظر پول إلى ستيلجار، ولاحظ رهبة الفرمني المُتطيِّرة. كانت عاطفة ترددت في أوصال حارسه الفرمني. كان عقل ستيلجار يتكهن بالعادات البغيضة لرجال النقابة، والتليلاكسو، والفولات. قال پول ملتفتاً إلى الغولة: «حياة، هل هذا اسمك الوحيد؟»
انتشرت ابتسامة هادئة فوق ملامح الغولة القاتمة. ارتفعت الأعين المعدنية، مركزة على پول، لكنها حافظت على نظرتها الميكانيكية. «هكذا أدعى يا مولاي: حياة».
في حفرة تلصصها المعتمة، ارتعدت عالية كان صوت آيдахو، جودة صوت دقيقة لدرجة أنها شعرت بيصمتها على خلاياها.
أضاف الغولة: «هل يسمح مولاي لي بالقول إن صوته يسعدني. هذه أمانة، كما يقول البني تليلاكسو، إنني سمعت الصوت... من قبل».

قال پول: «لكنك لا تعرف هذا بشكل مؤكد».

«لا أعرف شيئاً عن ماضيِّ بشكل مؤكد يا مولاي. شُرح لي أنه لا يمكنني أن أمتلك ذكرى لحياتي السابقة. كل ما تبقى من الماضي هو النمط الذي حددته الجينات. ومع ذلك، هناك مواضع دقيقة يمكن أن تتلاءم معها أشياء كانت مألوفة لي في السابق. هناك أصوات، وأماكن، وأطعمة، ووجوه، وأفعال - سيف في يدي، أذرع التحكم في ثوبتر...»

ملاحظاً مدى اهتمام رجال النقابة بمتابعة هذا الحوار، سأل پول: «هل تفهم أنك هدية؟»
«شُرح لي الأمر يا مولاي».

مال پول إلى الوراء، ويداه ترتكزان إلى ذراعي كرسي العرش.

تساءل: ما الدين الذي أدين به إلى لحم دانكن؟ مات الرجل وهو ينقذ حياتي. لكن هذا ليس آيداهو، هذا غولة. ومع ذلك، كان هنا الجسد والعقل اللذان علّما پول أن يحلّق بثوبتر كما لو أن الأجنحة نمت من كتفيه. كان پول يعلم أنه ما كان يستطيع حمل سيف دون الاعتماد على التعليم القاسي الذي قدمه آيداهو إليه. غولة. كان هذا لحمًا مملوءًا بانطباعات زائفة، ويسهل قراءته بشكل خاطئ. سوف تصمد الصلوات القديمة. دانكن آيداهو. لم يكن الشيء الذي ارتداه الغولة قناعًا بقدر ما كان لباسًا فضفاضًا وخفيًا لشخصية تتحرك بطريقة مختلفة عما أخفاه التليلاكسو هنا.

سأل پول: «كيف يمكنك أن تخدمنا؟»

«بأي طريقة يتمناها مولاي وتتفق مع قدراتي.»

عالية، التي كانت تشاهد من نقطة رؤيتها، تأثرت بهالة الخجل المحيطة بالغولة. لم تكتشف أي شيء مزيف فيه. أشرق شيء بريء في النهاية من دانكن آيداهو الجديد. كان الأصل متمرسًا وطائشًا ربما. لكن هذا الجسد قد طُهر من كل ذلك. كان سطحًا نقيًا كتب عليه التليلاكسو... كتبوا ماذا؟

حينذاك شعرت بالمخاطر الخفية في هذه الهدية. كان هذا شيئًا من صنعة التليلاكسو. أظهر التليلاكسو نقصًا مزعجًا في القيود على ما صنعوه. الفضول الجامح قد يوجّه أفعالهم. تفاخروا بأنهم يستطيعون صنع أي شيء من المادة الخام البشرية المناسبة - شياطين أو قديسين. باعوا منات-قتلة. أنتجوا طبيبًا قاتلاً، متغلبين على تهيئة كلية سووك التي تفرض موانع ضد قتل

الأرواح البشرية للقيام بذلك. شملت بضاعتهم الخدم المطيعين، والألعاب الشخصية التي يمكنها التكيف مع أي نزوة عابرة، والجنود، والجنرالات، والفلاسفة، وحتى الأخلاقيين في بعض الأحيان.

تحرك پول، ونظر إلى إدريك. سأل: «كيف دُرِّبَت هذه الهدية؟» قال إدريك: «إنَّ سمح لي مولاي، استمتع التليلاكسو بتدريب هذا الغولة كمنتجات وفيلسوف زِنْسُنِّيُون. كما سعوا لزيادة مهاراته بالسيف.»

«هل نجحوا؟»

«لا أعلم يا مولاي»

وازن پول الإجابة في ذهنه. أخبرته قدرته على معرفة الحقيقة أن إدريك يعتقد بصدق أن الغولة هو آيдахو. لكن كان هناك المزيد. مياه الزمن التي يتحرك خلالها رجل توجيه النقابة بقدرته النبؤية تشير إلى مخاطر دون أن تكشف عن هيتها. حياة. ينضح الاسم بالهلاك. شعر پول بإغراء رفض الهدية. لكن حتى مع غواية الرفض، عرف أنه لن يستطيع اختيار ذلك الطريق. هذا الجسد له حقوق على آل آتريديز- حقيقة عرفها العدو جيداً.

قال پول مفكراً من جديد وهو يعاود النظر إلى الغولة: «فيلسوف زِنْسُنِّيُون. أطلعت على دورك ودوافعك؟»
«أتعامل مع خدمتي بتواضع، يا مولاي. أنا عقل مُطَهَّر ومحَرَّر من التزامات ماضيِّ البشري.»

«هل تفضل أن ندعوك حياة أم دانكن آيдахو؟»

«مولاي يناديني بما يشاء، إذ إنني لستُ اسمًا».

«لكن هل يستهويك اسم دانكن آيداهو؟»

«أعتقد أن هذا كان اسمي، يا مولاي. يلائمني. مع ذلك...
يثير ردود أفعال فضولية. أعتقد أن اسم المرء يجب أن يحمل من
البغض بقدر ما يحمل من السرور».

سأل پول: «ما الذي يمنحك أكبر متعة؟»

على غير المتوقع ضحك الغولة. ثم قال: «البحث عن أمارات
في الآخرين تكشف ذاتي السابقة».
«هل ترى مثل هذه الأمارات هنا؟»

«أوه، نعم، يا مولاي. رجلك ستيلجار هناك، عالقٌ بين الشك
والإعجاب. كان صديقًا لذاتي السابقة، لكن لحم الغولة هذا
ينفّره. أنت يا مولاي، أعجبت بالرجل الذي كنت عليه... ووثقت
به».

قال پول: «عقل مُطهَّر. كيف يمكن لعقل مطهَّر أن يضع نفسه
في عبودية لنا؟»

«عبودية يا مولاي؟ العقل المطهَّر يتخذ القرارات في وجود
المجاهيل، ودون سبب أو تأثير. هل هذه عبودية؟»
عبس پول. كانت مقولة زنسنية. -مبهمة وحكيمة- غارقة في
عقيدة أنكرت الوظيفة الموضوعية لكل نشاط عقلي. دون سبب أو
تأثير! مثل هذه الأفكار صدمت العقل. مجاهيل؟ تكمن المجاهيل
في كل قرار، حتى في الرؤية النبئية.

سأل پول: «هل تفضل أن ندعوك «دانكن آيداهو»؟»

«نحن نعيش بالاختلافات يا مولاي. اختر اسمًا لي».

قال پول: «فلتحتفظ باسم التليلاكسو. حياة - هذا اسم يستدعي الحذر».

انحنى حياة، وتراجع خطوة واحدة إلى الوراء.

تساءلت عالية: كيف علم أن المحادثة انتهت؟ كنت أعرف لأنني أعرف أخي. لكن لم تكن هناك أي علامة يمكن أن يقرأها شخص غريب. هل دانكن آيداهو بداخله عرف؟

التفت پول نحو السفير، وقال: «خُصص جناح مستقل لسفارتك. نرغب في إجراء مشاورة خاصة معك في أقرب وقت ممكن. سوف نرسل إليك. دعنا نبلاغك قبل أن تسمع الأمر من مصدر غير دقيق، أن الأم الموقرة لأخوية البني جيسيرت، جايس هيلين موهيم، قد أُخرجت من الهايلاينر الذي جاء بك. نُفِّذ ذلك بناء على أوامرنا. سيكون وجودها على متن سفينتك أحد محاور محادثاتنا».

تلويحة من يد پول اليسرى صرفت الوفد. قال پول: «حياة، ابق هنا».

تراجع مرافقو السفير، وهم يجرون الحاوية. صار إدريك محض حركة برتقالية داخل غاز برتقالي - أعين وفم وأطراف تتمايل برقبة. راقب پول حتى اختفى آخر رجال النقابة، وتأرجحت الأبواب الكبرى منغلقة وراءه.

فكر پول: فعلتها الآن. قبلت الفولة.

كانت خليقة التليلاكسو طعمًا، لا شك في ذلك. من المرجح أن الشمطاء العجوز المتمثلة في أم موقرة لعبت الدور نفسه. لكنه كان زمن التاروت الذي تتبأ به في رؤية مبكرة. بطاقات التاروت

اللعين! عكّرت مياه الزمن إلى درجة أُجهد المستبصر حتى يحدد اللحظات لكن متأخرًا بساعة. ذكّر نفسه: كثيرًا ما التقطت سمكة الطعم لكنها نجحت في الهروب بعد ذلك. والتاروت يعمل لصالحه كما يعمل ضده. ما لم يستطع رؤيته، ربما لم يحدده الآخرون أيضًا.

وقف الغولة، رأسه مائل إلى أحد الجانبين، منتظرًا. سار ستيلجار فوق الدرج، حاجبًا الغولة عن مجال رؤية پول. بلغة التشكوبسا، لغة الصيد في أيام السييتش، قال ستيلجار: «يثير المخلوق في الحاوية قشعريرتي يا مولاي. لكن هذه الهدية! أرسلها بعيدًا».

قال پول باللغة نفسها: «لا أستطيع».

جادل ستيلجار: «أيدهو ميت. هذا ليس أيدهو. دعني آخذ ماء من أجل القبيلة».

«الغولة مشكلتي. مشكلتك سجينتنا. أريد أن يحرس الرجال الذين درّبتهم الأم الموقرة بحذر شديد حتى يُقاوموا أوامر الصوت».

«لا يروق لي هذا يا مولاي».

«سأكون حذرًا يا ستيل. تأكد من أن تكون كذلك أيضًا».

«حسنًا يا مولاي». هبط ستيلجار إلى أرضية القاعة، وعبر قريبًا من حياة، وتشممه قبل أن يخطو خارجًا.

فكر پول: يمكن تمييز الشر من رائحته. غرس ستيلجار رايات آتريديز الخضراء والبيضاء في دزينة من الكواكب، لكن ظلّ فرمنيًا متطيرًا، برهانًا ضد أي تعقيد.

أمعن پول في النظر إلى الهدية .

همس: «دانكن.. دانكن. ماذا فعلوا بك؟»

قال حياة: «أعطوني حياة يا مولاي».

سأل پول: «لكن لماذا دريوك ووهبوك إلينا؟»

زَمَّ حياة شفّتيه ثم قال: «ينوون استخدامي لتدميرك».

صراحة العبارة هزّت پول. ولكن في النهاية كيف يمكن أن يرد منّات-زِنْسُنْيُون بغير ذلك؟ حتى في غولة، لا يمكن لمنّات أن يتحدّث بأقل من الحقيقة، لا سيما بدافع الهدوء الداخلي لِنْسُنْيُون. كان هذا كمبيوترًا بشريًا، وعقلًا، وجهازًا عصبيًا مُجهزًا للمهام التي تُركبت منذ زمن بعيد للأجهزة الميكانيكية المكروهة. تصنيفه أيضًا على أنه زِنْسُنْيُون يعني حصة مزدوجة من الصدق... ما لم يكن التليلاكسو قد بنوا شيئًا أكثر غرابة في هذا اللحم.

لماذا، على سبيل المثال، الأعين الميكانيكية؟ تفاخر التليلاكسو بتحسين أعينهم المعدنية على الأصل. وما يؤكد هذه الغرابة أن المزيد من التليلاكسو لم يرتدوها عن اختيار.

نظر پول إلى حفرة تجسس عالية، توافقًا إلى حضورها ونصائحها، للحصول على مشورة لا تشوشها مشاعر المسؤولية وثقل الديون.

مرة أخرى نظر إلى الغولة. لم تكن هذه هدية تافهة. أعطت إجابات صادقة عن أسئلة خطيرة.

فكّر پول: معرفتي أن هذا سلاح يُستخدم ضدي، لا يُحدّث أي فارق.

سأل پول: «ماذا ينبغي أن أفعل لحماية نفسي منك؟»
كان حديثاً مباشراً، دون استعمال «نحن» المَلِكِيَّة، لكن سؤال ربما
كان ليطرحة على دانكن آيداهو القديم.
«أرسلني بعيداً يا مولاي».

هز پول رأسه من جانب إلى آخر. «كيف ستمرني؟»
نظر حياة إلى الحراس الذين تحركوا مقتربين من پول بعد
رحيل ستيلاجار. استدار، وجمال ببصره في أرجاء القاعة، ثم عاود
تثبيت عينيه المعدنيتين إلى پول، وأوماً برأسه.
قال حياة: «هذا مكان ينعزل فيه المرء عن الناس. مكان يشي
بقوة رهيبة لا يمكن للمرء أن يتأملها بارتياح إلا بتذكُّره أن كل
الأشياء محدودة وزائلة. هل رسمت قدرات مولاي النبوية مساره
في هذا المكان؟»

نقر پول بأصابعه على مسندي كرسي العرش. سعى المِنتات
للحصول على بيانات، لكن السؤال أزعجه. «وصلت إلى هذا
المنصب بقرارات قوية... ليس دائماً نتيجة لقدراتي... الأخرى».
قال حياة: «قرارات قوية. هذه القرارات تقسِّي حياة المرء.
يمكن للمرء أن يكتسب القساوة من المعدن الناعم عن طريق
تسخينه والسماح له بأن يبرد ببطء».

سأل پول: «هل تسليني بثرثرة الزنْسُنِّيون؟»
«لدى الزنْسُنِّيون طرائق أخرى للاستكشاف، يا مولاي، غير
الإلهاء والاستعراض».

بلل پول شفثيه بلسانه، واستشوق نفساً عميقاً، وركز أفكاره
على معادلة رجاحة تفكير المِنتات. طُفت إجابات سلبية من حوله.

لم يكن متوقعا أن يجاري الغولة إلى حد استبعاد واجبات حكمه الأخرى. لا، لم يكن هذا هو. لماذا مننتات زسُنُون؟ فلسفة... كلمات... تأمل... البحث الداخلي... شعر بهشاشة بياناته.

تمتم قائلاً: «نحن بحاجة إلى مزيد من البيانات».

قال حياة: «الحقائق التي يحتاج إليها المنتات لا تأتي إلى المرء مثلما قد تجمع حبوب اللقاح على رءائك في أثناء المرور في حقل من الزهور. ينتقي المرء حبوب لقاحه بعناية، ويفحصها تحت تكبير قوي».

قال پول: «يجب أن تعلمني هذه الطريقة الزسُنُون في الخطابة».

لمعت عيناه المعدنيتان للحظة، ثم قال: «مولاي، ربما كان هذا هو المقصود».

تساءل پول: إضعاف إرادتي بالكلمات والأفكار؟

قال پول: «تكون الأفكار مخيفة أكثر عندما تتحول إلى أفعال».

قال حياة: «أرسلني بعيداً يا مولاي»، كان صوت دانكن آيداهو ينضح بالقلق بشأن «السيد الشاب پول».

شعر پول بأنه محاصر بهذا الصوت. لم يستطع إرسال هذا الصوت بعيداً، حتى عندما صدر عن غولة.

قال: «ستبقى، وستنوخى الحذر».

انحنى حياة في استسلام.

نظر پول إلى أعلى نحو حفرة التلصص، وعيناه تتوسلان إلى عالية لأخذ هذه الهدية من يديه وسبر أسرارها. في الماضي كانت الغولات أشباحاً لتخويف الأطفال. لم يفكر قط في معرفة

أحدها. لمعرفة هذا الغولة، كان عليه أن يتجرد من أي رافة. ولم يكن متأكدًا من قدرته على فعل ذلك. *دانكن... دانكن.. أين كان آيداهو في هذا الجسد المشكّل بدقة؟ لم يكن لحمًا.. كان كفنًا على شكل لحم! رقد آيداهو ميتًا إلى الأبد فوق أرضية أحد كهوف أراكين. حذق شبجه من خلال أعين معدنية. وقف كيانات جنبًا إلى جنب في هذا الجسد المبعوث من الموت. أحدهما كان يمثل تهديدًا بقوته وطبيعته المخبّأة وراء حُجب فريدة.*

أغمض پول عينيه، وسمح للرؤى القديمة أن تتسرب داخل وعيه. شعر بأرواح الحب والكرهية تتدفق هناك في بحر متلاطم لم ترتفع فيه صخرة واحدة فوق الفوضى. لا مكان على الإطلاق يمكن منه استجلاء أي اضطراب.

سأل نفسه: لماذا لم تُظهر لي أي رؤية دانكن آيداهو الجديد؟ ما الشيء الذي يحجب الزمن عن نبوءة؟ نبوءات أخرى، قطعًا. فتح پول عينيه، وسأل: «حياة، هل لديك قدرة الاستبصار؟»
«لا، يا مولاي».

تكلم الصوت بإخلاص. كان من الجائز أن الغولة لم يكن يعلم أنه يمتلك هذه القدرة بالطبع. لكن هذا من شأنه أن يعيق عمله مُنتاتًا. ما هو التصميم الخفي؟

انتشرت رؤى قديمة من حول پول. هل عليه أن يختار الطريق الرهيبة؟ ألمح الزمن المشوه إلى وجود هذا الغولة في ذلك المستقبل البشع. هل ستقترب منه هذه الطريق مهما فعل؟
انفصل.. انفصل.. انفصل.

رنتُ الفكرة داخل عقله.

في مكانها فوق پول، جلست عالية، وذقتها مرتاح في يدها اليسرى، وحدقت إلى الفولة. جاذبية مغناطيسية تتعلق بحياة امتدت إليها. إعادة إحياء التليلاكسو أعطاه شباباً، قوة بريئة نادتها. فهمت مناشدة پول غير المعلنة. عندما تفشل النبوءة، يلجأ المرء إلى جواسيس حقيقيين وقوى مادية. مع ذلك، تعجبت من شفها الخاص لقبول هذا التحدي. شعرت برغبة إيجابية في الاقتراب من هذا الرجل الجديد، ربما لمسّه.

فكرت: هو خطر على كلينا.

مقولة فرمينة قديمة

قالت إيرولان: «أيتها الأم الموقرة، أقشعر لرؤيتك في مثل هذه الظروف». وقفت داخل باب الزنزانة مباشرة، تقيس الأبعاد المختلفة للغرفة بنهج البني جيسيرت. كانت عبارة عن مكعب طوله ثلاثة أمتار، منحوت بقطع من الصخر البني المعرَّق، أسفل حصن پول. أما أثاثها، فقد احتوت الغرفة على كرسي خيزران مهلهل تشغله الآن الأم الموقرة جايس هيلين موهيم، ومحفة بغطاء تتأثرت فوقه مجموعة من بطاقات «تاروت كتيب» الجديد، وصنبور مياه بعددٍ فوق حوض استعادة رطوبة، وكنيف فرمني مع أقفال استعادة الرطوبة. كان كل شيء بدائيًا وزاهدًا. انبعث الضوء الأصفر من كرات الإنارة المثبتة والمحبوسة داخل أقفاص صغيرة عند زوايا الغرفة الأربعة.

سألت الأم الموقرة: «هل أرسلت كلمة إلى الليدي جيسيكاف؟».

قالت إيرولان: «نعم، لكنني لا أتوقع منها أن تحرك إصبعًا واحدة ضد ابنها البكر».

حدقت إلى البطاقات. تحدثت عن الأقوياء الذين أداروا ظهورهم للمتضرعين. كانت بطاقة «الدودة العظيمة» موضوعة تحت بطاقة «الرمال المقفرة». نصحت البطاقات بالصبر.

سألت نفسها: هل يحتاج المرء إلى التاروت لرؤية هذا؟

وقف حارس في الخارج يراقبهما من خلال نافذة، مصنوعة من زجاج متحوّل، في إطار الباب. عرفت إيرولان أنه سيكون هناك مراقبون آخرون في هذه المقابلة. فكرت كثيرًا وخططت طويلًا قبل أن تجرؤ على المجيء إلى هنا. ومع ذلك، فإن البقاء بعيدًا يحمل مخاطره الخاصة.

كانت الأم الموقرة منخرطة في تأمل برجنا يتخلله فحص لأوراق التاروت. رغم شعورها بأنها لن تترك أراكس على قيد الحياة أبدًا، وصلت إلى درجة من الهدوء من خلال ذلك التأمل. قد تكون قدرات المرء النبوية ضئيلة، لكن المياه الموحلة ظلت مياه موحلة. وكان هناك دائمًا تعويذة ضد الخوف.

لا يزال عليها استيعاب تداعيات الأفعال التي أودت بها إلى هذه الزنزانة. راودت الشكوك المعتمة عقلها (وأكدّ التاروت تلك الشكوك إلى حد كبير). هل يمكن أن تكون النقابة قد خططت لهذا؟

كان أحد كهنة الكِزارة برداء أصفر، حليق الرأس ويرتدي عمامة، وله عينان، أشبه بخرزتين، تامتا الزرقة في وجه مستدير، جلده خشن بفعل رياح وشمس أراكس، ينتظرها فوق جسر استقبال الهايلاينر. كان قد رفع عينيه عن فتجان قهوة الاسپايس الذي قدمه إليه خادم متزلف، وتفحصها للحظة، ثم أنزل قهوته.

«أنتِ الأم الموقرة جايس هيلين موهيم؟»

استرجاع تلك الكلمات في ذهنها كان يعني إحياء تلك اللحظة في ذاكرتها من جديد. ضاق حلقها بنوبة فزع لا يمكن السيطرة عليها. كيف علم أحد أتباع الإمبراطور بوجودي على متن الهايلاينر؟

قال كاهن الكِزارة: «تنامى إلى علمنا أنك على متن هايلاينر. هل نسيت أنك ممنوعة من أن تطئي بقدميك الكوكب المقدس؟»
قالت: «لست على أراكس. أنا راكبة على متن هايلاينر تابع للنقابة في الفضاء الحر»

«لا شيء اسمه الفضاء الحر يا سيدتي».

استشفت الكراهية الممزوجة بشك عميق في نبرته.

قال: «المؤدب يحكم كل شيء».

أصرت: «أراكس ليست وجهتي».

قال: «أراكس وجهة الجميع».

خشيت لحظة من أنه سيبدأ بتلاوة خط سير الرحلة الروحانية الذي يتبعه الحجيج. (حملت هذه السفينة بالذات الآلاف منهم).

لكن كاهن الكِزارة كان قد سحب تميمة ذهبية من تحت رداءه وقبلها، ولمس بها جبهته، وقربها من أذنه اليمنى، وأنصت إليها. ثم عاد بكيانه إلى الحاضر، وأرجع التميمة إلى مخبئها.

«أنت مأمورة بأن تجمعني أمتعتك، وترافقيني إلى أراكس».

«لكن، لدي شؤون في مكان آخر!»

في تلك اللحظة، اشتبهت في غدر النقابة... أو افتضح أمرها من خلال قدرة الإمبراطور أو شقيقته الفائقة. ربما لم يخف ملاح النقابة المؤامرة بعد كل شيء. من المؤكد أن الشنعة عالية تمتلك قدرات أم موقرة من البني جيسيرت. ماذا يحدث عندما تجتمع تلك القدرات مع القوى التي يمتلكها أخوها؟

انفعل كاهن الكِزارة: «في الحال».

كل شيء بداخلها صرخ معارضاً أن تطأ قدمها مرة أخرى هذا الكوكب الصحراوي الملعون. هنا حيث انقلبت الليدي جيسيكاً على الأخوية. هنا حيث خسرن پول آترديز، الكويزاتس هاديراك، الذي بحثن عنه عبر أجيال طويلة من التناسل الدقيق.

قال كاهن الكِزارة: «هناك القليل من الوقت. عندما يأمر الإمبراطور، يطيع جميع رعاياه».

إذا فقد أتى الأمر من پول!

فكرت في الاحتجاج إلى ملاح النقابة-قائد الهايلاينر، لكن عدم جدوى مثل هذه البادرة أوقفها. ماذا يمكن أن تفعل النقابة؟ قالت، وهي تبذل محاولة أخيرة يائسة: «قال الإمبراطور إنني سأموت إن وطأت قدمي كتيب. ذكرت هذا بنفسك. أنت تجرمني إن أخذتني إلى هناك».

أمر كاهن الكِزارة: «لا تتفوهي بالمزيد. الأمر إلزامي».

كانت تعرف أن هذه هي الطريقة التي تحدثوا بها دائماً عن الأوامر الإمبراطورية. إلزامية! تحدث الحاكم المقدس الذي يمكن أن تخترق عيناه حُجب المستقبل، وقال كلمته. ما يجب أن يكون، يجب أن يكون. رآها باستبصاره، أليس كذلك؟

مع شعورها بالغثيان لأنها وقعت في شبكة من غزلها، استدارت في طاعة.

وأصبحت الشبكة زنزانة يمكن أن تزورها إيرولان. رأت أن إيرولان قد تقدمت في العمر إلى حد ما منذ اجتماعهم في «والاك التاسع». انتشرت تجاعيد جديدة من القلق في زوايا عينيها.

حسنًا، حان الوقت لمعرفة ما إن كانت هذه الأخت البني جيسيرتية يمكن أن تطيع عهودها.

قالت الأم الموقرة: «عشت في غرف أكثر وضاعة. هل أرسلكِ الإمبراطور؟» وسمحت لأصابعها بالتحرك كما لو كانت في حالة هياج.

قرأت إيرولان أصابعها المتحركة ورفضت أصابعها بإجابة وهي تتحدث قائلة: «لا، لقد أتيت ما إن سمعت أنك هنا». سألت الأم الموقرة: «ألن يغضب الإمبراطور؟» مرة أخرى، تحركت أصابعها: آمرة، وضاعطة، ومتطلبة.

«ليغضب. كنتِ معلمتي في الأخوية، كما كنتِ معلمة أمه. هل يعتقد أنني سأدير ظهري لكِ كما فعلت؟» ساق حديث إيرولان بالأصابع الأعذار والتوسلات.

تهددت الأم الموقرة. ظاهريًا، كانت تلك تهيدة سجيبة تتحسر على مصيرها، لكنها بداخلها أحست بها تعقيبًا على إيرولان. كان من غير المجدي الأمل في إمكانية الحفاظ على نمط الجينات الثمين للإمبراطور آتريديز من خلال هذه الأداة. بغض النظر عن جمالها، كانت هذه الأميرة معيبة. تحت تلك القشرة من الجاذبية الجسدية عاشت امرأة سليطة متدمرة، مهتمة بالكلمات أكثر من الأفعال. مع ذلك لا تزال إيرولان من البني جيسيرت، واحتفظت الأخوية بأساليب معينة لاستعمالها على بعض تابعاتها الأضعف كضمانة على تنفيذ التعليمات الضرورية.

تحت غطاء حديث صغير عن رغبتها في محفة أكثر ليونة وطعامًا أفضل، استحضرت الأم الموقرة ترسانتها من الإقناع

وأعطتها الأوامر: يجب استكشاف تهجين الأخ والأخت. (كادت إيرولان تتهار عند تلقي هذا الأمر).

ترجّت أصابع إيرولان: يجب أن أحظى بفرصتي!»

ردّت الأم الموقرة: «أُتيحت لك الفرصة». وكانت صريحة في تعليماتها: هل غضب الإمبراطور ولو مرة من حظيته؟ لا بد أن قدراته الفريدة تُشعره بالوحدة. إلى من يستطيع أن يتحدث باحثًا عن أي أمل في أن يفهم؟ إلى الأخت كما هو واضح. تشاركه هذه الوحدة. يجب استغلال عمق مشاركتها. يجب خلق الفرص لجمعها معًا على انفراد. يجب ترتيب لقاءات حميمة بينهما. يجب استكشاف إمكانية القضاء على الحظية. للحزن قدرة على إذابة الحواجز التقليدية.

احتجت إيرولان. لو قُتلت تشاني، فإن الشك سيتجه على الفور إلى الأميرة القرينة. إلى جانب ذلك كانت هناك مشكلات أخرى. كانت تشاني قد بدأت تقتصر طعامها على نظام غذائي فرماني قديم من المفترض أنه يعزّز الخصوبة، وذلك النظام الغذائي قضى على أي فرصة لدس أدوية موانع الحمل. وإيقاف مثبطات الحمل سيجعل تشاني أكثر خصوبة حتى.

كانت الأم الموقرة ساخطة، وأخفت ذلك بصعوبة فيما تحركت أصابعها بسرعة بتساؤلاتها. لماذا لم تُنقل إليها هذه المعلومة في بداية محادثتهما؟ كيف يمكن أن تكون إيرولان بذلك الغباء؟ لو حبلت تشاني وأنجبت ابنًا، فسيعلن الإمبراطور الطفل وريثه! اعترضت إيرولان. فهمت المخاطر لكن الجينات ربما لم تضع تمامًا.

استشاطت الأم الموقرة غضبًا: اللعنة على هذا الغباء المستحکم! من يعرف ما الحوائل والتشابكات الجينية التي ستقدمها تشاني من سلالتها الفرمنية البرية؟ يجب أن يكون لدى الأخوات فقط السلالة النقية! وسيجدد الوريث طموحات پول، ويحفزه على بذل جهود جديدة في تعزيز إمبراطوريته. المؤامرة لا يمكن أن تتحمل مثل هذه الانتكاسة.

للدفاع عن نفسها، أرادت إيرولان أن تعرف كيف كان يمكنها منع تشاني من تجربة هذا النظام الغذائي؟

لكن الأم الموقرة لم تكن في حالة مزاجية تسمح لها بقبول أعداء. تلقت إيرولان تعليمات صريحة الآن كيف تواجه هذا التهديد الجديد. لو حبلت تشاني، يجب دس مادة مُجهضة في طعامها أو شرابها. إمَّا ذلك، وإمَّا قتلها. يجب منع إنجاب وريث للعرش من هذا المصدر بأي ثمن.

اعترضت إيرولان على أن الإجهاض سيكون بخطورة شن هجوم مفتوح على الحظية. ارتجفت من فكرة محاولة قتل تشاني. هل ردع الخطرُ إيرولان؟ أرادت الأم الموقرة أن تعرف، حديث أصابعها يشي بازدرء عميق.

أشارت إيرولان غاضبة إلى أنها تعرف قيمة كونها عميلة داخل الأسرة المالكة. هل أرادت المؤامرة خسارة مثل هذه العميلة الثمينة؟ هل سيُضحى بها؟ بأي طريقة أخرى يمكن أن يراقبوا الإمبراطور من كذب دونها؟ أم أنهم قدّموا عميلًا آخر إلى الأسرة المالكة؟ هل هذا هو؟ هل سيستخدمونها الآن، بشكل يائس، وللمرة الأخيرة؟

ردت الأم الموقرة: في الحرب، اكتسبت كل القيم روابط جديدة. كان الخطر الأكبر أن آل آترديز يجب أن يحموا أنفسهم بإنجاب سلالة إمبراطورية. لم تستطع الأخوات تحمل مثل هذه المجازفة. هذا تجاوز خطر على النمط الجيني لآترديز. لو ترك پول حتى يرسخ جذور عائلته على العرش، فيمكن للأخوات حينذاك أن يتطلعن إلى قرون من التعطيل في برنامجهن.

فهمت إيرولان الحجة، لكنها لم تستطع أن تبعد عن ذهنها فكرة أن قراراً قد اتخذ بالتضحية بالأميرة من أجل شيء ذي قيمة كبيرة. غامرت إيرولان بالسؤال: هل هناك شيء يجب أن تعرفه عن الغولة؟

أرادت الأم الموقرة أن تعرف ما إن كانت إيرولان تعتقد أن الأخوية مؤلفة من الحمقاوات. متى فشلن في إخبار إيرولان بكل ما يجب أن تعرفه؟

رأت إيرولان: لم تكن إجابة، بل اعترافاً بإخفاء المعلومات عنها. أخبرتها إجابة الأم الموقرة أنه لن يُقال لها أكثر مما اقتضت الضرورة أن تعرفه.

سألت إيرولان: كيف يمكن أن يتأكدوا من أن الغولة قادر على تدمير الإمبراطور؟

ردت الأم الموقرة إنه كان بإمكانها أيضاً أن تسأل عما إن كان المزاج قادراً على التدمير.

أدركت إيرولان أنه كان توبيخاً مبطناً برسالة خفية. أخبرها توبيخ البني جيسيرت اللاذع أنه كان عليها أن تفهم منذ مدة طويلة هذا التشابه بين الاسبايس والغولة. كان المزاج قيماً،

لكن له ثمناً فادحاً- الإدمان. أضاف سنوات إلى الحياة -عقوداً
للبيض- لكنه كان لا يزال مجرد طريقة أخرى للموت.
كان الغولة شيئاً ذا قيمة مميتة.

أشارت الأم الموقرة بأصابعها عائدة إلى الهجوم: الوسيلة
الواضحة لمنع إنجاب غير مرغوب فيه هو قتل الأم المحتملة
قبل الحمل.

فكرت إيرولان: بالطبع، إن أردت إنفاق مبلغ معين، فاطنر
مقابله بكل ما تستطيع.

حدقت عينا الأم الموقرة، الداكنتان باللمعان الأزرق لإدمانها
المزاج، إلى إيرولان، تقيمان، وتترقبان، وتلاحظان التفاصيل.

فكرت إيرولان باستياء: تقرؤني بوضوح. دربتني ولاحظتني في
أثناء هذا التدريب. تعرف أنني أدرك أي قرار قد أتخذ هنا.
تراقب الآن فقط لترى كيف سألقى هذه المعرفة وأستجيب
إليها. حسناً، سألتقاها بصفتي بني جيسيرتية وأميرة.

تمكنت إيرولان من الابتسامة، وشدّت نفسها منتصبه بظهرها،
وفكرت في المقطع الافتتاحي للتعويدة ضد الخوف التي تستثير
الذكريات.

«يجب ألا أخاف. الخوف قاتل. الخوف ميتة صُغرى تُهلك قبل
الأوان. سأواجه خوفي...».

وعندما عاودها الهدوء، فكرت: دعوهم ينفقونني. سأريهم
قيمة أميرة. ربما سأشتري لهم أكثر مما توقعوا.

بعد قليل من الأحاديث الفارغة لإنهاء المقابلة، غادرت إيرولان.

عندما رحلت، رجعت الأم الموقرة بتركيزها إلى بطاقات التاروت، ووضعتها في نمط الدوامة-الناري. على الفور، حصلت على بطاقة «الكويزاتس هاديراك للرائد أركاننا»، وكانت البطاقة مقترنة ببطاقة «الثماني سفن»: العرافة تعرضت للتضليل والخيانة. لم تكن هذه بطاقات تبشّر بالخير. تحدثت عن موارد خفية لأعدائها.

استدارت مبتعدة عن البطاقات، وجلست في ثورة، متسائلة عما إن كانت إيرولان قد تدمرهم.

يراها الفِرمن رمز الأرض، نصف إلهة، مهمتها الخاصة أن تحمي القبائل من خلال قدراتها على العنف. هي أم موقرة عند أمهاتهم الموقرات. وشكل مضاد للمنتات عند الحجيج الذين يتذللون إليها مطالبين بأن تعيد إليهم الفحولة أو أن تجعل القاحل مثمرًا. تتغذى على تلك الرغبة البشرية القوية لما هو غامض. هي دليل حيّ على أن «التحليلي» له حدود. مثال للتوتر المطلق. هي الزانية العذراء- ذكية وفاحشة وقاسية، ومدمّرة في نزواتها مثل عاصفة كوريوليسية.

عن «القديسة عالية حاملة السكين»
كما أُخذ من «تقرير إيرولان».

وقفت عالية كخيال حارس في رداء أسود فوق المنصة الجنوبية لمعبدها، مزار النبوءة، الذي بنته جماعات الفِرمن التابعة لبول في مقابل جدار قلعته.

مقتت هذا الجزء من حياتها، لكنها لم تكن تعرف طريقة للهروب من المعبد دون إلحاق الدمار بهم جميعًا. الحجيج (اللجنة عليهم!) ازدادت أعدادهم كل يوم. كانت الشرفة السفلية للمعبد مزدحمة بهم. كان الباعة يتقلون بين الحجاج، وكان هناك سحرة صفار، وعراقي أحشاء⁽¹⁾، وقارئو بخت، وكلهم يشتغلون في

(1) عُراف الأحشاء أو الهاروسبكس: Haruspex (هارو Haru تعني أحشاء): من يتبأ بالمستقبل من خلال قراءة العلامات في أحشاء الحيوانات. (المترجم).

تجارتهم في تقليد مثير للشفقة لپول المؤدب وأخته.

رأت عالية أن العبوات الحمراء والخضراء التي تحتوي على بطاقات تاروت كثيب الجديدة بارزة وسط بضائع البائعين. تساءلت عن التاروت. من كان يغذي سوق أراكين بهذه الأداة؟ لماذا برز التاروت إلى الصدارة في هذا الزمان والمكان بالذات؟ هل كان من أجل تعكير الزمن؟ يزود إدمان الاسپايس دائماً ببعض الحساسية للتنبؤ. اشتهر الفرمن بالتطير. هل كان من قبيل الصدفة أن الكثير منهم انغمس في بشائر ونذر هنا والآن؟ قررت البحث عن إجابة في أول فرصة تسنح لها.

كانت هناك رياح قادمة من الجنوب الشرقي، بقايا ریح صغيرة خفف من حدتها منحدر الجدار الحامي الذي لاح في الأفق مرتفعاً في هذه الامتدادات الشمالية. توهجت الحافة باللون البرتقالي عبر شُبورة رفيعة من الغبار تضيئها شمس آخر الظهيرة إضاءة خافتة. لامست ریح حارة خديها وأثارت بداخلها حنيناً إلى الرمال وأمان المساحات المفتوحة.

بدأ آخر غوغاء اليوم في هبوط درجات الحجر الأخضر العريضة للشرفة السفلية، فرادى وفي جماعات، وتوقفوا قليلاً للتحديق في التذكارات والتمايم المقدسة على رفوف الباعة الجائلين، واستشار بعضهم ساحراً صغيراً آخر مرة قبل الرحيل. الحجاج والمتضرعون وسكان البلدة، والفرمن، والباعة الذين يفلقون أبواب أشغالهم إيداناً بنهاية اليوم- شكلوا خطاً متعرجاً يمتد إلى جادة، تحاذيها أشجار النخيل، تُقضي إلى قلب المدينة.

التقطت عينا عالية الفرمن، مميّزة النظرات المتجمدة للرهبة المتطيّرة على وجوههم، والطريقة الشرسة تقريبا التي أبقوا بها مسافة بينهم وبين الآخرين. كانوا مصدر قوتها وهلاكها. ما زالوا يمسكون بالديدان العملاقة من أجل التنقل، والرياضة، والتضحية. استأثروا من الحجاج الأجانب، وبالكاد تحملوا سكان البلدة من الوهاد والأخايد، وكرهوا التشكك الذي رأوه في الباعة الجائلين. لا أحد يزاحم فرمن من البرية، حتى في حشد من الفوغاء مثل أولئك الذين تدافعوا إلى مزار عالية. لم تكن هناك هجمات بالسكين في محيط الحرم المقدس، لكن عُثر على جثث.. لاحقًا. أثار الحشد المغادر الغبار. اقتحمت الرائحة الكريهة منخاري عالية، وأوقدت بداخلها غصة أخرى من الحنين إلى البيداء المفتوحة. أدركت أن إحساسها بالماضي قد احتدّ بقدوم الغولة. كان هناك الكثير من المتعة في تلك الأيام غير المكبّلة قبل اعتلاء شقيقها العرش - وقت للمزاح، ووقت لصفائر الأمور، ووقت للاستمتاع بصباح بارد أو غروب.. وقت.. ووقت.. ووقت... حتى الخطر كان لا بأس به في تلك الأيام - خطر نقي من مصادر معروفة. لم يكن هناك داع حينذاك لاعتصار حدود الاستبصار، للنظر من خلال حُجب موحّلة من أجل رؤية لمحات شحيحة من المستقبل.

قالها فرمن البرية على نحو جيد: «لا يمكن إخفاء أربعة أشياء - الحب، والدخان، وعمود نار، ورجل يمشي عبر البيداء المفتوحة». بشعور مفاجئ بالاشمئزاز، تراجعت عالية عن المنصة إلى ظلال المزار، وسارت على طول الشرفة المطلّة على البريق

المتألئى لقاعة النبوءات. صرّت الرمال على البلاط تحت قدميها. لطالما ترك المتضرعون الرمال في الحجرات المقدسة، تجاهلت الخدم، والحراس، ومقدمي الالتماسات، ومتملقي كهنة الكزارة المنتشرين في كل مكان، واختفت في الممر الحلزوني الذي يلتوي صعوداً إلى جناحها الخاص. هناك، وسط الدواوين، والسجاد السميك، ومعلقات الخيام، وتذكارات الصحراء، صرقت أمازونيات الفرمن اللاتي عينهن ستيلجار حارسات شخصيات لها. كلاب حراسة بالأحرى! عندما ذهبن، وهن يتمتمن ويعترضن غير أن خوفهن منها أكبر من خوفهن من ستيلجار، تجردت من رداؤها بحيث لم تتبق سوى السكين العاجية المغمدة في زُنارٍ حول رقبتها، وبعثرت ثيابها خلفها في حين تستعد للاستحمام. عرفت: كان قريباً - ذلك الشكل-الظل لرجل. يمكنها أن تستشعر وجوده في مستقبلها، لكنها لا تستطيع رؤيته. أغضبها عدم وجود أي قدرة استبصارية تمكّنها من أن تكسو هذا الشكل باللحم. يمكنها الشعور به فقط في لحظات غير متوقعة حين تكون منهمكة في استشراف حياة الآخرين. أو تصادفه كإطار دخاني في ظلام انفرادي عندما تكمن البراءة بداخلها ممزوجة بالرغبة. وقف مباشرة وراء أفق غير ثابت، وتملكها شعور أنه لو اعتصرت مواهبها إلى حدة غير مسبوقة، فقد تراه. كان هناك - اعتداء مستمر على وعيها: شرس وخطير وغير أخلاقي.

طوّقها الهواء الدافئ الرطب داخل حوض الاستحمام. كانت هذه عادة قد تعلمتها من كيانات الذاكرة الخاصة بالأمهات الموقّرات اللاتي لا حصر لهن، المتزاحمات في وعيها مثل لآلئ

قلادة متوهجة. تقبّل الماء- ماء دافئ في حوض غائر- بشرتها لحظة انزلاقها داخله. بلاط الحوض الأخضر المزدان بأشكال أسماك حمراء منقوشة في محاكاة لبحرٍ، أحاط بالمياه. شغلت كمية وفيرة من المياه هذه المساحة لدرجة أن أي فرمني من الزمن القديم كان ليغضب لو رآه يستخدم فقط لغسل اللحم البشري.

كان قريباً.

فكرت: إنها شهوة في صراع متوترٍ مع العفة. لحمها يتوق إلى خليل. لم ينطو الجنس على أي غموض عرضي بالنسبة إلى أم موقرة ترأست عريجات السييتش. وعي الطّاو بذواتها الأخرى بوسعه أن يزودها بأي تفاصيل يتطلبها فضولها. هذا الشعور بالتقارب لا يمكن أن يكون معناه سوى أن جسداً يتوق إلى آخر. الحاجة إلى الحركة صارعت الخمول الكامن في المياه الدافئة.

فجأة، خرجت عالية من حوض الاستحمام، تتقاطر منها المياه، ومشت مبلة وعارية إلى حجرة التدريب الملاصقة لحجرة نومها. احتوت الحجرة الواسعة والمضاءة عبر كوّات السقف، على أدوات ضخمة ودقيقة ارتقت بمدربّة بني چيسيرتية إلى حالة من الوعي/ الاستعداد الجسدي والذهني المطلقين. كان هناك مضخّمات استذكارية، وطواحين رقمية من كوكب إيكس لتقوية ورفع حساسية أصابع اليدين والقدمين، ومولّدات روائح، ومجسات لمس، ومجالات متدرجة في الحرارة، وكاشفات أنماط لمنع سقوطها في عادات يمكن كشفها، وأجهزة تدريب على

الاستجابة لموجات ألفا، ومتزامنات وميضية لتقوية قدراتها على تحليل الضوء/ الظلام/ الطيف...
كان التذكير الأساسي بعقيدة النبي جيسيرت مكتوباً على أحد الجدران بحروف طولها عشرة سنتيمترات، بخط يدها باستعمال طلاء استذكاري:

«كانت كل أساليب التعلّم قبلنا ملطخة بالغريزة. تعلمنا كيف نتعلم. قبلنا امتلك الباحثون المدفوعون بالغريزة مدى محدوداً من الانتباه- غالباً لا يتجاوز عمر حياة واحدة. لم تخطر ببالهم مطلقاً مشاريع تمتد عبر عمر خمسين حياة أو أكثر. مفهوم التدريب العضلي/ العصبي الكامل لم يدخل وعيهم».

في حين سارت داخل حجرة التدريب، لمحت عالية انعكاسها مُضاعفاً آلاف المرات في المناشير البلورية لمرآة مبارزة تتأرجح في قلب دمية تدريب.
رأت السيف الطويل ينتظر بين قوسيه في مقابل دمية التدريب، ففكرت: نعم! سأعملِ بدني حتى الإنهاك- استنزفي الجسد، وفضي العقل.

بدا السيف مريحاً في يدها. انتزعت السكين العاجية من غمدها عند رقبتها، وأمسكتها بيسراها، وضغطت على زر تفعيل درع مجال الطاقة بطرف السيف. دبّت المقاومة في درعها حيث

تتشكل هالة درع طاقة حول دمية التدريب، دافعة سلاحها ببطء وثبات بعيداً.

توهجت المناشير، وانزلقت الدمية الهدف إلى يسارها. تتبعتها عالية بطرف النصل الطويل، مُفكّرة كما تفعل غالباً أن الشيء يكاد يكون حياً تقريباً. لكنها لم تكن سوى محركات مؤازرة ودوائر عاكسة معقدة مصممة لاستدراج العيون بعيداً عن الخطر، للتشويش والتعليم. كانت أداة موجهة للاستجابة وفقاً لاستجابتها. ذاتٌ مضادة تتحرك مع تحركها، موازنة الضوء على مناشيرها، ومغيّرة هدفها، ومُشهرة نصلها المضاد.

بدت العديد من الأنصال كأنها تتدفع نحوها من المناشير، لكن واحداً فقط كان حقيقياً. تصدت للنصل الحقيقي، وتخطى سيفها مقاومة الدرع ليلامس الهدف. ظهر ضوء محدّد: أحمر ومتوهج بين المناشير... المزيد من الإلهاء.

مرة أخرى هاجم الشيء، يتحرك الآن بسرعة ضوءٍ محدّدٍ واحد، بسرعة أكبر قليلاً مما كان عليه في البداية.

تفادته، وتحركت، متخفية عن كل الحذر، إلى منطقة الخطر، وأصابته الهدف بسكينها العاجية.

توهج ضوءان من المناشير.

مرة أخرى، زاد الشيء من سرعته، متحركاً نحو الخارج على محور بكراته، منجذباً مثل المغناطيس إلى حركات جسدها وطرف سيفها.

هجوم - تفادي - تصدي.

هجوم - تفادي - تصدي...

تسببت في إضاءة أربعة أنوار حية الآن، والشيء يزداد خطورة، ويتحرك أسرع مع كل ضوء، مشكِّلاً المزيد من مناطق التشويش. خمسة أضواء.

لمعت حَبَّات العرق على بشرتها العارية. كانت موجودة الآن في عالم أبعاده مؤطرة بالنصل المهْدَّد، والدمية الهدف، وقدميها الحافيتين مقابل أرضية حجرة التدريب، الحواس/ الأعصاب/ العضلات - حركة في مقابل حركة.

هجوم - تفادي - تصدي.

سته أضواء... سبعة...

ثمانية!

لم تخاطر من قبل بثمانية.

في تجويف داخل عقلها، تنامي شعور ملح، صرخة ضد مثل هذا التهور. لا تمتلك أداة المناشير ودمية التدريب القدرة على التفكير أو الإحساس بالخطر أو الندم. وكانت الدمية الهدف تحمل نصلاً حقيقياً. الغرض من هذا التدريب هو مجابهة الأقل انهزامية. وبوسع ذلك النصل المهاجم أن يشوه، وأن يقتل. لكن أبرع مبارزي السيف في الإمبراطورية لم يسبق لهم أن واجهوا أكثر من سبعة أضواء.

تسعة!

ساور عالية شعور بالتسامي الفائق. أصبح النصل المهاجم والهدف غشاوة داخل غشاوة. أحسب بالحياة تدب في السيف في يدها. كانت هدفاً مضاداً. لم تحرك النصل. بل حرَّكها هو.

عشرة!

أحد عشر!

اندفع شيء متجاوزاً كتفها، وأبطأ عند هالة الدرع حول الهدف، وانزلق من خلالها، ولامس زر إيقاف التشغيل. انطفأت الأنوار. وتلوت المناشير والدمية الهدف حتى همدت تمامًا. دارت عالية غاضبة من اقتحام خلوتها لكن استجابتها توترت بسبب إدراكها القدرة الفائقة للشخص الذي رمى السكين. كانت رمية موقوتة بدقة مذهلة - فقط بالسرعة الكافية لتجاوز مجال الدرع، دون أن تكون سريعة جدًا بحيث لا تتحرف عن مسارها. وقد لامست بقعة طولها واحد مليمتر داخل هدف من أحد عشر ضوءًا.

ألقت عالية عواطفها وتوتراتها تهمد بطريقة لا تختلف عن الدمية الهدف.

لم تكن متفاجئة على الإطلاق لرؤية قاذف السكين.

وقف پول مباشرة عند مدخل حجرة التدريب، ستيلاجار وراءه بثلاث خطوات. كانت عينا أخيها ضيقتين في غضبٍ عالية، التي تنامي وعيها بعُريها وفكرت أن تغطي جسدها، وجدت الفكرة مسلية؛ ما رآته العين لا يمكن أن ينمحي. يببطء، أعادت السكين العاجية إلى غمدها عند رقبتها. قالت: «ربما كنت لأعرف».

قال پول: «أفترض أنك تعرفين مدى خطورة ذلك». أخذ وقته في قراءة ردود الفعل على وجهها وجسمها: التورُّد الناجم عن مجهودها البدني لوّن بشرتها، والاكتناز المبلل لشفتيها. كان هناك أنوثة مزعجة بشأنها لم يعتبرها قطّ في أخته. وجد غرابة في

النظر إلى إنسانة كانت قريبة منه إلى هذا الحد، ومع ذلك يفضل في التعرف عليها في إطار الهوية الذي تراهي راسخًا ومألوفًا. جأر ستيلجار الذي رنا حتى وقف بجانب پول: «ذلك كان جنونًا».

كانت الكلمات غاضبة لكن عالية سمعت رهبة في صوته، ورأتها في عينيه.

قال پول هازًا رأسه: «أحد عشر ضوءًا».

قالت: «لكنك قد وصلت إلى الضوء الثاني عشر لو لم تتدخل». بدأت تشحب تحت وطأة نظراته المثبتة إليها. أضافت: «ولماذا تمتلك الأشياء اللعينة كل تلك الأضواء إن لم يكن من المفترض أن نجربها؟»

سأل پول: «بني جيسيرتية يجب أن تسأل عن السبب وراء نظام بنهاية مفتوحة؟»

قالت وغضبها يعاودها: «أفترض أنك لم تحاول قط لأكثر من سبعة!» بدأت وقفته المنتبهة تضايقتها.

قال پول: «مرة واحدة فقط. أمسك بي جيرني هاليك مع بلوغي الضوء العاشر. وكان عقابي مُحرجًا لدرجة أنني لن أخبرك بما فعله. وبالتحدث عن الإحراج...»

قالت: «في المرة القادمة، ربما ستعلنان عن وصولكما».

اندفعت متجاوزة پول إلى داخل حجرة نومها، وجدت رداء رماديًا فضفاضًا وانسلت بجسمها داخله، وبدأت تمشط شعرها أمام مرآة جدارية. أحست بأنها متعركة، وحزينة. نوعية الحزن ما بعد الجماع، الذي تركها مع رغبة في الاستحمام مرة أخرى.. وفي النوم.

سألت: «لماذا أنتما هنا؟»

قال ستيلجار: «مولاي». كان هناك نغمة غريبة في صوته دفعت عالية إلى الاستدارة والتحديث إليه.

قال پول: «نحن هنا بناء على اقتراح إيرولان. رغم أن ذلك قد يبدو غريباً. تعتقد، والمعلومات في حيازة ستيل يبدو أنها تؤكد هذا الاعتقاد، أن أعداءنا على وشك أن يُقدِّموا على محاولة كبرى ل...».

قال ستيلجار، صوته أكثر حدة: «مولاي!»

في حين استدار أخوها مستفهماً، واصلت عالية النظر إلى النائب الفرمنى العجوز. شيء ما عنه الآن جعلها واعية بشدة أنه كان أحد الفرمن الأصليين. كان ستيلجار يؤمن بوجود عالم خوارقي قريب جداً منه. عالم يتحدث إليه بلسان وثني بسيط يبدد كل الشكوك. كان الكون الطبيعي الذي وقف فيه جامعاً، لا يمكن إيقافه، وكان يفتقر إلى الأخلاقيات المشتركة للإمبراطورية.

قال پول: «نعم، يا ستيل. هل تريد أن تخبرها لماذا أتينا؟»

قال ستيلجار: «هذا ليس الوقت المناسب للحديث عن سبب مجيئنا».

«ما بك يا ستيل؟»

واصل ستيلجار التحديث إلى عالية. «مولاي، هل أنت أعمى؟» استدار پول إلى أخته، وبدأ شعور بعدم الارتياح يغمره. من بين جميع مساعديه، فقط ستيلجار تجرأ على التحدث إليه بهذه النبرة، ولكن حتى ستيلجار كان يقيّم المناسبة وفقاً لمقتضياتها. انفعل ستيلجار: «هذه تحتاج إلى خليل! ستشأ مشكلة لو لم تتزوج، وفي القريب العاجل».

استدارت عالية بعيداً، وجهها بات ساخناً فجأة. تساءلت: كيف
أثر فيها؟ قدرتها البني جيسيرتية على التحكم في الذات كانت
عاجزة عن منع ردة فعلها. كيف فعل ستيلجار ذلك؟ لم يمتلك قوة
الصوت. اعتراها الارتباك والغضب

قالت عالية وهي لا تزال توليها ظهرها، واعية بالنبرة الوقحة
في صوتها وغير قادرة على إخفائها: «استمع إلى ستيلجار
العظيم! نصيحة للعذارى من ستيلجار، الفرمني!»

قال ستيلجار، كبرياء عميقة تتضح من نبرة صوته: «لأنني
أحبكما كليكما، يجب أن أتحدث. لم أصبح زعيماً بين الفرمن
بكوني أعمى عما يحرك الرجال والنساء معاً. لا يحتاج المرء إلى
قدرات غامضة لرؤية هذا».

وازن پول معاني كلمات ستيلجار، واستعرض ما رآياه هنا
وردة فعله الذكورية التي لا يمكن إنكارها تجاه أخته. نعم- كان
هناك شيء شهواني حول عالية، شيء ماجن إلى حد بعيد. ما
الذي جعلها تدخل قاعة التدريب وهي عارية؟ وتخاطر بحياتها
بهذه الطريقة المتهورة! أحد عشر ضوءاً في مناشير المبارزة!
كانت تلك الأداة -إنسان آلي بلا عقل- تلوح في ذهنه بكل ما
تحمله من مظاهر مخلوق مرعب عتيق. كانت حيازتها عُرفاً لهذا
العصر، لكنه حمل أيضاً وصمة لا-أخلاقية قديمة. سابقاً، وجَّهها
ذكاء اصطناعي، أدمغة كومبيوتر. أنهى الجهاد البطلري ذلك، لكنه
لم يضع حدًا لهالة الرذيلة الأرستقراطية التي أحاطت بمثل هذه
الأشياء.

كان ستيلجار محقًا بالطبع. يجب أن يجدوا خليلاً لعالية.

قال پول: «سوف أبحث هذا. سأناقش وعالية الأمر لاحقًا - على انفراد».

استدارت عالية، وركزت على پول. عارفة كيف يعمل عقله، أدركت أنها كانت موضوع قرارٍ منتات، حيث تترابط أجزاء لا حصر لها معًا في تحليل هذا الكومبيوتر-الإنسان. كان هناك صفة عنيدة لا يمكن دحضها في هذا الكشف - حركة مثل حركة الكواكب. حملت بداخلها شيئًا من نظام الكون، شيئًا حتميًا ومُرعبًا.

قال ستيلجار: «مولاي، ربما...».

قاطعته پول: «ليس الآن. لدينا مشكلات أخرى في الوقت الراهن».

مدركة أنها لا تجرؤ على محاولة التوفيق بين المنطق وأخيها، نَحَّت عالية اللحظات القليلة الماضية جانبًا، وقالت بأسلوب بني جيسيرتي: «أرسلتك إيرولان؟» وجدت نفسها تشعر بالتهديد من تلك الفكرة.

قال پول: «بشكل غير مباشر. المعلومات التي قدمتها لنا تؤكد شكوكنا في أن النقابة على وشك محاولة الإمساك بدودة رملية».

قال ستيلجار: «سيحاولون اصطياد واحدة صغيرة ومن ثمَّ بدء دورة إنتاج الاسپايس في كوكب آخر. هذا يعني أنهم وجدوا كوكبًا يعدّونه مناسبًا».

جادلت عالية: «هذا يعني أن لديهم شركاءٍ فرمن. لا يمكن

لأجنبي الإمساك بدودة!»

قال ستيلجار «هذا بديهي».

قالت عالية: «لا، إنه ليس كذلك». كانت غاضبة من مثل هذه البلادة. «بول، أنت بالتأكيد...».

قال بول: «بدأ العفن يتكوّن. لقد عرفنا ذلك لبعض الوقت. لم أر هذا الكوكب الآخر قطّ، وهذا يزعجني. لو أنهم-»
سألته عالية: «هذا يزعجك؟ هذا يعني فقط أنهم قد طمسوا موقعه بالاستعانة برجال النقابة بالطريقة نفسها التي يخفون بها ملاجئهم».

فتح ستيلجار فمه، ثم أغلقه دون أن يتحدث. خالجه شعور طاغ كأنّ معبوديه اعترفوا بنقطة ضعفهما التكفيرية.

قال بول، مستشعراً انزعاج ستيلجار: «لدينا مشكلة فورية! أريد رأيك يا عالية. يقترح ستيلجار أن نوسع دورياتنا في البيداء المفتوحة ونعزز مراقبة السييتش. ربما نتمكن من تحديد أي هبوط مريب ومنع-»

سألته عالية: «في وجود رجل نقابة يرشدهم؟»

وافق بول: «إنهم يائسون، صحيح؟ هذا هو سبب وجودي هنا».

سألته عالية: «ما الذي رأوه ولم نشاهده؟»

«بالضبط».

أومأت عالية برأسها متذكّرة أفكارها حول تاروت كتيب الجديد. وبسرعة روت مخاوفها إليهما.

قال بول: «إلقاء غطاء فوقنا لتشويش الرؤية الاستبصارية».

غامر ستيلجار قائلاً: «بالدوريات الكافية، قد نمنع...».

قالت عالية: «نحن لا نمنع أي شيء.. إلى الأبد». لم تعجبها الطريقة التي كان يعمل بها عقل ستيلجار الآن. ضيق نطاق تفكيره،

وأزال الضروريات الجليلة. لم يكن هذا هو ستيلجار الذي تذكّرتّه.
قال پول: «يجب أن نعتد على حصولهم على دودة. ما إن كان بإمكانهم بدء دورة المزاج على كوكب آخر أم لا لهو سؤال مختلف. سوف يحتاجون إلى أكثر من مجرد دودة». مكتبة .. سرّ من قرأ
تنقلت نظرات ستيلجار من الأخ إلى الأخت. من خلال التفكير البيئي الذي ترسخ بداخله من حياة السبييتش، أدرك مقصدهما. دودة أسيرة لا يمكن أن تعيش إلا داخل قطعة من أركس- العوالق الرملية والصانعات الصغيرة وكل هذا. كانت مشكلة النقابة ضخمة لكن ليست مستحيلة. تمركز عدم يقينه المتنامي في منطقة مختلفة.

سأل: «إذا رؤياكما لا تلتقط النقابة في أثناء عملها؟»

انفجر پول: «اللجنة!»

تفرست عالية ستيلجار، مستشعرة بالعرض الجانبي الوحشي للأفكار الدائر في عقله. كان معلقاً على حافة الافتتان. سحراً سحراً إلقاء نظرة خاطفة إلى المستقبل لهو بمثابة سرقة نار مرعبة من لهب مقدّس. حمل جاذبية الخطر المطلق. أرواح غامرت وضاعت. استدعى المرء من مسافات خطيرة عديمة الشكل، شيئاً له شكل وقدرة. لكن ستيلجار بدأ يشعر بوجود قوى أخرى، ربما قوى أكبر وراء ذلك الأفق المجهول. أظهرت ملكته الساحرة وصديقه العرّاف ضعفاً خطراً.

قالت عالية، وهي تقاقل لكبحه: «ستيلجار، أنت تقف في وادٍ بين كتبان رملية. أنا أقف على القمة. أرى حيثما لا ترى. ومن بين أمور أخرى، أرى الجبال التي تحجب المسافات.»

قال ستيلجار: «هناك أشياء مخفية عنكما. هذا ما قلتما دائماً».

قالت عالية: «كل القدرات محدودة».

قال ستيلجار: «والخطر قد يأتي من وراء الجبال».

قالت عالية: «إنه شيء بذلك الترتيب».

أوماً ستيلجار، نظراته مثبتة إلى وجه پول: «لكن مهما كان ما سيأتي من وراء الجبال، يجب أن يعبر الكئبان».

أخطر لعبة في العالم أن تحكم من أساس نبؤي .
لا نعدّ أنفسنا حكماء أو شجعان بالقدر الكافي حتى
نمارس تلك اللعبة. التدابير المفصلة هنا، التي
تنظم المسائل الأقل أهمية هي أقرب شيء إلى
إطار الحكم نجرؤ على المجازفة بها. من أجل
غاياتنا، نستعير تعريفاً من البني چيسيرت، ونعدُّ
الكواكب المختلفة بمثابة برك چينية، ومصادر
للتعاليم والمعلمين، مصادر لما هو جائز. هدفنا
ليس الحكم، ولكن الانتفاع من هذه البرك الچينية،
والتعلُّم، وتحرير أنفسنا من جميع القيود التي
تفرضها التبعية والحكومة.

«العريدة أداة لفضن الحكم»

الفصل الثالث من «مرشد رجل النقابة»

سأل إدريك، مُرسلاً مؤشراً شعاعياً من داخل حاويته إلى
علامة مرصعة بالجواهر على إحدى الخرائط الرثائية التي تزين
جدار قاعة استقبال پول: «أذلك مكان وفاة أبيك؟»
قال پول: «هذا ضريح جمجمته. توفي والدي سجيناً على
فرقاطة هاركوتنية في الحوض الموجود أسفلنا.»
قال إدريك: «أوه، نعم، أتذكر القصة الآن. شيء عن قتل البارون
هاركونن، عدوه اللدود». على أمل ألا يكون قد أظهر الكثير من
الرعب الذي فرضته عليه المساحات المغلقة الضيقة مثل هذه

الغرفة، تقلّب إدريك في الغاز البرتقالي، ووجّه نظره إلى پول، الذي جلس بمفرده على ديوان طويل، مخطط بالرمادي والأسود. قال پول: «أختي قتلت البارون قبل معركة أراكين مباشرة».

وتساءل لماذا أعاد رجل النقابة الأشبه بالسمة نكأ الجروح القديمة في هذا المكان وفي هذا التوقيت؟

بدا أن رجل النقابة يخوض معركة خاسرة لاحتواء طاقاته العصبية. تلاشت حركات الأسماك الخاملة من لقاءهما الأول. قفزت عينا إدريك الصغيرتان هنا... وهناك، تبحثان وتقيسان. كان الخادم الوحيد الذي رافق رجل النقابة إلى هنا يقف بمفرده بالقرب من صف حراس القلعة الممتد بطول الجدار الجانبي على يسار پول. أقلق الخادم پول - عنق ثخينة ووجه خ جامد وخالٍ من أي مشاعر. كان الرجل قد دخل غرفة الاستقبال، دافعاً حاوية إدريك على امتداد مجالها الداعم، وسار بمشية أجنبية، الذراعان على خاصرتيه.

دعاه إدريك: *سايّتل. سايّتل، مساعد*.

وشى المظهر الخارجي للمساعد بالغباء، لكن عينيه فضحتاه. ضحكتنا على كل ما رأناه.

قال إدريك: «بدا لي أن حظيتك قد استمتعت بأداء راقصي الوجوه. يسعدني أن أتمكن من توفير ذلك الترفيه الصغير. استمتعتُ بشكل خاص بردة فعلها لرؤية ملامحها تتكرر على نحو متتابع من قبل الفرقة بالكامل».

سأل پول: «ألا يوجد تحذير ضد حمل رجال النقابة هدايا؟»

وفكر في الأداء الاستعراضى الذي جرى في القاعة الكبرى.

كان راقصو الوجوه قد دخلوا مرتدين أزياء وهيئة شخصيات بطاقات «تاروت كثيب»، وتجولوا في أنماط عشوائية ظاهريًا، تحولت إلى دوامات نارية وتصميمات تكهنية عتيقة. ثم جاء الدور على تقمص الحكام - موكب من الملوك والأباطرة مثل الوجوه المنقوشة على العملات المعدنية، رسمية وجامدة في إطارها الخارجي لكنها مرنة على نحو فضولي. والدعابات: نسخة من جسد ووجه پول، ونسخ من تشاني تكررت بالتتابع عبر أرضية القاعة، وحتى ستيلجار، الذي تدمر وارتعد لرؤية نسخة منه بينما راح الآخرون يتضحكون.

احتج إدريك: «لكن هدايانا تحمل أطيب النيات».

سأل پول: «كم يمكنك أن تكون طيبًا؟ الغولة الذي قدمته لنا يعتقد أنه مصمم لتدميرنا».

سأل إدريك: «تدميركم يا مولاي. محاولة فارغة للفت انتباهكم. هل يمكن لأحدهم أن يدمر إلها؟ توقف ستيلجار الذي استمع إلى الكلمات الأخيرة عند دخوله، وحقق إلى الحراس. كانوا أبعد بكثير عن پول مما يروق له. اقترب منهم بفضب».

قال پول رافعًا يده: «لا بأس يا ستيل. مجرد مناقشة ودية. لماذا لا تحرك حاوية السفير إلى طرف ديواني؟»
عندما وازن ستيلجار الأمر في ذهنه، رأى أنه سيضع حاوية رجل النقابة بين پول والمساعد الضخم، وبالتالي سيكون على مسافة قريبة جدًا من پول، لكن...

كرر پول: «كل شيء على ما يرام يا ستيل»، وأعطى إشارة اليد الخاصة التي جعلت الأمر إلزاميًا.

تحرك ستيلجار بتردد واضح، ودفع الحاوية، مقرّبًا إياها من پول. لم يعجبه ملمس الحاوية أو الرائحة العبقة والمركّزة للمزاج من حولها. اتخذ موقعه عند زاوية الحاوية تحت الجهاز المداري الذي تحدث من خلاله رجل التوجيه.

قال پول: «قتل إله.. هذا مثير للاهتمام. لكن من قال إنني إله؟»

قال إدريك وهو يلقي نظرة خاطفة إلى ستيلجار: «أولئك الذين يعبدونكم».

سأل پول: «هل هذا ما تؤمن به؟»

قال إدريك: «ما أومن به ليس مهمًا يا مولاي. لكن يبدو إلى معظم الملاحظين أنك تتآمر من أجل تأليه نفسك. وقد يتساءل المرء عما إن كان هذا شيء يمكن لأي إنسان فإن فعله... بأمان؟»
درس پول رجل النقابة. مخلوق منفر، لكن حاد الملاحظة. كان سؤالًا طرحه پول على نفسه مرارًا. لكنه رأى مسارات زمنية بديلة كافية لمعرفة وجود احتمالات أسوأ من قبول نفسه إلهًا. أسوأ بكثير. ومع ذلك، لم تكن هذه هي الوسائل المعتادة التي يستخدمها رجل نقابة لاستكناه الحقيقة. الأمر فضولي. لماذا طرح هذا السؤال؟ ما الذي يمكن أن يأمل إدريك في جنيه من وراء مثل هذه الوقاحة؟ تدفقت أفكار پول بسرعة (لا بد أن جماعة التليلاكسو وراء هذه الخطوة) - نقرة (سيؤثر انتصار الجهاد الأخير في سيمبو في عمل إدريك) - نقرة (تجلت العديد

من عقائد البني چيسيرت هنا) - نقرة... عملية تنطوي على آلاف الأجزاء من المعلومات تدفقت عبر وعيه الحسابي. ربما استغرق الأمر ثلاث ثوانٍ فقط.

سأل پول واضعاً إدریک على أرضية شديدة الهشاشة: «هل يشكك رجل نقابة في توجيهات الاستبصار؟»

أزعج هذا رجل النقابة لكنه مؤه ذلك جيداً إذ نطق بما بدا أنه قول مأثور طويل: «لا يوجد رجل ذكي يشكك في حقيقة الاستبصار يا مولاي. عُرِفَت الرؤية النبؤية للرجال منذ العصور السحيقة. لديها طريقة لإرباكنا وإيقاعنا في شركها في أقل لحظات سكننا. لحسن الحظ، هناك قوى أخرى في عالمنا.»

سأله پول، ضاغطاً عليه: «قوى أعظم من الاستبصار؟»
«لو كان الاستبصار وحده موجوداً وفعل كل شيء، يا مولاي، فسيقضي على نفسه بنفسه. لا شيء سوى الاستبصار؟ أين يمكن تطبيقه إلا على تحركاته المتدهورة؟»

وافق پول على ذلك قائلاً: «هناك دائماً الوضع البشري.»
قال إدریک: «شيء محضوف بالمخاطر في أحسن الأحوال، دون الخلط بينه وبين الهالوس.»

سأل پول، حزن ساخر اعترى صوته: «هل رؤياي ليست إلا هلوسة؟ أم أنك تلمح إلى أن عبادي يهلوسون؟»

ستيلجار، مستشعرا التوترات المتنامية، تحرك خطوة مقترباً من پول، وركز انتباهه على رجل النقابة المستلقي في الحاوية. احتج إدریک قائلاً: «أنت تحرّف كلماتي يا مولاي.» كان هناك إحساس غريب بالعنف مُعلّقاً في الكلمات.

تساءل پول: عنف هنا؟ لن يجرؤوا! إلا (ونظر إلى حراسه) لو
استخدمت قواتي التي تحميني في الإطاحة بي.
قال پول، وهو يرفع حدة صوته قليلاً بحيث لا يسمعه إلا
إدريك وستيلجار: «لكنك تتهمني بالتآمر من أجل تأليه نفسي.
تآمر؟»

قال إدريك: «ربما اختيار سيئ مني للكلمات يا مولاي».
قال پول: «لكنه اختيار له دلالاته. يقول إنك تتوقع أسوأ ما
في».

قوَس إدريك رقبتَه، وهدق جانبياً إلى ستيلجار بنظرة توجُّس.
«يتوقع الناس دائماً أسوأ ما في الأغنياء والأقوياء يا مولاي. يُقال
إنه يمكن للمرء دائماً أن يميز أرسقراطياً، إذ إنه يكشف فقط
عن رذائله التي ستجعله يحظى بشعبية».
عبرت رعشة وجه ستيلجار.

نظر پول إلى الحركة، مستشعراً تهامس الأفكار والغضب في
عقل ستيلجار. كيف يجرؤ رجل النقابة هذا على التحدث هكذا
إلى المؤدِّب؟

قال پول: «أنت لا تمزح بالطبع».
«أمزح يا مولاي؟»

صار پول واعياً بجفاف فمه. شعر أن هناك عدداً مهولاً من
البشر في هذه الحجرة، أن الهواء الذي استنشقه قد عبّر الكثير
من الرئات. غمامة المزاج المنبعثة من حاوية إدريك تراءت له
مصدر تهديد.

سأل پول عائداً بتركيزه إلى الحاضر: «من قد يكون شركائي
في مثل هذه المؤامرة؟ هل تقترح الكِزارة؟»

هزّة كتف إدريك أثارت الغاز البرتقالي حول رأسه. لم يعد يشعر بالقلق من وجود ستيلجار رغم أن الفرمني استمر في التحديق إليه.

أصرّ پول: «هل تقترح أن المبشرين الكهنة، جميعهم، يعطون بأفك خفي؟»

قال إدريك: «يمكن أن تكون مسألة مصلحة ذاتية وصدق».

وضع ستيلجار يده على السكين العاجية تحت رداؤه.

هزّ پول رأسه، وقال: «إذا أنت تتهمني بالنفاق».

«لست متأكدًا من أن الاتهام الكلمة المناسبة، يا مولاي».

فكر پول: *يا لجرأة هذا المخلوق!* وقال: «تتهمني أم لا، أنت تقول إن أساقفتي وأنا لسنا أفضل من قطاع الطرق المتعطشين للسلطة».

«متعطشين للسلطة، يا مولاي؟» مرة أخرى، نظر إدريك إلى ستيلجار. «السلطة تميل إلى عزل أولئك الذين يمتلكون الكثير منها. في النهاية، يفقدون الاتصال بالواقع... ويسقطون».

جأر ستيلجار: «مولاي، لقد أمرت بإعدام رجال على قول ما هو أقل!»

وافق پول: «رجال، نعم. لكن هذا سفير نقابة».

قال ستيلجار: «يتهمك باحتيال آثم!»

قال پول: «تفكيره يثير اهتمامي يا ستيل. احتو غضبك وابقَ يقظًا».

«كما يأمر المؤدّب».

قال پول، «أخبرني يا رجل النقابة، كيف يمكننا الحفاظ على هذا الاحتيال الافتراضي عبر هذه المسافات الهائلة من المكان والزمان دون امتلاك وسائل لمراقبة كل مبشّر، أو لملاحظة كل تغيّر بسيط في كل دير ومعبد تابع للكِزارة».

سأل إدريك: «ما الزمان بالنسبة إليك؟»

عبس ستيلجار في حيرة واضحة. وفكر: كثيرًا ما قال المؤدّب أنه يرى ما وراء حُجُب الزمن. ما الذي يقوله رجل النقابة حقًا؟
سأل پول: «ألن يبدأ هيكل مثل هذا الاحتيال في إظهار ثغرات؟ خلافات ضخمة.. انشقاكات... شكوك، اعترافات بالذنب - بالتأكيد لا يمكن لمحتال أن يجمع كل ذلك».

قال إدريك: «ما لا يمكن أن يخفيه الدين والمصلحة الذاتية، يمكن للحكومات أن تخفيه».

سأل پول: «هل تختبر حدود سماحتي؟»

رد إدريك: «هل حججي تفتقر إلى أي مزيّة؟»

تساءل پول: هل يريد منا أن نقتله؟ هل يقدم إدريك نفسه قريانا؟

قال پول مختبرًا: «أنا أفضل وجهة النظر المتشككة. من الواضح أنك تدرّبت على كل الحيل المراوغة لفن الحكم، المعاني المزدوجة وكلمات السلطة. اللغة ليست أكثر من سلاح بالنسبة إليك، وبالتالي، فإنك تختبر درعي».

قال إدريك وفمه يرسم ابتسامة: «وجهة النظر المتشككة. ومن المعروف أن الحكام متشككون في ما يتعلق بالأديان. والدين سلاح أيضًا. أي شكل من الأسلحة يمثله الدين عندما يصبح هو الحكومة؟»

شعر پول بذاته تتكمش إلى الداخل ويخيم عليها السكون، حذر عميق يُحْكِم قبضته عليه. إلى من كان يتحدث إدريك؟ الكلمات الذكية اللعينة، المثقلة بأدوات التلاعب - النبرة الخفية للسخرية المريحة، والهالة غير المنطوقة لأسرار مشتركة بينهما: كانت طريقته تقول إنه ويول كانا شخصين واسعِي الاطلاع، رجلين من عالم أوسع، فهما أشياء مستعصية على عامة الناس. مصدومًا أدرك پول أنه لم يكن الهدف الرئيس لكل هذا الكلام المنمق. هذا البلاء الذي زار البلاط الإمبراطوري كان يتحدث حتى يسمعه الآخرون - تحدث إلى ستيلجار، إلى حراس القلعة... ربما حتى إلى المساعد الضخم.

قال پول: «الاعتبار الديني فُرض عليّ. لم أسعَ إليه». ففكر: هَاك! دع هذا الرجل-السمة يعتقد أنه منتصر في معركتنا الكلامية!

سأل إدريك: «فلماذا لم تتبرأ منه يا مولاي؟»

قال پول، وهو يراقب إدريك بعناية: «بسبب أختي عالية. إنها إلهة. اسمح لي أن أحثك على توخي الحذر حين يتعلق الأمر بعالية، وإلا سترديك ميتًا بنظرتها».

ابتسامة مزهوة بدأت تتشكل على فم إدريك لكن سرعان ما حلت محلها نظرة صدمة.

قال پول وهو يشاهد الصدمة تنتشر، ويرى إيماءة ستيلجار المستحسنة: «أنا جاد تمامًا».

قال إدريك بصوت كئيب: «جرحت ثقتي بك، يا مولاي. ولا أشك في أن هذه كانت نيتك».

قال پول، «لا تكن متأكدًا من أنك تعرف نيتي»، وأعطى إشارة إلى ستيلجار بنهاية اللقاء. ثم على تساؤل ستيلجار عن إعدام إدريك، أعطى پول بيده إشارة نفي، وأعقبها بإشارة تؤكد أنه أمر إلزامي لئلا يتصرف ستيلجار من تلقاء نفسه.

تحرك سايتل، مساعد إدريك، إلى الزاوية الخلفية للحاوية، ودفعها نحو الباب. عندما صار أمام پول توقف، ووجه نظرة ضاحكة إلى پول، وقال: «إن سمح مولاي لي؟»

سأل پول وقد لاحظ كيف اقترب ستيلجار منه ردًا على التهديد الضمني من هذا الرجل.

قال سايتل: «يقول البعض إنَّ الناس يتشبثون بالقيادة الإمبراطورية لأن الفضاء لا نهائي. يشعرون بالوحدة دون وجود رمز موحد. بالنسبة إلى شعب وحيد، يعتبر الإمبراطور مكانًا محددًا. يمكنهم أن يلتفتوا إليه ويقولوا: «انظروا هناك. إنه يوحدنا. ربما يخدم الدين نفس الغرض، يا مولاي».

أوماً سايتل بابتهاج، وأعطى حاوية إدريك دفعة أخرى. غادرا حجرة الاستقبال، إدريك مستلق في دبابته، مغمض العينين. بدا رجل النقابة منهكًا، كل طاقاته العصبية مستنزفة.

حدق پول إلى خيال سايتل الذي يسير بخطوات متناقلة جازًا الحاوية، وتساءل عن كلماته. فكر: شخص غريب، سايتل ذاك. بينما كان يتحدث، شعَّ منه شعورٌ بأشخاص كثيرة - كما لو أن إرثه الجيني برمته كان مكشوفًا على جلده.

قال ستيلجار، دون أن يوجه كلامه إلى أحد على وجه الخصوص: «كان ذلك غريبًا».

نهض پول من فوق الديوان في حين أغلق حارسُ الباب خلف إدريك ومرافقه.

كرر ستيلجار: «غريب». خفق وريد في صدغه.

خفف پول إضاءة حجرة الاستقبال ثم تحرك إلى نافذة مطلة على مشهد جرف حصنه المائل. توهجت الأضواء بعيداً في الأسفل كاشفة حركة طفيفة. تحرّك بعض العمال هناك حيث أحضروا كتل بلازميلد عملاقة لإصلاح إحدى واجهات معبد عالية التي تضررت بسبب هبة غريبة من ربح حملتها الرمال. قال ستيلجار: «كان هذا أمراً أحمق، يا أصول، دعوة ذلك المخلوق إلى هذه الغرف».

فكر پول: أصول. اسمي في السيتش. يذكرني ستيلجار أنه كان حاكمي ذات مرة، أنه أنقذني من الصحراء.

سأل ستيلجار متحدثاً من مكان قريب وراء پول: «لماذا فعلت هذا؟»

قال پول: «بيانات.. أحتاج إلى بيانات أكثر».

«أليس خطراً مواجهة هذا التهديد بصفتك منتاتاً فقط».

فكر پول: كانت تلك ملاحظة بعيدة النظر.

حسابات المنتات تظل محدودة. لا تستطيع أن تقول شيئاً لا محدود داخل حدود أي لغة. لكن كان لقدرات المنتات فوائدها. باح بما يكفي الآن، متحدياً ستيلجار أن يفند حجته.

قال ستيلجار: «هناك دائماً شيء في الخارج. من الأفضل الإبقاء على بعض الأشياء في الخارج».

قال پول: «أو في الداخل». وقد قَبِلَ للحظة الخلاصة التي توصلت إليها قدراته النبوية/ المنتاتية. في الخارج، أجل. وفي الداخل: هنا يكمن الرعب الحقيقي. كيف يحمي ذاته من ذاته؟ من المؤكد أنهم كانوا يجهزونه لتدمير نفسه، لكن هذا كان موقعًا محاصرًا حتى باحتمالات أكثر رعبًا.

حطّم تأملاته صوت خطى سريعة. ظهر خيال قائد الكِزارة كُربة عبر المدخل المضاء بالإنارة الساطعة للممرات. دخل كأنما مدفوعًا بقوة غير مرئية، وتوقف على الفور تقريبًا عندما واجه قتامة حجرة الاستقبال.

تبدت يده مملوءتين ببكرات من الشيجواير التي لمعت في ضوء القاعة، أشبه بجواهر غريبة صغيرة ومستديرة، انطفئت عندما امتدت يد حارس وأغلقت الباب.

سأل كُربة محددًا إلى الظلال: «هل هذا أنت يا مولاي؟»

قال ستيلجار: «ما هذا؟»

«ستيلجار؟»

«كلانا هنا. ما هذا؟»

«أنا منزعج من هذا الاستقبال لرجل النقابة.»

سأل پول: «منزعج؟»

«يقول الناس، يا مولاي، إنك تكرم أعداءنا.»

قال پول: «هل هذا كل شيء؟ هل هذه البكرات التي طلبت

منك إحضارها سابقًا؟»

وأشار إلى كرات الشيجواير في يدي كُربة.

«البكرات... أوه! نعم يا مولاي. هذه كتب التاريخ. سوف تطلع

عليها هنا؟»

«أطلعت عليها . أريدها من أجل ستيلجار».

سأل ستيلجار: «من أجلي؟» شعر بالاستياء يتنامى بداخله
حيال ما اعتبره نزوة من جانب پول . كتب التاريخ! كان ستيلجار
قد بحث عن پول في وقت سابق لمناقشة الحسابات اللوجستية
لغزو كوكب زابولون . وكان حضور سفير النقابة قد قاطع ذلك .
والآن - كُربة مع كتب التاريخ!

قال پول مفكرًا بصوت عالٍ، فاحصًا الشكل المظلل بجانبه:
«ما مقدار ما تعرفه من التاريخ يا ستيل؟»
«يا إلهي، يمكنني تسمية كل كوكب لمسه شعبنا في هجراتهم .
أنا أعرف امتدادات الإمبراطورية ..».

«العصر الذهبي لكوكب الأرض، هل سبق لك أن درست ذلك؟»
«الأرض؟ العصر الذهبي؟» كان ستيلجار غاضبًا ومرتبكًا . لماذا
يرغب پول في مناقشة الأساطير منذ فجر الزمن؟ لا يزال عقل
ستيلجار يشعر بالاكتمال ببيانات زابولون - حسابات وردت من
طاقم المنتات: مئتان وخمسة فرقاطات هجومية تضم ثلاثين
فيلقًا، وكتائب دعم، وكوادر لإحلال السلام ومبشري الكِزارة ..
احتياجات الطعام (كانت لديه الأرقام هنا في ذهنه) والمزاج ...
والأسلحة والأزياء الرسمية والميداليات ... والجرّات من أجل
رماد الموتى ... وعدد المتخصصين - رجال إنتاج المواد الأولية
للدعاية، وكتبة، ومحاسبين ... وجواسيس ... وجواسيس على
الجواسيس ...

غامر كُرية قائلاً وقد استشعر بلا شك التوترات المتنامية بين پول وستيلجار، وقد أزعجته: «أحضرت ملحق جهاز مزامن النبض⁽¹⁾ أيضاً، يا مولاي».

هز ستيلجار رأسه من جانب إلى آخر. مزامن نبض؟ لماذا يتمنى پول منه أن يستخدم نظام رفرقة استذكاري على جهاز عرض الشيجواير؟ لماذا التدقيق في بيانات محددة في كتب التاريخ؟ كان هذا عمل المنتجات كالعادة، وجد ستيلجار أنه لا يستطيع الهروب من ارتياب عميق في فكرة استخدام جهاز عرض وملاحق. لطالما أغرقه ذلك الشيء في أحاسيس مزعجة، وابل ساحق من البيانات التي يفرزها عقله لاحقاً، ليتفاجأ بمعلومات لم يكن يعرف بأنه يمتلكها حتى.

قال ستيلجار، «مولاي، جئت بحسابات زابولون».

انفجر پول مستخدماً المصطلح الفرمني البذيء الذي يعني أن هنا يوجد رطوبة لا أحد يستطيع أن يحط من قدر نفسه بلمسها: «جفف حسابات زابولون!»

«مولاي!»

قال پول: «ستيلجار، تحتاج بشكل عاجل إلى حسّ بالاتزان لا يمكن أن يأتي إلا من خلال استيعاب النتائج طويلة المدى. المعلومات القليلة التي نمتلكها عن الأزمنة القديمة، القسط الزهيد من البيانات التي تركها البطلريون لنا، قد جلبها كُرية من أجلك. ابدأ بـ «جنكيز خان»».

«جنكيز.. خان؟ هل كان من الساردوكار يا مولاي؟»

(1) جهاز مزامن النبض أو جهاز الرفرقة الاستذكاري: جهاز لطباعة حقائق معينة من كتاب داخل عقل القارئ. (المترجم)

«أوه، لا، قبل ذلك بزمان طويل. قتل.. ربما أربعة ملايين».

«لا بد أنه امتلك أسلحة مخيفة لقتل هذا العدد الكبير، يا مولاي. أشعة ليزر، ربما أو...»

«لم يقتلهم بنفسه يا ستيل. قتل بالطريقة التي أقتلُ بها بإرساله فيالقه. هناك إمبراطور آخر أريدك أن تتبّه إليه خلال مطالعتك الكتب- يدعى هتلر. قتل أكثر من ستة ملايين. رقم جيد جدًا بمعايير تلك الأيام».

سأل ستيلجار: «قتل... باستخدام فيالقه؟»
«نعم».

«إحصائيات ليست باهرة، يا مولاي».

«بل جيدة جدًا يا ستيل». ظرّ بول إلى البكرات بين يدي كُريه. وقف كُريه ممسكًا بها كأنه يتمنى أن يسقطها ويلوذ بالفرار. «الإحصاءات تشير إلى أنني، في تقدير متحفظ، قد قتلْتُ إحدى وستين مليارًا، وعقّمت تسعين كوكبًا، وأحبّطت عقيدة خمسمئة كوكب تمامًا. ومحوت أتباع أربعين ديانة كانت موجودة منذ-»
احتج كُرية: «كفار.. كفار كلهم!»

قال بول: «بل مؤمنون».

قال كُرية بصوت مرتجف: «وليّ يمزح. الجهاد جلب عشرة آلاف كوكب إلى الضوء الساطع ل-»

قال بول: «جلبها إلى الظلام. سنحتاج إلى مئة جيل حتى نتعافى من جهاد المؤدّب. أجد صعوبة في تخيل تفوق أي شخص على هذا». انطلقت ضحكة مجلجلة من حلقه.

سأل ستيلجار: «ما الذي يُمتّع المؤدّب؟»

«أنا لست مستمتعاً. بالكاد راودتني رؤية مفاجئة عن الإمبراطور هتلر يقول شيئاً مشابهاً لهذا. لا شك في أنه قال ذلك».

جادل كُربة: «لم يمتلك أي حاكم آخر في أي وقت مضى قدراتك. من يجرؤ على تحديك؟ تتحكم فيالقك في الكون المعروف وكل -»

قال پول: «الفيالق تتحكم. أتساءل إن كانوا يعرفون هذا؟»

قاطع ستيلجار حديثهما: «أنت تتحكم في فيالقك يا مولاي»، وكان واضحاً من نبرة صوته أنه شعر فجأة بموقعه في سلسلة القيادة تلك، يده توجّه كل تلك السلطة.

بعد أن وضع أفكار ستيلجار على المسار الذي أراده، حوّل پول انتباهه الكامل إلى كُربة، وقال: «ضع البكرات هنا فوق الديوان». فيما أطاعه كُربه، قال پول: «كيف حال الاستقبال يا كُربة؟ هل تسيطر أختي على زمام كل شيء؟»

«نعم يا مولاي». كانت نبرة كُربة حذرة. «وتشاني تشاهد من حفرة التلصص. إنها تشتهه في وجود ساردوكار في حاشية النقابة».

قال پول: «لا شك في أنها على صواب. بنات أوى تجتمع».

قال ستيلجار ذاكرة اسم قائد وحدة أمن پول: «بانيرجي كان قلقاً في وقت سابق أن بعضاً منهم قد يحاول اختراق المناطق السرية داخل الحصن».

«هل حاولوا؟»

«ليس بعد».

قال كُربة: «لكن كان هناك بعض الارتباك في الحقائق الرسمية».

سأل ستيلجار: «أي نوع من الارتباك؟»

أوماً پول برأسه.

قال كُريه: «غرياء يأتون ويذهبون، يدوسون على النباتات بأقدامهم، ويتهامسون بالأحاديث - سمعت تقارير عن بعض الملاحظات المزعجة.»

سأل پول: «مثل ماذا؟»

«هل هذه هي الطريقة التي تُتفق بها ضرائبنا؟ قيل لي إن السفير ذاته طرح هذا السؤال.»

قال پول: «لا أجد ذلك مفاجئاً. هل كان هناك غرياء كثيرون في الحدائق؟»

«العشرات، يا مولاي.»

قال ستيلجار: «أمر بانيرجي جنوداً مختارين بالتمركز عند الأبواب الأكثر عرضة للخطر، يا مولاي». استدار وهو يتحدث، فسمح للضوء الوحيد المتبقي في حجرة الاستقبال أن ينير نصف وجهه. الإضاءة الغربية، والوجه، كل هذا لمس خيط ذكرى في ذهن پول - شيء من الصحراء. لم يكلف پول نفسه عناء استرجاع الأمر برمته، حيث كان تركيزه منصباً على كيفية استغراق ستيلجار في أفكاره. كان لدى الفرمني جبين مشدود، عكس تقريباً كل فكرة ومضت في ذهنه. كان مرتاباً الآن، مرتاباً بعمق من السلوك العجيب لإمبراطوره.

قال پول: «لا أحب التطفل على الحدائق. مجاملة الضيوف شيء، والضرورات الشكلية للترحيب بمبعوث، ولكن هذا...»
قال كُرية: «سأعمل على إبعادهم من هناك حالاً.»

أمر پول في حين بدأ كُربة بالدوران: «انتظرا!»

في السكون المفاجئ للحظة، اقترب ستيلجار حتى صار في وضعية تُمكنه من دراسة وجه پول. فعل ذلك ببراعة. أعجب پول بالطريقة التي أتم بها ذلك. كان إنجاز خالٍ من أي تقدم، شيئاً فرمئياً: دهاء مشوبٌ باحترام خصوصية الآخر، حركة اقتضتها الضرورة.

سأل پول: «كم الساعة؟»

قال كُربة: «يكاد الليل ينتصف، يا مولاي.»

قال پول: «كُربة، أعتقد أنك قد تكون أفضل خليقتي.»

«مولاي!» كان هناك جرح في صوت كُربة.

سأل پول: «هل تشعر بالرهبة مني؟»

قال كُربة: «أنت پول المؤدّب الذي كان أصول في سييتشنا.

تعرف إخلاصي إلى..»

سأل پول: «هل شعرت يوماً كأنك حواراي؟»

من الواضح أن كُربة أساء فهم الكلمة، لكنه فسّر نبرة الصوت

على نحو صحيح.

«الإمبراطور يعلم أن لدي ضميراً نظيفاً!»

غمغم پول: «شَيّ هولود، أنقذنا.»

كسر صمت اللحظة المشوب بالتساؤل، صوت شخص يصفر

في أثناء سيره في الردهة الخارجية. سكت الصفير عندما صار

في مقابل الباب إثر أمر صرخ به أحد الحراس.

قال پول: «كُربة، أعتقد أنك ربما تتجو من هذا كله.» وقرأ نور

الفهم المتنامي على وجه ستيلجار.

سأل ستيلجار: «الغريباء في الحدائق يا مولاي؟»

قال پول: «آهة، أجل. أعط الأوامر إلى بانيرجي حتى يُخرجهم من هناك يا ستيل. سيساعد كُربة في ذلك».

قال كُربة بصوت وشى باضطراب عميق: «أنا، يا مولاي؟»

قال پول مخاطبًا كُربة لكن منتقيًا كلماته من أجل ستيلجار: «بعض أصدقائي نسوا أنهم كانوا فرمنا من قبل. سوف تحدد أولئك الذين تتعرف عليهم تشاني على أنهم ساردوكار، وستقتلهم. افعل ذلك بنفسك. أرغب في إتمام ذلك بهدوء، ودون أي إزعاج غير ضروري. يجب أن نُبقي في أذهاننا حقيقة أن هناك للدين والحكومة ما هو أكثر من الموافقة على المعاهدات والمواضع». همس كُربة: «أطيع أمر المؤدّب».

سأل ستيلجار: «حسابات زابولون؟»

قال پول: «غداً. وعند الانتهاء من إبعاد الغريباء من الحدائق، أعلن انتهاء الاستقبال. الحفل انتهى يا ستيل».

«أفهم يا مولاي».

قال پول: «أنا متأكد من ذلك».

هنا يرقد إله أطيح به ..
سقوطه ما كان سقوطاً صغيراً
كل ما فعلناه هو بناء قاعدته ..
طويلة وضيقة .

«إبيغراما⁽¹⁾ تليلاكسو»

جثمت عالية على الأرض، وأراحت مرفقيها على ركبتيها،
وذقنها على قبضتيها، وحدقت إلى الجثة فوق الكثبان الرملية
- بضع عظام وبعض اللحم الممزق الذي كان في يوم من الأيام
امرأة شابة. اختفت اليدان والرأس ومعظم الجذع العلوي- أكلته
ريح كوريوليسية. كانت الرمال في كل مكان تحمل آثار أطباء
شقيقتها والباحثين. رحلوا الآن كلهم ما عدا عمال المشرحة الذين
وقفوا إلى جانب الغولة حياة، في انتظار انتهائها من استقرائها
الغامض للمكتوب هنا .

غُلّفت سماء قمحية المشهد في الضوء الرمادي الشاحب،
الشائع في منتصف الظهيرة بالنسبة إلى خطوط العرض هذه.
اكتشف الجثة قبل عدة ساعات ساع كان يحلق على ارتفاع
منخفض التقطت أجهزته أثراً خافتاً للمياه حيث لا ينبغي أن يكون
هناك أي أثر. جلب اتصاله الخبراء. وعلموا - ماذا؟ أن هذه كانت
امرأة عمرها نحو عشرين عاماً، فرمّنية، مدمنة سموتاً... وقد
ماتت هنا في بوتقة الصحراء من آثار سم خفي تليلاكسو الأصل.

(1) قصيدة قصيرة تتميز بتركيز العبارة وإيجازها وكثافة المعنى، واشتمالها
على مفارقة إمّا مدحاً وإما هجاء وإما حكمة. (المترجم).

كان الموت في الصحراء حدثًا شائعًا لكن فرمينة مدمنة سموتا. كان هذا نادرًا لدرجة أن پول أرسلها لفحص المشهد بالوسائل التي علّمها لهما أمهما.

شعرت عالية أنها لم تتجز شيئًا هنا سوى إلقاء هالتها الخاصة من الغموض على مشهد كان بالفعل غامضًا بما يكفي. سمعت أقدام الغولة تثير الرمال، فنظرت إليه. انصب انتباهه مؤقتًا على الثوبترات المرافقة التي كانت تحلق فوق رؤوسهم مثل قطع من الغريبان.

فكرت عالية: احترسي من الهدايا التي تجلبها النقابة.

كان ثوبتر المشرحة ومركبتها فوق الرمال بالقرب من صخرة بارزة خلف الغولة. التركيز على الثوبترات الرابضة على الأرض، ملأت عالية رغبة في أن تكون محمولة في الهواء بعيدًا عن هنا. لكن پول كان يعتقد أنها قد ترى شيئًا هنا قد يفضل عنه الآخرون. تلوّت في بذلة التقطير. تراءى لها ذلك غير مألوف إلى حد كبير بعد كل شهور الحياة في المدينة دون ارتداء بذلة تقطير. تفرست الغولة متسائلة عما إن كان يعرف شيئًا مهمًا عن هذا الموت الغريب. رأت أن خصلة من شعره الأسود الأشبه بشعر الماعز قد فرّت من قلنسوة بذلة التقطير. شعرت بأن يدها تتوق إلى إعادة هذا الشعر إلى مكانه.

كما لو أن هذه الفكرة جذبتة، تحولت عيناه المعدنيتان المتوهجتان نحوها. جعلتها نظراته ترتجف، فأشاحت بعينيها عنه.

ماتت هنا امرأة فرمزية بسبب سم يسمى «حَلْقُ الجحيم».

فرمزية مدمنة سيموتا. شاركت پول قلقه من هذا الاقتران المريب.

انتظر عمال المشرحة بصبر. هذه الجثة لا تحتوي على ما يكفي من الماء لإنقاذه. لم يشعروا بالحاجة إلى الإسراع. وكانوا يعتقدون أن عالية، من خلال فن نقشي معين، كانت تقرأ حقيقة غريبة في هذه الرفات.

لم تأت إليها أي حقيقة غريبة.

لم يكن هناك سوى شعور بعيد بالغضب في أعماقها بسبب الأفكار الجلية لها في أذهان عمال المشرحة. كانت تلك الأفكار نتاج الغموض الديني اللعين. في عيونهم لا يمكن أن تكون هي وشقيقها محض أشخاص. كان عليهما أن يكونا شيئاً أكثر. وقد عملت البني جيسيرت على ترسيخ تلك الفكرة من خلال التلاعب بأصول آتريديز. وساهمت والدتهما في ذلك بدفعهما إلى طريق السحر.

وخلد پول هذا الاختلاف.

تحركت الأمهات الموقرات الراسخات في ذكريات عالية بلا كلل، ما أثار ومضات من أفكار أدب: «السلام عليك، يا صغيرة! أنتِ ما أنتِ عليه. هناك تعويضات».

تعويضات!

استدعت الغولة بإيماءة.

توقف بجانبها، يقظاً وصبوراً.

سألت: «ماذا ترى في هذا؟»

قال: «قد لا نعرف أبداً من مات هنا. الرأس والأسنان تلاشت تماماً. الأيدي.. من المستبعد أن تحوي مثل هذه الجثة أي سجل جيني يمكن مطابقته مع خلاياها».

قالت: «سم التليلاكسو. ما رأيك فيه؟»

«كثير من الناس يشترون مثل هذه السموم».

«أنت محق. وقد تدمر هذا الجسد بشكل يستحيل معه إعادة إنمائه كما حدث بجسدك».

قال: «حتى لو استطعت أن تثقين بالتليلاكسو للقيام بذلك».

أومأت برأسها ونهضت. «سوف تعيدني بالثوبتر إلى المدينة الآن».

عندما صارا في السماء، متجهين شمالاً، قالت: «أنت تحلّق تماماً مثلما فعل دانكن آيداهو».

ألقي نظرة تأملية إليها. «قال لي الآخرون الشيء نفسه».

سألت: «فيمَ تفكر الآن؟»

«أشياء كثيرة».

«كف عن تفادي أسئلتني، عليك اللعنة!»

«أي أسئلة؟»

حدقت إليه.

هز كتفيه عند مرأى نظرتها.

فكرت: كم كانت تلك الإيماء تشبه دانكن آيداهو.

بنبرة اتهامية، قالت، صوتها أجش ومتقطع: «أردت منك فقط

أن تعبر عن ردود أفعالك لأقاربك بينها وبين أفكارني. موت تلك الشابة يزعجني».

«لم أكن أفكر في ذلك».

«فيمَ كنت تفكر؟»

«في المشاعر الغريبة التي تتابني عندما يتحدث الناس عن الشخص الذي ربما كنته».

«ربما كنته؟»

«التيللاكسو أذكيا جداً».

«ليس إلى هذه الدرجة. كنت دانكن آيداهو».

«من المرجح جداً. إنه الاحتمال الحسابي الأولي».

«إذن أنت عاطفي حيال هذا الأمر؟»

«إلى حد ما. متحمس. ومضطرب. هناك ميل إلى الارتعاش ولا بد لي من تكريس جهدي للسيطرة عليه. تراودني... ومضات من الصور».

«أي صور؟»

«إنها سريعة جداً للتعرف عليها. ومضات. دفقات... ذكريات تقريباً».

«ألست فضولياً بشأن مثل هذه الذكريات؟»

«بالطبع. يدفعني الفضول إلى الأمام، لكنني أتحرك ضد تردد شديد. أفكر: «ماذا لو لم أكن الشخص الذي يصدقون أنني أكون». لا تستهويني تلك الفكرة».

«وهذا كل ما كنت تفكر فيه؟»

«أنت تعرفين أفضل من ذلك يا عالية».

كيف يجروء على استخدام اسمي المُعطى؟ شعرت بالغضب يتصاعد بداخلها ويتغلغل تحت ذكرى الطريقة التي تحدث بها:

النفمات المبطنة، النابضة بهدوء، والثقة الذكورية العارضة. انتفضت عضلة على امتداد فكها. ضغطت على أسنانها. سأل وهو يميل بأحد أجنحة الثوبتر لمدة وجيزة؛ ما تسبب في اضطراب مفاجئ لسرب الطائرات المرافق لهما: «أليست تلك القُدس بالأسفل هناك؟»

نظرت إلى ظلالها المتموجة عبر النتوء الصخري فوق مضيق حِرق، عند الجرف والهرم الصخري الذي يحتوي على جمجمة والدها. القُدس- المكان المقدس. قالت: «ذلك هو المكان المقدس».

قال: «يجب أن أزور هذا المكان يوماً. القرب من رفات أبيك قد يجلب ذكريات أستطيع التقاطها».

أدركت فجأة مدى قوة حاجته إلى معرفة من كان. كانت إلزاماً قهرياً بداخله. عاودت النظر إلى الصخور، الجرف بقاعدته المنحدرة إلى شاطئٍ جافٍ وبحر من الرمال- صخرة قرفة ترفع الكثبان مثل سفينة تحتضن الأمواج.

قالت: «در إلى الورا».

«السرب المرافق...».

«سيتبعوننا. ملّ بالثوبتر من تحتهم».

أطاعها.

سألت عندما بات على المسار الجديد، والسرب المرافق وراءهما: «هل تخدم أخي حقاً؟»

قال بنبرة رسمية: «أخدم آل آتريديز».

ورأت يده اليمنى ترتفع ثم تسقط- تحية كلادان القديمة.

عبرت وجهه نظرة سارحة في الأفكار.

شاهدته يحدق إلى الهرم الصخري.

سألته: «ماذا يزعجك؟»

تحركت شفاته. خرج صوته عصبياً ومتشنجًا: «كان... كان...».

انحدرت دمعة على خده.

جمّد إعجاب فرمني عالية. أعطى الماء للموتى. لمست لا

إرادياً بإصبعها خده، وشعرت بالدمعة.

همست: «دانكن».

بدا مركزاً بكل حواسه على لوحة تحكم الثوبتر، نظرته مثبتة

إلى المقبرة بالأسفل.

رفعت صوتها: «دانكن!»

ابتلع ريقه، وهز رأسه. ونظر إليها، عيناه المعدنيتان تتوهجان.

همس: «أحسست.. بذراع.. فوق كتفيّ. شعرت بها! ذراع». تحرر

حلقة. «كان.. صديقاً. كان.. صديقاً».

«من؟»

«لا أعرف. لكنني أعتقد أنه كان... لا أعرف».

بدأ ضوء ورود مكاملة يومض أمام عالية، قائد السرب المرافق

يريد أن يعرف لماذا عادوا إلى الصحراء. التقطت الميكروفون،

وشرحت أنهما أبديا توقييرهما لقبر أبيها. ذكرها القائد أن

الساعة متأخرة.

قالت وهي تعيد الميكروفون إلى مكانه: «سنذهب إلى أراكين

الآن».

استنشق حياة نفساً عميقاً، وانعطف بالثوبتر إلى الشمال.

سألته: «كانت ذراع أبي التي شعرت بها، صحيح؟»

«ربما».

كان صوته صوت مننات يحسب الاحتمالات، ورأت أنه استعاد رباطة جأشه.

سألت: «هل تدري كيف أعرف أبي؟»

«لدي فكرة معينة».

قالت: «دعني أوضحها لك».

باختصار شرحت له كيف أوقظت على وعي أم موقرة قبل ولادتها، جنين مرعوبة بمعرفتها بحيوات لا حصر لها مفروسة في خلاياها العصبية - وكل هذا بعد وفاة أبيها.

قالت: «أعرف أبي كما عرفته أمي. أعرف كل تفصيل دقيق لكل تجربة شاركتها معه. بطريقة ما، أنا أمي. أمتلك كل ذكرياتها حتى اللحظة التي شربت فيها ماء الحياة ودخلت نشوة تناسخ الأرواح».

«شرح أخوك شيئاً من هذا».

«حقاً؟ لماذا؟»

«أنا سألته».

«لماذا؟»

«يتطلب المنتات بيانات».

«أوه». نظرت إلى الامتداد المستوي للجدار الحامي - الصخور المعبدة والحفر والشقوق.

تعقب تجاه نظرتها، وقال: «المكان في الأسفل هناك مكشوف جداً».

قالت: «لكنه مكان يسهل الاختباء فيه» نظرت إليه. «إنه يذكرني بالعقل البشري... بكل خباياه».

قال: «آه».

«آه؟ ماذا يعني ذلك- آه؟» غضبت منه فجأة، وسبب غضبها أقلت منها.

قال: «تودين أن تعرفي ما يخفيه عقلي». كان تصریحًا وليس سؤالاً.

سألته: «كيف تعرف أنني لم أكشف حقيقة ما تكون بقدراتي الاستبصارية؟»

«هل فعلتِ؟» بدا فضوليًا حقًا.

«لا!»

قال: «للعرفات حدود».

بدا مستمتعًا مما قلل من غضب عالية.

سألت: «مستمتعًا؟ ألا تمتلك أي احترام لقدراتي؟» بدا السؤال جدليًا ضعيفًا حتى بالنسبة إلى أذنيها.

قال: «إنني أحترم بشارتك ونُذرك ربما أكثر مما تعتقدين. كنت من بين الجمهور الذي حضر طقسك الصباحي في المعبد».

«وماذا يعني ذلك؟»

قال مع إبقاء انتباهه على لوحة تحكم الثوبتر: «لديك قدرة كبيرة في التعامل مع الرموز. هذا شيء بني جيسيرتي، كما يعنّ لي أقول. ولكن، كما هو الحال مع العديد من السحرة، أصبحت مُهملة لقدراتك».

شعرت بدفقة من الخوف، وصرخت: «كيف تجرؤ على ذلك؟»

قال: «أجرؤ على أكثر بكثير مما توقعه صانعيّ. بسبب هذه الحقيقة النادرة، سأبقى مع أخيك».

أجالت عالية النظر في الكرتين الفولاذيتين اللتين كانتا عينيّه: لا يوجد تعبير بشري هناك. أخضت قلنسوة بذلة التقطير خط فكه. مع ذلك، بقي فمه صارماً. قوة كبيرة فيه... وتصميم. كانت كلماته مطمئنة.

«.. أجرؤ على أكثر من ذلك بكثير...» كان هذا شيئاً ربما ليقوله دانكن آيداهو. هل صمم التلليلاكو غولتهم بشكل أفضل مما عرفوا - أم أن هذا كان مجرد زيف، جزءاً من تهيئته؟

أمرت: «اشرح نفسك يا غولة».

سأل: «اعرف نفسك، أهذا أمرك؟»

مرة أخرى، شعرت بأنه كان مستمتعاً بذلك. قالت: «لا تتلاعب معي بالكلمات، أنت... أيها الشيء!» وضعت يدها على السكين العاجية في غمد رقبتها. «لماذا أعطوك إلى أخي؟»

قال: «أخبرني أخوك بأنك شاهدت مراسم تقديم وفد النقابة. سمعتني إذاً أجيبه عن هذا السؤال».

«أجب عنه مرة أخرى.. من أجلي!»

«أنا أنوي تدميره».

«هل هذا المنتات يتحدث؟»

قال مويخاً: «أنت تعرفين إجابة ذلك دون سؤال. وأنت تعلمين، أيضاً، أن مثل هذه الهدية لم تكن ضرورية. كان أخوك بالفعل يدمر نفسه بما فيه الكفاية».

وازنت هذه الكلمات مبقية يدها على مقبض سكينها. إجابة مراوغة ولكن كان هناك صدقٌ في صوته.

استفسرت: «إذن، لماذا هذه الهدية؟»

«ربما استحوذت على اهتمام التيللاكسو. وصحيح أن النقابة طلبتني كهدية».

«لماذا؟»

«الإجابة نفسها».

«كيف أنا مهملة لقدراتي؟»

رد عليها: «كيف توظفينها؟»

مزقَّ سؤاله طريقه حتى وصل إلى شكوكها. أبعثت يدها عن السكين. سألته: «لماذا تقول إن أخي كان يدمر نفسه؟»

«أوه، هيا الآن، أيتها الطفلة! أين هذه القدرات التي تتفاخرين بها؟ أليس لديك القدرة على التفسير؟»

قالت وهي تتحكم في غضبها: «فسرّها لي يا منّات».

«ممتاز». ألقى نظرة خاطفة إلى السرب المرافق، وأعاد انتباهه إلى مسارهم. بدأ سهل أراكين بالظهور خلف الحافة الشمالية للجدار الحامي. ظل شكل قرى الوهاد والأخايد غير واضح تحت غطاء من الغبار، ولكن كان بالإمكان تمييز بريق أراكين البعيد.

قال: «الأعراض. أخوك يحتفظ بمدّاح رسمي، الذي كان..»

«كان هدية من النواب الفرمن!»

قال: «هدية غريبة من أصدقاء. لماذا يحيطونه بالإطراء والخضوع؟ هل استمعت حقًا إلى هذا المدّاح؟ «يهدي الناس المؤدّب. وصي الأمة، إمبراطورنا، الذي خرج من الظلمة ليشرق ببهاء على كل البشر. إنه مولانا. إنه ماء نفيس من نافورة لا تتضب. إنه يسكب فرحة ليرتوي الكون كله».. باه!»

قالت عالية متحدثة بنعومة: «لو كررتُ كلماتك على مسامع مرافقينا الفِرمَن، فسيمزقونك إربًا ويرمونك طعامًا للطيور». «أخبريهم إذا».

«أخي يحكم بالقانون الطبيعي للسماء».

«أنت لا تؤمنين بذلك، فلماذا تقولينه؟»

«كيف تعرف ما أومن به؟» داهمتها قشعريرة لا يمكن لأي من قدرات البني جيسيرت التحكم فيها. كان لهذا الغولة تأثير فيها لم تتوقعه.

ذكَرها قائلاً: «أنتِ أمرتني أن أفسر بوصفي مِنتاتًا».

«لا منتات يعرف ما أومن به!» أخذت نفسين عميقين مهزوزين.

«كيف تجرؤ على الحكم علينا؟»

«الحكم عليكما؟ أنا لا أحكم».

«لا تملك أي فكرة عن الطريقة التي تعلّمنا بها!»

«تعليم كل منكما من أجل تولي الحكم. تلقيتما تهيئة عقلية تدفعكما إلى التعطش الشديد للسلطة. تشبعتما بوعي حكيم بالسياسة، وفهم عميق لاستخدامات الحرب والطقوس الدينية. القانون الطبيعي؟ أي قانون طبيعي؟ إن الخرافة تطارد تاريخ البشرية. تطاردها إنها شبح. وهمي، وغير حقيقي. هل جهادكما قانون طبيعي؟»

قالت بسخرية: «منتات ثرثار».

قال: «أنا خادم آل آترديدز وأتحدث بصراحة».

«خادم؟ ليس لدينا خدم. مريدون فقط».

قال «وأنا مريد للوعي. افهمي ذلك، أيتها الطفلة، وأنت-»

قالت منفعلة: «لا تدعوني طفلة!» أخرجت نصف السكين العاجية من غمدها.

«ربما أكون مخطئاً». نظر إليها وابتسم وأعاد انتباهه إلى قيادة الثوبتر.

يمكن الآن رؤية هيكل حصن آترديز الملاصق للجرف، الذي يحتل غالبية الضواحي الشمالية لمدينة أراكين.

قال: «أنتِ شيء عتيق الجسد، شيء أكثر بقليل من طفلة. وذاك الجسد منزعج من أنوثته الجديدة».

زمجرت: «لا أعرف لماذا أستمع إليك»، لكنها تركت السكين العاجية تسقط في غمدها، ومسحت كفها في رداؤها، أزعج كفها المبلل بالعرق حسَّ التقشف الفِرمي بداخلها. يا له من هدرٍ لِرطوبة الجسد!

«تستمعين إليّ لأنك تعلمين أنني مخلص لأخيك. أفعالي واضحة وسهلة الفهم».

«لا شيء بخصوصك واضح وسهل الفهم. أنت أعقد مخلوق رأيتَه. أتى لي أن أعرف ما بناه التليلاكسو بداخلك؟»

«خطأ أم عمداً، وهبوني الحرية لتشكيل نفسي».

اتهمته: «تراجعت إلى أمثال الزنسنيين. الرجل الحكيم يشكّل نفسه- والأحمق يعيش فقط حتى يموت». كان صوتها مُثقالاً بتقليدها له. «مريدٌ للوعي!»

«لا يمكن للبشر الفصل بين الوسائل والتتوير».

«تتحدث بالألغاز!»

«أتحدث إلى الذهن المنفتح».

«سوف أكرر كل هذا إلى پول».

«سمع معظمه بالفعل».

استولى عليها الفضول. «كيف لا تزال على قيد الحياة.. وحرًا؟
ماذا قال؟»

ضحك، وقال: «الشعب لا يريد كاتب حسابات إمبراطورًا.
يريدون سيدًا، شخصًا سيحميهم من التغيير»، لكنه وافق على أن
دمار إمبراطوريته ينبع من ذاته».

«لماذا سيقول مثل هذا الشيء؟»

«لأنني أقنعتة أنني أفهم مشكلته وسأساعده».

«ما الذي يمكن أن تكون قد قلته لإقناعه بذلك؟»

ظل صامتًا، وهو ينحرف بالثوبتر مع اتجاه الرياح من أجل
الهبوط فوق مجمع الحراسة على سطح الحصن.

«أمرك بإخباري بما قلت له!»

«لست واثقًا بأنك ستتحملينه».

«ليكن الحكم لي في ذلك! أمرك أن تتكلم فورًا».

«اسمحي لي بالهبوط أولاً». ثم دون انتظار إذنها، خفّض
سرعة الثوبتر، ورفع الأجنحة إلى أمثل درجة، واستقر
بلطف فوق المنصة البرتقالية اللامعة فوق السطح.
قالت عالية: «تكلم الآن».

«أخبرته أن تحمّل المرء نفسه لربما أصعب مهمة في الكون».

هزت رأسها: «ذلك.. ذلك».

قال وهو يشاهد الحرس يهرولون باتجاههم عبر السطح
ليأخذوا مواقعهم: «دواء مرّ عليه ابتلاعه».

«أعظم إيرل ملكي وأحط قن⁽¹⁾ مرتبة يتشاركان المشكلة نفسها. لا يمكنك تعيين منات أو أي عقل آخر ليحل المشكلة من أجلك. لا يوجد أمر استجواب أو استدعاء شهود لتقديم الإجابات. لا خادم- ولا مريد- يستطيع تضميد الجرح. تضمدينه بنفسك أو سيواصل النزيف حتى يراه الجميع».

استدارت بعيداً عنه، مدركة في لحظة فعلها ذلك، ما يكشفه هذا من مشاعرها الحقيقية، دون حيلة الصوت، أو خداع الساحرة، تغفل ثانية إلى دخيلة نفسها. كيف فعل ذلك؟

همست: «ماذا أخبرته أن يفعل؟»

«أخبرته أن يحكم، أن يفرض النظام».

حدقت عالية إلى الحرس، ملاحظة كيف كانوا ينتظرون بتؤدة- يا له من نظام!

تمتمت: «من أجل إرساء العدل».

قال محتدًا: «ليس ذلك! اقترحت أن يحكم، لا أكثر، مسترشدًا بمبدأ واحد، ربما..».

«وذلك المبدأ هو..».

«أن يُبقي أصدقاءه، ويدمر أعداءه».

«أن يحكم بغير العدل إذا».

«ما العدالة؟ قوتان متصادمتان. ربما تمتلك كل منهما الحق في مدارها. وهنا حيث يأمر الإمبراطور بحلول منظمة. التصادمات التي لا يستطيع منعها- يحلها».

(1) Serf (قن أو عبد): فلاح مقيد بالنظام الإقطاعي، مرتبط بالعمل في الأراضي المملوكة لسيده. (المترجم)

«كيف؟»

«بأبسط طريقة: يقرر.»

«بالإبقاء على أصدقائه وتدمير أعدائه؟»

«أليس ذلك استقراراً؟ يريد الشعب النظام، هذا النوع أو ذاك. يجلسون في سجون جوعهم، ويشاهدون الحرب وقد أضحت رياضة للأغنياء. ذلك شكل خطير من السفسطة. إنه غير منظم.»
قالت وهي تستدير لمواجهته: «سأقترح على أخي أنك خطر جداً، ويجب تدميرك.»

قال: «حل اقترحت عليه بالفعل.»

قالت وازنة كلماتها: «ولذلك أنت خطر. أنت تتحكم تماماً في عواطفك.»

«ذلك ليس سبب خطورتى.» قبل أن تستطيع التحرك، مال إلى الأمام، وأمسك بذقنها بإحدى يديه، وطبع شفثيه على شفثيها.
كانت قبلة رقيقة، مقتضبة. ابتعد عنها. حدقت إليه بصدمة زادت شذرات من الابتسامات المتشنجة على وجوه حراسها الذين يقفون بانتباه منظم في الخارج.

وضعت عالية إصبعها على شفثيها. راودها شعور بالألفة بشأن تلك القبلة. كانت شفثاه لحمًا من مستقبل رأته في مسار استبصاري. قالت لاهثة: «كان عليّ أن أمر بسلكك.»

«لأنني خطر؟»

«لأنك تفترض الكثير!»

«لا أفترض شيئاً. لا آخذ أي شيء لم يعرض عليّ أولاً. كوني سعيدة لأنني لم آخذ كل ما عُرض عليّ.» فتح باب الثوبتر وانزلق

إلى الخارج. «هيا. أضعنا وقتًا طويلاً في مهمة حمقاء». مشى نحو قبة المدخل خلف المنصة.

قفزت عالية إلى الخارج، وركضت لتجاري خطوته. قالت: «سأخبره بكل ما قلته وكل ما فعلته».

«جيد». أمسك الباب لها.

قالت وهي تنزلق إلى داخل القبة: «سيأمر بإعدامك».

«لماذا؟ لأنني أخذت القبلة التي أردتها؟» تبعها، حركته تدفع ظهرها. انزلق الباب لينفلق ورائه.

ملأها السخط. «القبلة التي أردتها!»

«حسنًا يا عالية. القبلة التي أردتها أنتِ، إذًا». بدأ بالدوران حولها متجهًا إلى ساحة الهبوط.

كما لو أن حركته دفعتها إلى وعي متضخم، أدركت صراحته- صدقه التام. أخبرت نفسها: القبلة التي أردتها. صحيح.

قالت وهي تتبعه: «صدقك، هنا يكمن الخطر».

«عدت أخيرًا إلى طرائق الحكمة. لم يكن لمنتجات أن يصيغ المسألة بطريقة أكثر مباشرة. الآن: ما الذي شاهدته في الصحراء؟»

أمسكت بذراعه، لتجبره على التوقف. لقد فعلها مجددًا: صدم عقلها وأجبره على الدخول في حالة من الوعي الحاد.

قالت: «لا يمكنني تفسير الأمر لكنني أواصل التفكير في راقصي الوجوه. لماذا ذلك؟»

قال مومئًا برأسه: «لذلك أرسلك أخوك إلى الصحراء؟ أخبريه عن هذه الفكرة المُلحّة؟»

هزت رأسها: «لكن لماذا؟ لماذا راقصو الوجوه؟»
قال: «هناك امرأة شابة ميتة في الخارج هناك. مع ذلك ربما
لم يُبلغ عن اختفاء امرأة شابة بين الفرمن».

أعتقد أنها لسعادة غامرة أن أكون على قيد الحياة. وأنني لأتساءل إن كنت سأنجح في القفز إلى داخلي، إلى أصل هذا الجسد، وأعرف ذاتي كما كنتُ من قبل. الأصل هناك. سواء أستطاع أي فعل من أفعالي العثور عليه أم لا، يبقى ذلك متشابكاً في المستقبل. لكن كل الأشياء التي يستطيع إنسان فعلها أستطيع فعلها. وأي من أفعالي ربما يحقق هذا.

«الغولة يتحدث»

من «تعليق عالية»

في حين رقد غارقاً في رائحة الاسپايس النفاذة، محدقاً إلى دخيلة نفسه عبر النشوة النبوية، شاهد پول القمر، كرة مستطالة. تدحرج وتلوى، مهسهاً. هسهسة رهيبة لنجم ينطفئ داخل بحر لا نهائي- إلى أسفل.. أسفل.. أسفل.. ككرة ألقاها طفل. تلاشى.

استولى عليه الإدراك. هذا القمر لم يفرب بل تلاشى. لم يعد هناك قمر. تزلزلت الأرض كحيوان ينسلخ عن جلده. اكتسحه الرعب.

ارتد پول منتصباً من فوق محفته، عيناه جاحظتان، محدقتان. جزء منه نظر إلى الخارج، والجزء الآخر داخله. في الخارج شاهد مشربية من البلازميلد تُهوي حجرته الخاصة، وعرف

أنه يستلقي بجوار هوةٍ أشبه بالحجارة داخل حصنه. في داخله،
واصل مشاهدة القمر يسقط.

إلى الخارج! إلى الخارج!

مشربية البلازميلد تطل على الضوء المتوهج للظهيرة المنتشرة
عبر أراكين. في الداخل- قبع أحلك ليل. رذاذ من روائح عذبة
قادمة من حديقة أحد الأسطح داعب حواسه، لكن لا يستطيع أي
عطر زهري إعادة ذلك القمر الساقط.

أرجح پول قدميه فوق السطح البارد للأرضية، وحدق عبر
المشربية. استطاع أن ينظر مباشرة من خلالها إلى القوس الرقيق
لجسر مشاة مبني من البلاتينيوم والذهب المقوى بالكريستال.
جواهر نارية من كوكب سيدون البعيد تزين الجسر. يقود الجسر
إلى دهاليز المدينة الداخلية عبر بركة ونافورة تمتلئ بأزهار
مائية. عرف پول أنه لو وقف، فيستطيع أن يشاهد البتلات،
نظيفة وحمراء، كدماء طازجة تتموج، تدور هناك- أقراص من
لون متوهج ملقاة فوق فيضان زمردى.

امتصت عيناه المشهد دون أن تُخرجه من سيطرة استعباد
الاسپايس.

الرؤية الرهيبة لقمر ضائع.

اقترحت الرؤية خسارة فادحة لأمن فردي. ربما شاهد
حضارته تتداعى، وقد أطاحت بها ادعاءاته الخاصة.
قمر.. قمر.. قمر ساقط.

تطلب الأمر تعاطي جرعة هائلة من خلاصة التوابل لاختراق
الغشاوة التي أطلقها تاروت كثيب. كل ما أظهرته له قمرًا ساقطًا

والطريق البغيضة التي عرفها منذ البداية. لكي يشتري نهاية
للجهاد، لكي يُسكِّت بركان المجزرة، عليه أن يشوه سمعته.
انفصل.. انفصل.. انفصل..

ذَكَرَ العطر الزهري القادم من سطح الحديقة بتشاني. اشتاق
إلى ذراعيها الآن، إلى ذراعي الحب والنسيان المتشبهين. لكن
حتى تشاني لن تستطع طرد هذه الرؤية. ماذا كانت تشاني لتقول
لو ذهب إليها معلناً أنه يفكر في موت معين؟ مع علمه أنه أمر
لا مفر منه، لماذا لا يختار ميتة أرستقراطي، ويُنتهي الحياة على
ازدهار خفي، مُبَدِّداً أي سنوات لربما كانت؟ الموت قبل الوصول
إلى منتهى قوة الإرادة، ألم يكن هذا اختيار أرستقراطي؟
وقف، واجتاز فتحة المشربية المصقولة، وخرج إلى الشرفة
المطلَّة على الزهور والكرومات المتدلّية من الحديقة. حمل فمه
جفاف مسيرة صحراوية.

القمر... القمر - أين ذاك القمر؟

فكر في وصف عالية لجثة الشابة التي عُثِرَ عليها في الكثبان
الرمليّة. فرمّية مدمنة سموتت كل شيء يناسب النمط البغيض.
فكر: لا تأخذ شيئاً من هذا الكون. يهبك فقط ما يشاء.
كانت بقايا صدفة محارة من بحار الأرض الأم على طاولة
منخفضة بجانب درابزين الشرفة. أخذ نعومتها اللامعة بين يديه،
وحاول أن يعود بالزمن إلى الوراء. يعكس سطح اللؤلؤة أقماراً
متألّئة من الضوء.

أبعد بصره عنها، وحدق إلى الأعلى عبر الحديقة إلى سماء
باتت أجيّجاً هائلاً - آثار غبار قوس قزح يتلألأ في الشمس الفضية.

فكر: أتباعي الفِرمن يسمون أنفسهم «أبناء القمر».

أنزل المحارة، ومشى بطول الشرفة. هل حمل ذلك القمر المرعب أملاً في الهروب؟ فَنَشَّ عن معنى في منطقة المشاركة الصوفية. ساوره شعور بالضعف والاهتزاز، لا يزال الاسپايس يسيطر عليه.

في الطرف الشمالي من هَوْتِه البلازميدية، رأى المباني السفلية لمجمع الحكومة. تدفقت حركة المشاة فوق أرصفة السطح. شعر بأن الناس تحركوا هناك مثل إفريز مزخرف على خلفية من الأبواب والجدران وتصميمات البلاط. كان الناس بلاطات! عندما رمش، كان بإمكانه تجميدهم في ذهنه. إفريز. القمر يسقط، وتلاشى.

غمره شعور بأن المدينة في الخارج هناك قد تُرجمت إلى رمزٍ عجيب لعالمه. المباني التي استطاع رؤيتها كانت منتصبه فوق السهل حيث أباد الفِرمن فيالق السَّارديوكار. أرض وطأتها المعارك ذات مرة، تدوي الآن بالضجيج المتسارع للتجارة.

في حين ظل ملاصقاً لإطار الشرفة الخارجي، سار پول حول الزاوية. الآن كان المشهد أمامه عبارة عن ضاحية فقدت فيها هياكل المدينة نفسها في الصخور ورمال الصحراء العاصفة. احتل معبد عالية واجهة المشهد. المعلقات الخضراء والسوداء على امتداد جوانبها التي يصل طولها إلى ألفي متر، تعرض رمز قمر المؤدّب.

قمر ساقط.

مرر پول يده فوق جبهته وعينيه. الرمز- المدينة أثقله. ازدري أفكاره. هذا التذبذب في شخص آخر كان ليستفزه.

ومض غضب متجذر في الضجر، وغلى في أعماقه، وتغذى على قرارات لا يمكن تفاديها. عرف أي مسار يجب أن تسلكه قدماء. رآه مرات كافية، أليس كذلك؟ رآه ذات مرة.. منذ زمن طويل. فكر في نفسه على أنه مبتكر الحكومة. لكن الابتكار انحدر إلى أنماط قديمة. كان أشبه باختراع بشع بذاكرة هشة. شكَّله بأي طريقة تريد، لكن استرخ لحظة، وسينسحب إلى أشكاله القديمة. قوى تعتمل خارج متاوله، في صدور البشر، استعصت عليه وأعجزته. مكتبة.. سُرَّ مَنْ قرأ

حدق پول إلى الخارج عبر الأسطح. أي كنوز من الحياة غير المكبلة بالقيود تكمن تحت تلك الأسطح؟ لمح أماكن خضراء مورقة، ومزارع مفتوحة وسط أسطح مخضبة بالذهبي والأحمر الطباشيري. خُضرة، هبة المؤدّب وماؤه. بساتين ورياض امتدت على مرمى بصره- مزارع مفتوحة تنافس تلك الموجودة في لبنان الخرافية.

قال الفرمن: «المؤدّب ينفق الماء كمجنون».

وضع پول يديه فوق عينيه.

القمر هوى.

أبعد يديه عن عينيه، وحدق إلى مدينته برؤية باتت واضحة. اكتسبت المباني هالة من بريرية إمبراطورية متوحشة. وقفت ضخمة ومتوهجة أسفل الشمس الشمالية. عمالقة! كل تبذير في العمارة يمكن لتاريخ مخبول أن ينتجه، يمتد في مرمى بصره.

شرفات بأبعاد شاهقة، وميادين بشسوع بعض المدن، وحدائق،
وعقارات، وأجزاء من الحياة البرية المزروعة.
تتاخم البراعة الفنية الرائعة، أعاجيب يتعذر تفسيرها،
منعدمة الذوق بشكل كئيب. لكن أبهرته التفاصيل: بوابة خلفية
كانها خارجة من بغداد العتيقة... قبة حُلِم بها في دمشق
الأسطورية... قوس من كوكب «آثار» ذي الجاذبية المنخفضة...
ارتفاعات منسجمة وأعماق غريبة. كل ذلك خلق تأثيراً من روعة
منقطعة النظير.

قمر! قمر! قمر!

نازعه الإحباط. شعر بضغط اللا-وعي الجمعي، ذلك
الاكتساح المتنامي للبشرية عبر عالمه. اندفع فوقه بقوة مثل
فورة مدية⁽¹⁾ عملاقة. استشعر الهجرات الشاسعة الجارية في
الشؤون البشرية: دوامات وتيارات، وتدفقات جينية. لا سدود من
التقشف أو نوبات من العجز أو لعنات يمكن أن تُوقِفها.

ما كان جهاد المؤدّب سوى طرفة عين في هذه الحركة
الأضخم. أخوية البني جيسيرت تسبح في هذا المد، ذلك الكيان
المؤسسي الذي يتاجر في الجينات، كان عالقاً في هذا السيل
العرم مثله تماماً. روى قمر ساقط لا بد أن تُقاس بالمقارنة

(1) الفورة المدية أو المد العظيم: تحدث بسبب التوتر بين قوة دفع النهر وأمواج المحيط، وهي عبارة عن موجة مدية قوية تتدفق سريعاً من البحر إلى مصب النهر عدة مرات في السنة، ويحدث في أوج عنفوانها أن تدخل مسافات بعيدة في المضائق ومصاب الأنهار محدثة دوياً وصخباً (المترجم).

بأساطير أخرى، رؤى أخرى في عالم حيث حتى النجوم التي
تترأى أبدية تخبو، تومض، وتموت...

ما أهمية نجم واحد في مثل هذا العالم الشاسع؟
بعيداً في مكان عميق داخل جنبات قلعة حصنه، حيث الصوت
يضيع أحياناً في تدفق ضوضاء المدينة، دندنت ربابة ذات عشرة
أوتار بأغنية عن الجهاد، مرثية لامرأة تركها حبيبها وراءه في
أراكس.

وركاهها كثبان نحتها الرياح،
وعيناها تومضان كحرارة صيف.
وضفירתان من شعر تتدليان فوق ظهرها -
كم كان غنياً بحلقات الماء، شعرها!
يदाي تتذكران بشرتها
عطرة كالعنبر، لها عبق الزهور.
وجفون ترتعش بالذكريات...
أصابتي شعلة الحب البيضاء!

أعيته الأغنية. لحن من أجل مخلوقات غبية ضائعة في
عاطفة جياشة، ويغني أيضاً إلى الجثة المشبعة بالكثبان التي
رأتها عالية.

تحرك خيال في ظلال مشربية الشرفة. استدار پول.
خطا الغولة داخل إطار ألق الشمس الكامل. عيناه المعدنيتان
تتألآن.

سأل پول: «أهذا دانكن آيداهو أم الرجل المدعو حياة؟»
توقف الغولة على مبعدة خطوتين منه.

«أيهما تفضل يا مولاي؟»

حمل الصوت رنة حذر ناعمة.

قال پول بمرارة: «العَبْ شخصية الزِنْسُنِّيُون». معان داخل
معان! ماذا يمكن لفيلسوف زِنْسُنِّيُون أن يقول أو يفعل لتغيير
مثقال ذرة من الواقع الذي يتكشف أمامه في هذه اللحظة؟
«مولاي مضطرب».

استدار پول بعيداً، وحدث إلى المنحدر البعيد للجدار الحامي،
ورأى أقواساً ودعامات نحتها الرياح، تقليداً رهيباً لمدينته.
الطبيعة تسخر منه! شاهد ماذا يمكنني أن أبني! لاحظ وجود
تشقق في النجد البعيد، مكان انسكبت فيه الرمال من الصدع،
وفكر: هناك! هناك تماماً، قاتلنا الساردوكارا!

سأل الغولة: «ما الذي يزعج مولاي؟»

همس پول: «رؤية».

«آهة، عندما أيقظني التليلاكسو لأول مرة، راودتني رؤى. كنت
قلقاً، ووحيداً... لم أكن أعرف حقاً أنني وحيد. ليس حينذاك.
لم تكشف رؤياي شيئاً! أخبرني التليلاكسو أنه كان تدخلاً من
الجسد يعانیه جميع الرجال والغولات، سقم لا أكثر».

استدار پول، ودرس عيني الغولة، تلك الكرات المشقوقة،
الفولاذية، الخالية من أي تعبير. ما هي الرؤيا التي رأتها تلك
العينان؟

همس پول: «دانكن.. دانكن..»

«أدعى حياة».

قال پول: «رأيت قمرًا يسقط. تلاشى. تدمر. سمعت هسيسًا هائلًا. ارتجّت الأرض».

«أنت ثمل بالكثير من الأزمنة».

«أطلب الزنسنيون، وأحصل على المنتات! ممتاز! أخضع رؤيتي لمنطقك أيها المنتات. حللها واختصرها إلى مجرد كلمات مجهزة للدفن».

قال الغولة: «للدفن حقًا. أنت تفر من الموت. ثم تعتصر نفسك في اللحظة التالية، وترفض العيش هنا والآن. رجم بالغيب! يا لها من عكازة في مكان إمبراطور؟»

وجد پول نفسه مفتونًا بشامة على ذقن الغولة يتذكرها جيدًا.

قال الغولة: «حين تحاول العيش في هذا المستقبل، هل تعطيه جوهرًا؟ هل تجعله حقيقيًا؟»

تمتم پول: «لو سلكت طريق رؤيتي-مستقبلي، سأكون على قيد الحياة حينذاك. ما الذي يجعلك تعتقد أنني أريد العيش هناك؟» هز الغولة كتفيه. «طلبت مني إجابة جوهرية».

قال پول: «أين الجوهر في عالم يتألف من الأحداث؟ هل توجد إجابة نهائية؟ ألا ينتج كل موقف أسئلة جديدة؟»

قال الغولة: «لقد استوعبت الكثير من الزمن، حتى صارت لديك أوهامٌ بالخلود. حتى إمبراطوريتك، يا مولاي، يجب أن تعيش وقتها ثم تموت».

زأر پول: «لا تستعرض المذابح المسودة بالدخان أمامي. سمعت ما يكفي من الروايات التاريخية الحزينة للآلهة والمُسح⁽¹⁾. لماذا

(1) جمع مسيح. (المترجم).

أحتاج إلى قدرات خاصة للتنبؤ بأنقاضي مثل كل أولئك الآخرين؟
يمكن لأدنى خادم في مطابخي أن يفعل ذلك». هز رأسه: «القمر
هو!»

قال الغولة: «لم تسمح لعقلك بأن يستريح في بدايته».

سأل پول: «أهكذا تدمرني؟ بأن تمنعني من جمع أفكاري؟»

سأل الغولة: «أبوسعك جمع الفوضى؟ نحن، الزنسنيون، نقول:
«عدم جمع أي شيء، ذلك هو الحصاد المطلق». ماذا يمكنك أن
تحصد دون أن تجمع شتات نفسك؟»

قال پول محتدًا: «تعذبني رؤية وأنت تتلفظ ترهات! ماذا تعرف
عن القدرة الاستبصارية؟»

قال الغولة: «رأيت نبوءة في أثناء عملها. رأيت أولئك الذين
ينشدون الأمارات والبشارات من أجل مصيرهم الشخصي. هم
يخشون من ما ينشدون».

همس پول: «نجمي الساقط حقيقي». استنشق نفسًا مرتعشًا.
«يتحرك.. يتحرك».

قال الغولة: «يخشى الرجال الأشياء التي تتحرك من تلقاء
نفسها. تهاب قدراتك. تسقط الأشياء داخل رأسك من العدم.
عندما تغادر رأسك، أين تذهب؟»
جأر پول: «تطمئنني بالأشواك».

وهج داخلي غمر وجه الغولة. وأصبح للحظة دانكن أيدهو
كليًا.

«أمنحك ما بوسعي من الطمأنينة».

تعجب پول من تلك الدفقة اللحظية. هل شعر الغولة بحزن نبذه عقله؟ هل قمع حياة رؤية أخرى تتعلق به؟
همس پول: «لقمري اسم».

ترك الرؤية تغمره لحظتها. رغم أن كيانه ينكمش، لم يفلت منه صوت. كان يخشى أن يتحدث، فزَعًا من أن صوته قد يخونه. كان هواء هذا المستقبل المخيف ثقيلًا بغياب تشاني. جسد بكى في نشوة، وأعين أحرقته برغبتها، وصوت سحره لأنه لا يحمل في طياته خدع تحكم خفية- كل ذلك رحل، عائداً إلى الماء والرمل.

ببطء، استدار پول بعيداً، ونظر خارجه إلى الحاضر، وإلى الساحة أمام معبد عالية. ثلاث حجيج برؤوس حليقة دخلوا الساحة عبر جادة الموكب. ارتدوا أردية صفراء قاتمة، وهرولوا رؤوسهم محنية في مقابل رياح الظهيرة. مشى أحدهم بعرج، ساحباً قدمه اليسرى وراءه. شقوا طريقهم ضد الرياح، وداروا في منعطف ليختفوا من مجال رؤيته.

اختفوا كما سيختفي قمره. لا تزال رؤيته ممتدة أمامه. غايتها الرهيبة لم تمنحه أي خيار.

فكّر: الجسد يستسلم. الأبدية تسترد ما هو ملكها. حركت أجسادنا تلك المياه لمدة مقتضبة، رقصت بنشوة معينة أمام عشق الحياة والذات، وتعاملت مع بضعة أفكار غريبة، ثم خضعت في النهاية إلى أدوات الزمن. ماذا يمكننا أن نقول عن هذا؟
وُجدت. أنا لست.. بعد، وُجدت.

لا تتوسل إلى الشمس من أجل الرحمة

«رحلة المؤدّب»

من «تعقيب ستيلجار»

ذُكرت الأم الموقرة جايس هيلين موهيم نفسها بأن لحظة واحدة من عدم الكفاءة يمكن أن تكون قاتلة.

كانت تسير مترنحة، متظاهرة بعدم المبالاة، داخل حلقة من الحراس الفرمن. عرفت أن أحد أولئك الذين يقفون وراءها كان أصمّ-أبكم، محصناً ضد أيّ من حيل الصوت. لا شك في أنه مأمور بقتلها عند أدنى استفزاز.

تعجبت: لماذا استدعاها پول؟ هل كان على وشك إصدار حكم عليها؟ تذكرت اليوم الذي اختبرته فيه منذ مدة طويلة... الطفل الكويزاتس هاديراك. صمد طويلاً.

اللعنة على والدته إلى الأبد! كان خطؤها أن البني جيسيرت قد فقدت سيطرتها على هذه السلالة الجينية.

ساد الصمت على طول الممرات المقبّبة الممتدة أمام الحاشية المرافقة لها. شعرت بالكلمة تنتقل. سيسمع پول الصمت. وسيعلم بمجيئها قبل الإعلان عنه. لم تخدع نفسها بأفكار أن قدراتها تفوق قدراته.

اللعنة عليه!

استاءت من الأعباء التي فرضها عليها العمر: آلام المفاصل، والاستجابات ما عادت بالسرعة التي كانت عليها من قبل،

والعضلات ليست مرنة مثل حبال السوط كما كانت في شبابها. يوم طويل خلفها وحياة مديدة. أمضت هذا اليوم مع تاروت كثيب في بحث عقيم عن بعض الأدلة التي تشير إلى مصيرها. لكن الأوراق كانت بليدة.

اقتادها الحراس حول ركن إلى ممر آخر من تلك الممرات المقببة التي لا نهاية بادية لها. منحتها النوافذ المصنوعة من الزجاج المتحول إلى يسارها إطلالة على الكرومات المتداخلة والزهور النيلية في ظلال عميقة ألقته شمس الظهيرة. امتد البلاط تحت الأقدام - منقوشًا بمخلوقات مائية من كواكب غريبة. المياه تذكر دائم في كل مكان. بالفنى... بالثروات. مرّت شخصيات ملتفة بالأردية عبر قاعة أخرى أمامها، وقد راحوا يلقون نظرات خفية إلى الأم الموقرة. كان تعرفهم على هويتها جليًا في سلوكهم. وبدا عليهم التوتر أيضًا.

أبقت انتباهها على خط الشعر الحاد للحارس الذي أمامها مباشرة: جسد صغير، وثنيات وردية في ياقة الزي الرسمي. بدأت ضخامة هذه القلعة المحصنة تبهرها. ممرات... وممرات... اجتازوا مدخل غرفة مفتوحًا، انبعث منه صوت طنبورة وناي يعزفان موسيقى عتيقة عذبة، وتبعتها نظرات أعين فرمنية تامة الزرقة تحديق من داخل الغرفة. شعرت في تلك الأعين اختمار الثورات الأسطورية التي تتحرك في جينات الفرمن البرية.

عرفت أن هناك يقبع مقياس عبئها الشخصي. لم يستطع البني جيسيرت الهروب من الوعي بالجينات وإمكاناتها. هزّها

إحساس بالخسارة داهمها: ذلك الأتريديزي الأحمق العنيد كيف يرفض منح جواهر الأجيال القادمة في خاصرتيه؟ الكويزاتس هاديراك! وُلد من هذا الزمن، صحيح، لكنه حقيقي - حقيقي مثل أخته الشُّنعة.. وهناك يكمن مجهول خطر. أم موقرة متوحشة وُلدت دون مثبطات البني جيسيرت، ودون ولاء للتطور المنظم للجنينات. شاركت أباها قدراته بلا شك - وأكثر من ذلك.

بدأ حجم القلعة يضغط عليها. ألن تنتهي الممرات أبداً؟ كان المكان زاخراً بقوة مادية مرعبة. لا يوجد كوكب ولا حضارة في كل تاريخ البشرية قد شهدت من قبل مثل هذا الضخامة من صنُع إنسان.

يمكن إخفاء عشرات المدن القديمة داخل أسوارها!

عبروا أبواب بيضاوية بأضواء وامضة. تعرفت عليها كأعمال من صنع الإيكسيين. فتحات نقل هوائية مختصرة. لماذا فرضوا عليها سير كل هذه المسافة إذن؟ بدأت الإجابة تتشكل في عقلها: إنها كلها استعداداً لهذا اللقاء مع الإمبراطور.

دليل صغير، لكنه انضم إلى مؤشرات ضمنية أخرى - القمع النسبي واختيار مراقبيها للكلمات، وآثار الخجل البدائي في أعينهم عندما نادوها بالأُم الموقرة، والطبيعة الباردة والجامدة، عديمة الرائحة تقريباً لهذه القاعات - كلها مجتمعة لكشف الكثير الذي يمكن أن تفسره بني جيسيرتية.

أراد بول شيئاً منها!

أخضت شعوراً بالغبطة. تمتلك ورقة ضغط يمكنها التفاوض بها. بقي فقط معرفة طبيعة تلك الورقة واختبار قوتها. بعض

أوراق الضغط حرّكت أشياء أضخم من هذه القلعة. ومن المعروف أن لمسة إصبع قد أطاحت بحضارات.

ذُكرت الأم الموقرة نفسها بعد ذلك بتقييم سايتل لپول: عندما يتطور كائن إلى شيء معين فإنه سيختار الموت على التغير إلى نقيضه .

صارت الممرات التي كانت تُقاد من خلالها أضخم شيئاً فشيئاً بأطوار بالكاد يمكن ملاحظتها - خدع تقوُّس، وتضخيم متدرج لحجم الدعامات المعمّدة، وإزاحة النوافذ المثلثة والاستعاضة عنها بأشكال أكبر وأطول. أخيراً لاحت أمامها في الأفق أبواب مزدوجة متمركزة في الجدار البعيد لغرفة طويلة. استشعرت أن الأبواب كانت ضخمة جداً، وأجبرت نفسها على قمع شهقة في حين كان وعيها المدرّب يقيس النسب الحقيقية. كان المدخل يبلغ ارتفاعه ثمانين متراً على الأقل، وعرضه نصف ذلك.

عندما اقتربت مع مرافقيها، تأرجحت الأبواب للداخل - حركة هائلة وصامتة لآلات مخفيّة. تعرفت على المزيد من أعمال الإيكسيين. عبر هذا المدخل الشاهق، سارت مع حراسها إلى قاعة الاستقبال الكبرى للإمبراطور پول آترديز - «المؤدّب، الذي أمامه كل الناس يتقرّمون». الآن، رأت تأثير هذه المقولة على أرض الواقع.

في حين تقدمت نحو پول الجالس على العرش البعيد، وجدت الأم الموقرة نفسها متأثرة أكثر بالتفاصيل المعمارية الدقيقة لمحيطها أكثر من الإعجاب بالضخامة. كانت المساحة شاسعة: من الممكن أن تضم القاعة قلعة أي حاكم في تاريخ البشرية.

قال الاتساع المفتوح للغرفة الكثير عن القوى الهيكلية المتوارية، المتوازنة مع الدقة والرقي. لا بد أن الجملونات والعوارض الداعمة خلف هذه الجدران والسقف بقبته الشاهقة الارتفاع، تتفوق على أي شيء جُرِّب من قبل. كل شيء أظهر عبقرية هندسية.

دون أن يبدو أنها تعتمد القيام بذلك، أصبحت القاعة أصغر في نهايتها البعيدة، رافضة تقزيم پول على عرشه فوق المنصة. الوعي غير المدرَّب المصدوم بالنسب الكبرى المحيطة به، سيراه في البداية أضخم بعدة مرات من حجمه الفعلي. الألوان تخدع النفس غير المحصنة. كان عرش پول الأخضر مقطوعاً من حجر زمرد هاجر. وأوحى بأشياء نامية، وعكس لون الحداد المأخوذ من الأساطير الفرمنية. همس: يجلس هنا من بوسعه أن يقودك إلى الرثاء- الحياة والموت متحدان في رمز واحد، تأكيد حاذق على الأضداد. خلف العرش، تعاقبت الستائر باللون البرتقالي المحروق، والذهب المُكْرِي لأرض كثيب، وبقع القرفة المُميِّزة للمزاج. بالنسبة إلى العين المدرِّبة، كانت الرمزية جلية، لكنها احتوت على صدمات قوية كالمطرقة لإبهار محدودي الخبرة.

لعب الزمن دوره هنا.

حسبت الأم الموقرة الدقائق اللازمة للاقتراب من الحضور الإمبراطوري بوتيرة خطواتها العرجاء. قالت لنفسها: تمتلكين الوقت للإذعان. أي ميل إلى الاستياء سوف يُعتَصِر منك من خلال القوة غير المكبوحه، المركِّزة على شخصك. قد تبدئين المسيرة الطويلة نحو ذلك العرش كإنسانة تتمتع بالكرامة، لكنك ستتهينها كناموسة.

وقف مساعدون وخدم حول الإمبراطور في تسلسل مرتب بشكل لافت للانتباه - حراس القلعة المنتبهين على طول الجدار الخلفي المغطى بالستائر، وتلك الشُّنعة عالية، على مبعده درجتين أسفل پول، وإلى يساره ستيلجار، الخادم الإمبراطوري، على الدرجة السفلية مباشرة لعالية؛ وعلى اليمين، درجة واحدة أعلى من أرضية القاعة، شخصية منفردة: الجسد العائد من الموت لدانكن آيداهو؛ الغولة. ميّزت الفرمن الأكبر سنًا بين الحراس، النواب الملتحين مع ندوب بذلات التقطير على أنوفهم، والسكاكين العاجية المغمّدة عند صدورهم، وعدد قليل من مسدسات المولى، وحتى بعض بنادق الليزر. فكرت أن هؤلاء الرجال يجب أن يكونوا موضع ثقة حتى يحملوا بنادق ليزر في وجود پول بينما من الواضح أنه يرتدي درع طاقة. كانت ترى وميض مجاله من حوله. طلقة واحدة من بندقية ليزر صوب مجال الدرع، والقلعة برمتها ستغدو حفرة في الأرض.

توقف حرسها عشر خطوات من سفح المنصة، وتفرقوا لإتاحة إطلالة خالية من أي حائل للإمبراطور. لاحظت الآن غياب تشاني وإيرولان، وتعجبت من ذلك. لم يكن لديه جمهور مهم دونهما كما يُقال.

أوماً إليها پول، صامتاً، مُقيماً الموقف.

على الفور، قررت اتخاذ وضعية الهجوم؛ قالت: «إذا، فقد تنازل پول آترديز العظيم وطلب رؤية المرأة التي سجنها». ابتسم پول بسخرية، مفكراً: تعلم أنني أريد شيئاً منها. كانت تلك المعرفة حتمية نظراً إلى طبيعة مَنْ تكون. أدرك قدراتها. لم تصبح البني چيسيرت أمهات موقرات بالمصادفة.

سأل پول: «هلا استغنيانا عن أي مواربة؟»

تساءلت: «هل سيكون هذا سهلاً؟» ثم أردفت: «اذكر الشيء الذي تريده».

تململ ستيلجار، ورمى پول بنظرة حادة. لم تعجب لهجتها الخادم الإمبراطوري.

قال پول: «ستيلجار يريد مني نفيك».

سألت: «لا يريد قتلي. كنت أتوقع شيئاً مباشراً أكثر من نائب فرمني».

تجهم ستيلجار، وقال: «في كثير من الأحيان، يجب أن أتحدث بغير ما أضمر. ذلك يسمى دبلوماسية».

قالت: «إذن دعونا نستغني عن الدبلوماسية أيضاً. هل كان من الضروري أن أسير كل هذه المسافة؟ أنا امرأة عجوز».

قال پول: «كان عليك أن تري كم يمكنني أن أكون قاسياً. بهذه الطريقة، ستقدرين الشهامة».

سألت: «هل تجرؤ على مثل هذه الوقاحة مع بني جيسيريت؟»

قال پول: «الأفعال الفجّة تحمل رسائلها الخاصة».

ترددت. وزنت كلماته. ربما سيستغني عنها... بفجاجة، كما هو واضح لو أنها.. لو أنها ماذا؟

تمتت: «قل ما تريده مني».

ألقت عالية نظرة خاطفة إلى شقيقها، وأومأت برأسها نحو الستائر خلف العرش. عرفت عالية منطلق پول في هذا اللقاء، مع ذلك بغضته. سمّها نُبوة جامحة: شعرت بأنها مثقلة بتردد يحجّمها عن المشاركة في هذه المساومة.

قال پول: «يجب أن تنتهي إلى الطريقة التي تتحدثين بها إليّ، أيتها المرأة العجوز».

فكرت الأم الموقرة: ناداني امرأة عجوز في حين كان هو غلام. هل يذكرني الآن بالدور الذي لعبته في ماضيه؟ القرار الذي اتخذته حينذاك، هل يجب أن أعيد اتخاذه هنا؟ شعرت بثقل القرار، شيء مادي جعل ركبتها تتخبطان. أنت العضلات من شدة التعب.

قال پول: «كانت مسيرة طويلة، ويمكنني أن أرى أنك متعبة. سوف ننتقل إلى غرفتي الخاصة خلف العرش. يمكنك الجلوس هناك».

أعطى إشارة باليد إلى ستيلجار، فنهض.

أحاط بها ستيلجار والغولة، وعاونها على صعود الدرج، وتبعوا پول عبر ممر تخفيه الستائر. حينذاك أدركت لماذا استقبلها في القاعة. كان استعراض صوري أمام الحرس والنواب. إذا هو يهابهم. والآن - الآن، أظهر إحساناً لطيفاً، وقد تجرأ على تنفيذ مثل هذه الحيل على امرأة من البني چيسيرت. أم كان ذلك جرأة حقاً؟ شعرت بوجود آخر وراءها، ونظرت إلى الخلف لترى عالية تتبعهم. كانت عينا المرأة الشابة تشعان نظرة متجهمة ومتوعدة. ارتجفت الأم الموقرة.

كانت الغرفة الخاصة في نهاية الممر عبارة عن مكعب طوله عشرون متراً من البلازמיד، وكرات إنارة صفراء للإضاءة، وانتشرت معلقات برتقالية غامقة لخيمة تقطير حول الجدران. واحتوت الغرفة على دواوين، ووسائد ناعمة، وفاحت منها رائحة

مزاج خافتة، وكان هناك أباريق ماء من الكريستال على طاولة منخفضة. تراءت الغرفة مكتظة، ضيقة مقارنة بالقاعة الخارجية. أجلسها پول فوق ديوان، ووقف أمامها، دارسًا الوجه الشائخ-أسنان صلبة، وأعين خبّأت أكثر مما باحت به، وجلد متجدد بشدة. أشار إلى إبريق ماء. هزت رأسها، وأبعدت خصلة من شعرها الرمادي.

قال پول بصوت خفيض: «أريد أن أفاوضك على حياة حبيبتي». تتحنح ستيلجار.

وضعت عالية أصابعها فوق مقبض السكين العاجية المغمّدة عند رقبتها.

مكث الغولة عند الباب، وجهه مجرد من أي عاطفة، وعيناه المعدنيتان مصوبتان إلى الفراغ فوق رأس الأم الموقرة.

سألت الأم الموقرة: «هل راودتك رؤية عن دوري في موتها؟» أبقت انتباهها على الغولة، الذي أزعجها بشكل غريب. لماذا يجب أن تشعر بالتهديد من الغولة؟ كان أداة في المؤامرة. قال پول متجنبًا سؤالها: «أعرف ما تريدني مني».

فكرت: إذا هو يشك فحسب. نظرت الأم الموقرة إلى أطراف فردتي حذائها المكشوفين بثنية مرفوعة من رداؤها. فردتا حذاء أسود ورداء مهترئ أظهرت علامات حبسها. بقع وتجاعيد. رفعت ذقنها، وقابلت ألقًا غاضبًا في عيني پول. سرت الغبطة في أوصالها، لكنها أخفت العاطفة وراء شفيتين مطبقتين، وجفنين ضيقين.

سألت: «أي عملة تعرضها في المقابل؟»

قال پول: «سأمنحك نسلي، ولكن ليس شخصي. ستُنْفَى
إيرولان بعيداً عن هنا حيث ستُلَقَّح صناعياً -».
انفعلت الأم الموقرة، متشنجة: «كيف تجرؤ؟!»
أخذ ستيلجار نصف خطوة إلى الأمام. وابتسم الغولة مثيراً
قلقها. والآن كانت عالية تمعن في النظر إليه.
قال پول: «لن نناقش الأشياء التي تحرّمها أخويتك. ولن
أستمع إلى حديث عن الآثام أو الشناعات أو المعتقدات التي
خلفها الجهاد السابق. فليكن للأخوية نسلي من أجل خططكن،
لكن لن يجلس أي طفل لإيرولان على عرشي».
سخرت: «عرشك».

«عرشي».

«إذن من سينجب الوريث الإمبراطوري؟»

«تشاني».

«إنها عاقر».

«إنها حبلى بطفل».

كشفت شهقتها اللا إرادية عن صدمتها. قالت محتدة: «أنت
تكذب!».

رفع پول يداً زاجرة لإيقاف ستيلجار الذي اندفع إلى الأمام.

«عرفنا منذ يومين أنها تحمل طفلي».

«لكن إيرولان...».

«بالوسائل الاصطناعية فقط. هذا عرضي».

أغمضت الأم الموقرة عينيها لحجب وجهه.

اللغة! رمي النرد الصيني بهذه الطريقة! الكراهية مارت في صدرها. تعاليم البني جيسيرت، دروس الجهاد البطلري- كلها تحرّم مثل هذا العمل. لم يُحَقَّر امرؤُ أسْمَى تطلعات البشرية هكذا من قبل. لا يمكن لأي آلة أن تعمل بالطريقة التي يعمل بها العقل البشري. لا يوجد قول أو فعل قد يشير إلى أنه يمكن للبشر الانحطاط بالتنازل إلى مستوى الحيوانات.

قال پول: «قرارك».

هزت رأسها. الجينات، جينات آتريديز الثمينة - فقط هذه كانت مهمة. كانت الحاجة أعمق من الحظر. بالنسبة إلى الأخوية، يقتضي التزاوج أكثر من مجرد اختلاط حيوان منوي وبويضة. يهدف التزاوج إلى التقاط الروح والشخصية.

فهمت الأم الموقرة الآن الأعماق الدقيقة لعرض پول. سيجعل البني جيسيرت تشارك في عمل من شأنه أن يُهمّد الغضب الشعبي لو افترض الأمر. لا يمكنهن تأكيد هذه الأبوة إن نفاها الإمبراطور. قد ينقذ هذا المقابل جينات آتريديز من أجل الأخوية، لكنه لن يشتري عرشاً أبداً.

أجالت بصرها في أنحاء الغرفة، ودرست كل وجه: ستيلجار، خامد وينتظر الآن. الغولة جامد وشارد في مكان ما بداخله. عالية تراقب الغولة... وپول - سخط تحت قشرة ضحلة.

سألت: «هذا عرضك الوحيد؟»

«عرضي الوحيد».

نظرت إلى الغولة. لاحظت حركة مقتضبة في عضلات خديه.

مشاعر؟

قالت: «أنت أيها الغولة. هل ينبغي تقديم مثل هذا العرض؟
والآن بعد أن قدّم، هل يجب قبوله؟ اعمل مِنتًا من أجلنا».

تحولت عينا الغولة المعدنية إلى پول.

قال پول: «أجب كما تشاء».

أعاد الغولة انتباهه المتلألئ إلى الأم الموقرة، وقد صدمتها
ابتسامته مجددًا.

قال: «العرض جيد كالشيء الحقيقي الذي يشتريه. المبادلة
المعروضة هنا حياة مقابل حياة. متاجرة رفيعة المستوى».

أزاحت عالية خصلة من شعرها النحاسي عن جبينها، وقالت:
«وماذا أيضًا مُخبأ في هذه الصنفة؟»

رفضت الأم الموقرة النظر إلى عالية، لكن الكلمات اشتعلت في
ذهنها. أجل، تداعيات أعمق بكثير تكمن هنا. كانت الأخت سُنة،
ذلك صحيحًا، لكن لا يمكن إنكار مكانتها كأُم موقرة مع كل ما
يتضمنه اللقب. شعرت جايس هيلين موهيم في هذه اللحظة أنها
ليست شخصًا واحدًا، بل كل الأخريات اللاتي جلسن كمجسمات
صغيرة في ذاكرتها. كن يقظات، كل أم موقرة استوعبتها لتصبح
كاهنة في الأخوية. عالية ستقف في نفس الوضع هنا.

سأل الغولة: «ماذا أيضًا يتساءل المرء لماذا لم تستخدم
ساحرات البني چيسيرت أساليب التليلاكسو؟»

ارتجفت جايس هيلين موهيم وجميع الأمهات الموقرات
بداخلها. نعم، التليلاكسو قاموا بأشياء بغيضة. لو تخلى المرء
عن الموانع التي تحول دون التلقيح الاصطناعي، فهل كانت
الخطوة التالية هي إحدى طرائق التليلاكسو- طفرة مُتحكّم بها؟

شعر پول فجأة، وهو يراقب مسرحية المشاعر من حوله، أنه لم يعد يعرف هؤلاء الأشخاص. كان يرى غرباء فقط. حتى عالية كانت غريبة.

قالت عالية: «لو أطلقنا عينات آترديز في نهر بني چيسيرتية، فمن يدري ماذا قد ينتج؟»

استدار رأس جايس هيلين موهيم، والتقت بنظرة عالية. للحظة خاطفة، كانتا أمتين موقرتين معاً، يتشاركان في فكرة واحدة: ما الذي يكمن وراء أي من أفعال التليلاكسو؟ كان الغولة شيئاً من صنعة التليلاكسو. هل هو من وضع هذه الخطة في ذهن پول؟ هل سيحاول پول المساومة مباشرة مع بني تليلاكسو؟

أبعدت عينيها عن عالية، وشعرت بتناقضها وعدم كفاءتها. ذكّرت نفسها أن خطر تدريب البني چيسيرت يكمن في القدرات الممنوحة: مثل هذه القدرات تهين المرء للفرور والتفاخر. لكن السلطة تغرر بأولئك الذين يستخدمونها. يميل المرء إلى الاعتقاد أن السلطة يمكن أن تتغلب على أي عائق... بما في ذلك جهل المرء نفسه.

قالت لنفسها إن شيئاً واحداً فقط كان له أهمية قصوى بالنسبة إلى بني چيسيرت. كان هذا هو هرم الأجيال الذي وصل إلى ذروته في پول آترديز... وأخته الشنعة. اختيار خاطئ هنا وسيجب إعادة بناء الهرم من جديد... بدء الأجيال مجدداً في خطوط جينية متوازية ومع عينات التناسل التي تفتقر إلى أفضل الخصائص.

فكرت: طفرة متحكّم فيها. هل مارس التليلاكسو ذلك حقاً؟ كم هو مغرراً هزت رأسها، كان من الأفضل التخلص من مثل هذه الأفكار.

سأل پول: «هل ترفضين اقتراحي؟»

قالت: «أنا أفكر».

ومرة أخرى، نظرت إلى الأخت. التزاوج الجيني الأمثل لهذه الأنثى الآتريديزية قد ضاع.. قتله پول. لكن بقي احتمال آخر - احتمال من شأنه أن يمكّن الخاصية المرغوبة في نسل مستقبلي. تجرأ پول على عرض تناسل حيواني على البني جيسيرت! كم كان مستعدًا حقًا ليدفع مقابل حياة تشاني هذه؟ هل سيقبل تزواجًا جينيًا مع شقيقته؟

قالت الأم الموقرة، محاولةً كسب بعض الوقت: «أخبرني، أيها المثال الذي لا تشوبه شائبة لكل ما هو مقدس، هل لدى إيرولان أي رأي في اقتراحك؟»

جار پول: «إيرولان ستفعل أي شيء تخبرينها بأن تفعله».

فكرت موهيم: هو محق. صلبت فكها، ولجأت إلى مناورة جديدة: «يوجد اثنان من آل آتريديز».

أحس پول وقد استشعر شيئًا مما كان يختمر في عقل الساحرة العجوز بالدم يغمق وجهه. قال: «أحذري مما تقترحينه».

سألت: «ستستخدم إيرولان فقط لتحقيق غاياتك الخاصة، أليس كذلك؟»

سأل: «ألم تُدرّب على أن تُستخدم؟»

فكرت موهيم: دريناها، هذا ما يقوله. حسنًا...

إيرولان عملة مقسّمة. هل كان هناك طريقة أخرى لإنفاق مثل هذه العملة؟

سألت الأم الموقرة: «هل ستضع طفل تشاني على العرش؟»

قال پول: «على عرشي». نظر إلى عالية متسائلاً فجأة إن كانت تعرف الاحتمالات المتشعبة في هذا التبادل. وقفت عالية وعيناها مغمضتان، سكون غريب اكتنفها. بأي قوة داخلية كانت تتواصل؟ عند رؤية أخته على هذا النحو، شعر پول أنه انجرف بعيداً. وقفت عالية على شاطئٍ ينحسر بعيداً عنه.

اتخذت الأم الموقرة قرارها قائلة: «هذا كثير جداً على شخص واحد ليقرره. يجب أن أتشاور مع مجلسي في والاك. هل تسمح بإرسال رسالة؟»

فكر پول: كأنها احتاجت إلى إذني!

قال: «موافقة إذاً. لكن لا تتأخري طويلاً. لن أجلس مكتوف اليدين بينما تتجادلن».

سأل الغولة، صوته كان اقتحاماً حاداً للمحادثة: «هل ستساوم البني تليلاكس؟»

انفتحت عينا عالية وحدقت بالغولة كأنما أيقظها متطفل خطر.

قال پول: «لم أتخذ مثل هذا القرار. ما سأفعله هو الذهاب إلى الصحراء في أقرب وقت يمكن ترتيبه. سيولد طفلنا في سييتش».

قال ستيلجار بصوت مُرتل: «قرار حكيم».

رفضت عالية النظر إلى ستيلجار. كان قرارا خاطئاً. يمكن أن تشعر بهذا في كل خلية من خلاياها. يجب أن يعرف پول ذلك. لماذا ثبتت نفسه على هذا المسار؟

سألت عالية: «هل عرض بني تليلاكس خدماتهم؟» رأت أن موهيم تترقب الإجابة.

هز پول رأسه. «لا». نظر إلى ستيلجار. «ستيل، رتب لإرسال الرسالة إلى والاك».

«في الحال، سيدي».

استدار پول بعيداً، وانتظر في حين استدعى ستيلجار الحراس، وغادر مع الساحرة العجوز. شعر بأن عالية تفكر ما إن كان عليها مواجهته بمزيد من الأسئلة. بدلاً من ذلك، التفتت إلى الغولة.

قالت: «منتجات، هل سيقدم التليلاكسو خدماتهم إلى أخي؟» هز الغولة كتفيه.

شعر پول باهتمامه يشرد. التليلاكسو؟ لا. ليس بالطريقة التي تقصدها عالية. لكن سؤالها، مع ذلك، كشف أنها لم تر البدائل هنا. حسناً... تباينت الرؤية من عراف إلى آخر. لماذا لا تختلف من أخ لأخت؟ شرود... شرود... عاد من كل فكرة ببداية لالتقاط أجزاء من المحادثة القريبة منه.

«... يجب أن تعرف ما الذي يخطط إليه التليلاكسو...»

«... وفرة البيانات دائماً..»

«... شكوك صحية حيث...»

استدار پول، ونظر إلى أخته، ولفت انتباهها. علم أنها ستري الدموع المنحدرة على وجهه وتتساءل عنها. دعها تتساءل. كان التساؤل طيبة الآن. نظر إلى الغولة، ولم ير سوى دانكن أيدهو رغم العينين المعدنيتين. تنازع الحزن والرافة في دخيلة پول. ما الذي يمكن أن تسجله تلك العينان المعدنيتان؟

فكر پول: هناك درجات كثيرة للرؤية ودرجات كثيرة للعمى. تحول عقله إلى إعادة صياغة فقرة من الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي: ما الحواس التي نفتقر إليها بحيث لا يمكننا رؤية عالم آخر من حولنا؟

هل كانت تلك العينان المعدنيتان حاسة أخرى غير الإبصار؟ عبرت عالية إلى شقيقها، مستشعرة كمدته الشديد. لمست دمعة على خده بإيماءة رهبة فرمسية. قالت عالية: «يجب ألا نحزن على أولئك الأعراء علينا قبل وفاتهم».

همس پول: «قبل وفاتهم. قولي لي يا أختي الصغيرة، ماذا قبل ذلك؟»

لقد أُتخِمتُ من شؤون الإله والكهنوت. تعتقدون أنني لا أرى أسطورتِي؟ استشرَّ بياناتك مرة أخرى يا حياة. لقد أسبغتُ طقوسي على أكثر أفعال البشر بدائية. يأكل الناس باسم المؤدِّب. ويمارسون الحب باسمي، ويولدون باسمي - ويعبرون الشارع باسمي. لا يمكن رفع دعامة سقف في أحقر كهف في جانجيشري البعيدة دون استجداء مباركة المؤدِّب.

«كتاب الأهاجي»

من «سجلات حياة»

قال إدريك محدقًا من خلال جدران حاويته إلى راقص الوجه: «تخاطر بالكثير بمغادرتك موقعك، والقدوم إليَّ هنا في هذه الساعة».

قال سايتل: «كم أن تفكيرك ضعيف وضيق الأفق. من الذي يأتي لزيارتك؟»

تردد إدريك، متفحصًا الشكل الضخم البنية، والجفنين الثقيلين، والوجه الفظ. كان النهار في أوله، وأيضه لم يُنه دورته في جسمه بعد الاضطجاع الليلي لاستهلاك كمية وفيرة من المزاج.

سأل إدريك: «أليس هذا هو الشخص الذي سار في الشوارع؟»
قال سايتل: «لن ينظر المرء مرتين إلى بعض الأشخاص الذين تجسدت في هيتهم اليوم».

فكر إدريك ببصيرة نادرة: الحرياء يعتقد أن تغيير شكله سيخفيه عن أي شيء. وتساءل إن كان وجوده في المؤامرة قد حجبهم حقًا عن كل القوى النبوية. أما أخت الإمبراطور.. هز إدريك رأسه، مثيرًا الغاز البرتقالي داخل حاويته وقال: «لماذا أنت هنا؟»

قال سايتل: «يجب حث الهدية على العمل بوتيرة أسرع».

«لا يمكن فعل ذلك».

أصر سايتل: «يجب إيجاد طريقة».

«لماذا؟»

«الأمور لا تروق لي. الإمبراطور يحاول تفريقنا. قدم بالفعل عرضه إلى البني جيسيرت».

«أوه، ذلك».

«أجل، ذلك! يجب حث الغولة على...».

قال إدريك: «لقد صنعتهموه أيها التليلاكسو. أنت تعرف أفضل من أن تسأل هذا». توقف، واقترب أكثر من الجدار الشفاف لحاويته. «أم هل كذبتم علينا بخصوص هذه الهدية؟»

«كذبنا؟»

«قلتم إن السلاح يجب توجيهه ثم إطلاقه. لا شيء أكثر من ذلك. بمجرد أن نعطي الغولة إلى پول، فلن يمكننا التدخل».

قال سايتل: «يمكن إزعاج أي غولة. ما عليك سوى أن تسأله عن كيانه الأصلي».

«ماذا سيفعل هذا؟»

«سيحرضه على القيام بأعمال ستخدم غاياتنا».

اعترض إدريك على ذلك قائلاً: «إنه مننتات يتمتع بقدرات المنطق والعقل. قد يخمن ما أفعله... ولا تتس الأخت. لو كان اهتمامها ينصب على -»

سأل سايتل: «هل تُخفيها عن العرافة أم لا؟»

قال إدريك: «أنا لا أخشى النبوءات. أنا منشغل بالمنطق، بالجواسيس الحقيقيين، بالقوى المادية للإمبراطورية، بالسيطرة على الاسپايس، ب -»

قال سايتل: «يمكن للمرء أن يتأمل الإمبراطور وقدراته بشكل مريح إن تذكر أن كل الأشياء محدودة.»

بغرابة، ارتد رجل النقابة في حالة من الهياج، وهو يطوح بأطرافه مثل سمندل ماء غريب الأطوار. حارب سايتل إحساساً بالاشمئزاز من المشهد. ارتدى ملاح النقابة قصيفه الداكن المعتاد، المنتفخ عند الحزام بأوعية مختلفة. مع ذلك أعطى انطباعاً بأنه عارٍ عندما تحرك. أدرك سايتل أن هذه كانت سباحة، حركات وصول، وقد صُدم مرة أخرى بالصلوات الهشة بين عناصر مؤامرتهم. لم يكونوا مجموعة متوافقة. كان ذلك نقطة ضعف.

هدأ هياج إدريك. حدق إلى الخارج نحو سايتل، رؤيته مُلوّنة بالغاز البرتقالي الذي يُبقيه مُعلقاً. تساءل إدريك: ما الحيلة التي احتفظ بها راقص الوجه في جعبته لإنقاذ نفسه وقت اللزوم؟ لم يكن التليلاكسو يتصرف بطريقة يمكن التنبؤ بها. فأل شر.

أخبر شيء في صوت الملاح وأفعاله سايتل أن رجل النقابة كان يخشى الأخت أكثر من الإمبراطور. كانت هذه فكرة مفاجئة

ظهرت على سطح إدراكه. أمر مزعج. هل أغفلوا شيئاً مهماً عن عالية؟ هل سيكون الغولة سلاحاً كافياً لتدمير كليهما؟

سأل سايتل متفحّصاً: «أتعرف ما يُقال عن عالية؟»

«ماذا تقصد؟» مرة أخرى، كان الرجل-السمكة هائجاً.

قال سايتل: «لم يكن هناك من قبل قطّ وجود لمثل هذه الراقية للفلسفة والثقافة. المتعة والجمال يتحدان في -»

سأل إدريك: «ما الذي يدوم بشأن الجمال والمتعة؟ سوف ندمر كل آتريديزي. ثقافة! إنهم يوزعون الثقافة الأنسب للحكم. جمال! يروجون للجمال الذي يستعبد. إنهم يخلقون جهلاً متعلّماً- أسهل شيء على الإطلاق. لا يتركون شيئاً للمصادفة. السلاسل! كل ما يفعلونه يصنع سلاسل؛ يستعبد. لكن لطالما ثار العبيد.»

قال سايتل: «قد تتزوج الأخت وتلد ذرية.»

سأل إدريك: «لماذا تتكلم عن الأخت؟»

قال سايتل: «قد يختار الإمبراطور خليلاً لها.»

«دعه يختار. لقد فات الأوان بالفعل.»

قال سايتل مُحدّثاً: «حتى أنت لا يمكنك خلق اللحظة التالية. أنت لست خالقاً... أكبر بأي شكل من آل آتريديز». أوما برأسه.

«يجب ألا نفترض الكثير.»

احتج إدريك قائلاً: «لسنا نحن من نثرثر بشأن الخلق. نحن لسنا الرعاع الذين يحاولون أن يصنعوا مسيحاً من المؤدّب. ما هذا الهراء؟ لماذا تثير مثل هذه الأسئلة؟»

قال سايتل: «إنه هذا الكوكب. يثير تساؤلات.»

«الكواكب لا تتكلم!»

«هذا الكوكب يتكلم».

«أوه؟»

«يتحدث عن الخلق. الرمال تهب في الليل وتمحو الآثار القديمة، ذلك هو الخلق».

«الرمال تهب..»

«عندما تستيقظ، يُظهر لك الضوء الأول العالم الجديد - كل شيء طازج وجاهز من أجل أن يحمل آثارك».

فكر إدريك: رمال بلا آثار. خلق؟ اجتاحه توتر مفاجئ. الانحباس داخل الحاوية، والغرفة المحيطة، وكل شيء منغلق عليه، يخنقه.

آثار في الرمال.

قال إدريك: «أنت تتحدث مثل فرمني».

وافق سايتل على ذلك قائلاً: «هذه فكرة فرمنية، وهي تعليمية. إنهم يتحدثون عن جهاد المؤدّب على أنه ترك آثاراً في العالم بنفس الطريقة التي يترك الفرمني آثاراً في الرمال الجديدة. رسموا درباً في حياة الرجال».

«إذا؟»

قال سايتل: «تأتي ليلة أخرى. وتهب الرياح».

قال إدريك: «نعم، الجهاد محدود. استخدم المؤدّب جهاده -»

قال سايتل: «لم يستخدم الجهاد. الجهاد استخدمه. أعتقد أنه كان ليوقفه لو استطاع».

«لو استطاع؟ كل ما كان عليه فعله هو-».

قال سايتل: «أوه، كَفَّ عن ذلك! لا يمكنك إيقاف وباء عقلي. إنه يقفز من شخص إلى آخر عبر الفراسخ الفلكية. إنه مُعِدُّ بشكل كاسح. يضرب الجانب الأعزل، في المكان الذي نغرز فيه شظايا أويئة أخرى شبيهة. من يستطيع إيقاف مثل هذا الشيء؟ لا يمتلك المؤدّب الترياق المضاد. الشيء له جذور راسخة في الفوضى. هل يمكن للأوامر أن تصل إلى هناك؟»

سأل إدريك: «هل أُصِبت بذلك الوباء إذا؟» استدار ببطء داخل الغاز البرتقالي، متسائلاً لماذا تحمل كلمات سايتل مثل هذه النبرة من الخوف. هل انسحب راقص الوجه من المؤامرة؟ لم تكن هناك طريقة للنظر إلى المستقبل والتأكد من ذلك. أصبح المستقبل تياراً موحلاً مسدوداً بالأنبياء.

قال سايتل: «نحن جميعاً مصابون بالعدوى». ذكّر سايتل نفسه بأن ذكاء إدريك له محدود. كيف يمكن توضيح هذه النقطة بحيث يفهمها رجل النقابة؟

قال إدريك، «ولكن عندما ندمره، فإن العدوى -»

قال سايتل: «يجدر بي أن أتركك جاهلاً. لكن واجباتي لن تسمح بهذا. إلى جانب ذلك، فإنه أمر خطير علينا جميعاً». ارتدّ إدريك داخل الحاوية، واستقر بركلة من قدمه الغشائية، ما تسبب في ارتجاج الغاز البرتقالي حول ساقيه. قال: «أنت تتحدث بغرابة».

قال سايتل بصوت أهدأ: «هذا الأمر برمته انفجاري. إنه جاهز للتحطيم. عندما ينفجر، سيرسل أجزاء منه عبر القرون. ألا ترى هذا؟»

احتج إدريك قائلاً: «تعاملنا مع الأديان من قبل. لو كان هذا الدين الجديد..»

قال سايتل: «ليس مجرد دين!» وتساءل في قرارة نفسه ماذا كانت الأم الموقرة لتقول عن هذا التعليم البدائي لرفيقهم المتآمر. «الحكومة الدينية شيء آخر. حشد المؤدب كهنة الكِزارة في كل مكان، وألغى الوظائف القديمة للحكومة. لكن ليس لديه خدمة مدنية دائمة ولا سفارات متداخلة. لديه أسقفيات وجُزُر سلطنة. يحتل رجل مركز كل جزيرة. يتعلم الرجال كيفية اكتساب القوة الشخصية والاحتفاظ بها. الرجال غيورون.»

قال إدريك بابتسامة راضية: «عندما ينقسمون، سنستوعبهم واحداً تلو الآخر. اقطع الرأس وسيسقط الجسد -»

قال سايتل: «هذا الجسد برأسين.»

«الأخت - التي قد تتزوج؟»

«التي ستتزوج بالتأكيد.»

«لا تُعجبني نبرة صوتك يا سايتل.»

«وأنا لا أعجبني جهلك.»

«ماذا لو تزوجت؟ هل سيؤدي ذلك إلى زعزعة خططنا؟»

«سيزعزع العالم.»

«لكنها ليست فريدة من نوعها. أنا، نفسي، أملك قدرات -»

«أنت طفل. أنت تترنح حيثما يهرولان.»

«هي ليست فريدة من نوعها!»

«نسييت، يا رجل النقابة، أننا صنعنا كوياتس هاديراك

تليلاكسو ذات مرة. هذا كائن ممتلئ بمشهد الزمن. إنه شكل

من أشكال الوجود لا يمكن تهديده دون أن تغلف نفسك بتهديد مطابق. المؤدّب يعرف أننا سنهاجم محبوبته تشاني. يجب أن نتحرك أسرع من ذلك. يجب أن تصل إلى الغولة، وتحثه كما وجّهتكَ».

«ولو لم أفعَل؟»

«سنشعر بالصاعقة».

أوه، أيتها الدودة ذات الأسنان الكثيرة
هل تستطيعين أن تمنعي ما لا علاج له؟
الجسد والنفس اللذان يفرانك
إلى أرض كل البدايات.

تغذي على الوحوش الملتوية في باب من نار!
ليس لديك رداء في كل ثيابك
لتغطية سكرات الألوهية
أو إخفاء احتراقات الشهوة!

«أغنية الدودة»

من «كتاب كتيب»

تصبب پول عرقاً على أرضية حجرة التدريب مستخدماً
سكيناً عاجية وسيفاً قصيراً في مواجهة الغولة. والآن وقف أمام
نافذة مطلة على ساحة المعبد، محاولاً تخيل مشهد تشاني في
المشفى. أخذت تشاني مريضة في منتصف الصباح، في الأسبوع
السادس من حملها. الأطباء كانوا الأفضل. سيستدعونه عندما
يتملكون أخباراً.

أظلمت سماء الظهيرة فوق الساحة بسحب رملية مُعكّرة.
يسمي الفِرمَن مثل ذلك الطقس بـ«الهواء القذر».

ألن يستدعيه الأطباء أبداً؟ كل ثانية مضت بشق الأنفس،
مترددة في دخول عالمه.

انتظار.. انتظار.. لم تُرسل البني جيسيرت أي كلمة من والاك.
تأخير متعمد بالطبع.

رؤية استبصارية سجلت هذه اللحظات، لكنه درَّع وعيه من النبوءة، مفضلاً هنا دور سمكة زمنية تسبح ليس إلى حيث تريد لكن إلى حيث تحملها التيارات. القدر لا يسمح بأي صراعات الآن.

كان من الممكن سماع الغولة وهو يصرُّ الأسلحة ويفحص المعدات. تتهدُّ پول، ووضع يده فوق حزامه، وأبطل درعه. المرور الأشبه بالتمثيل لمجال الدرع سرى فوق جلده في أثناء انطفائه. أخبر پول نفسه أنه سيواجه أحداثاً عندما تأتي تشاني. حان الوقت لتقبُّل حقيقة أن ما أخفاه عنها قد أطال حياتها. وتساءل هل كان شرًّا أن يُفضل تشاني على وريث؟ بأي حق اختار بالنيابة عنها؟ أفكار حمقاء! من يستطيع أن يتردد في ظل البدائل المتاحة - حفر العبيد، التعذيب، الحزن المفجع... وأسوأ.

سمع الباب يُفتح، ثم وقع أقدام تشاني.

استدار پول.

حام شبح القتل فوق وجه تشاني. حزام الفِرم من الواسع الذي جمع خصر رداؤها الذهبي، وحلقات الماء التي تلبسها كقلادة، وإحدى يديها على وركها (ليست بعيدة عن السكين أبداً)، والنظرة الحادة التي كانت مستهل فحوصها لأي غرفة - كل شيء عنها وقف الآن فقط كخلفية تُنذِر بالعنف.

فتح ذراعيه عندما دنت منه، وضمها إليه.

قالت بصوت أجش، متحدثة في مقابل صدره: «كان أحدهم يطعمني دواء مانعاً للحمل لمدة طويلة... قبل أن أبدأ النظام الغذائي الجديد. ستكون هناك مشكلات مصاحبة لهذه الولادة بسببه».

سأل: «لكن هناك علاجات؟»

«علاجات خطيرة. أعرف مصدر ذلك السم! سأقتص من دمائها».

همس، مقرباً إياها منه حتى يهدئ ارتعاشة مفاجئة ساورتها:
«يا محبوبتي سيهيا، سوف تحملين الوريث الذي نريده. أليس ذلك كافياً؟»

قالت وهي تضغط جسمها في مقابله: «حياتي تحترق بمعدل أسرع. الحمل يتحكم الآن في حياتي. أخبرني الأطباء أن الجنين ينمو بوتيرة رهيبة. يجب أن أكل وأكل.. وأتناول المزيد من المزاج أيضاً، آكله، وأشربه. سوف أقتلها على هذا!»

قبل پول خدها. «لا، يا سيهيا. لن تقتلي أحداً». وفكر: إيرولان أطالت عمرك يا حبيبتي. بالنسبة إليك، وقت الولادة هو ساعة الموت.

شعر بحزن خفي يجفف نخاعه، ويُفرغ حياته في قارورة سوداء.

دفعت تشاني نفسها بعيداً عنه. «لا يمكن الغفران لها!»

«من قال أي شيء عن الغفران؟»

«فلماذا لا يجب أن أقتلها؟»

كان سؤالاً فرمناً جافاً لدرجة أن پول شعر برغبة هستيرية في الضحك تكاد تغالبه. موهها قائلاً: «لن يساعد ذلك».

«هل رأيت ذلك؟»

شعر پول ببطنه يتشنج بالذكرى-الرؤية.

تمتم: «ما رأيته... ما رأيته...» كل جانب من الأحداث المحيطة كانت تلائم حاضراً أصابه بالشلل. شعر بأنه مقيد بأغلال إلى مستقبل، تعرض له كثيراً في رؤياه، أحكم قبضته عليه مثل سعلوة جشعة.

جفاف شديد سدَّ حلقه. تساءل: هل تبع نداء سحر نبوءته إلى أن قُذِفَ به في حاضر لا يعرف الرحمة؟ قالت تشاني: «أخبرني بما رأيت.»
«لا أستطيع.»

«لماذا لا يجب أن أقتلها؟»

«لأنني أطلب ذلك.»

شاهدها تقبل هذا. فعلت ذلك بالطريقة التي يقبل بها الرمل الماء: امتصاص وإخفاء. تساءل هل كانت هناك طاعة تحت ذلك السطح الفاضب الساخن؟ وأدرك حينذاك أن الحياة في الحصن الملكي لم تغير أي شيء في تشاني. تمهلت هنا فقط لمدة من الوقت، وسكنت في محطة مؤقتة في رحلة مع رجلها. لم تستلب منها حياة الحصن أي شيء يتعلق بالصحراء.

ابتعدت تشاني عنه لحظتها، محدقة إلى الغولة الذي وقف منتظراً بالقرب من الدائرة الماسية لأرضية حجرة التدريب.

سألت: «هل كنت تتبارز معه؟»

«وأنا أفضل بسبب ذلك.»

تحولت نظرتها إلى الدائرة على الأرض، ثم عادت إلى عيني الغولة المعدنيتين.

قالت: «لا يروفتني ذلك.»

قال پول: «لا ينوي إيدائي».

«هل رأيت ذلك؟»

«لم أراه!»

«إذن كيف تعرف؟»

«لأنه أكثر من غولة. هو دانكن آيداهو».

«البنّي تليلاكس صنعوه».

«صنعوا أكثر مما ابتغوا».

هزّت رأسها. داعبت إحدى زوايا شال النيزوني ياقّة ردائها.

«كيف يمكنك تغيير حقيقة أنه غولة؟»

قال پول: «حياة، هل أنت أداة لتدميري؟»

قال الغولة: «إنّ تغير مضمون هنا والآن، فإن المستقبل قد

تغير»

اعترضت تشاني: «تلك ليست إجابة».

رفع پول صوته: «كيف سأموت يا حياة؟»

ومض ضوء من العينين الصناعيتين. «يُقال يا مولاي، إنك

ستموت من المال والسلطة».

تشنجت تشاني. «كيف يجرؤ على الحديث بتلك الطريقة

إليك».

قال پول: «المنتجات صريح».

سألت: «هل كان دانكن آيداهو صديقاً حقيقياً؟»

«ضحى بحياته من أجلي».

همست تشاني: «يُقال إنه لا يمكن إعادة غولة إلى كيانه

الأصلي».

سأل الغولة موجهًا نظراته إلى تشاني: «هل ستحوّليني؟»

سألت تشاني: «ماذا يقصد؟»

قال پول: «التحوّل يعني الاستدارة لمواجهة الماضي لكن ليس هناك عودة إلى الوراء».

قال حياة: «كل إنسان يحمل ماضيه معه».

سأل پول: «وكل غولة؟»

«بطريقة ما، يا مولاي».

سأل پول: «إذا ماذا تحمل من ذلك الماضي في جسدك السري؟»

رأت تشاني كيف أزعج السؤال الغولة. حركاته تسارعت، ويداه انقبضتا. نظرت إلى پول متسائلة لماذا سأل عن ذلك. هل كانت هناك طريقة لإعادة هذا المخلوق إلى الرجل الذي كان عليه سابقًا؟

سألت تشاني: «هل تذكر أي غولة من قبل ماضيه الحقيقي؟»

قال حياة، وبصره مثبتًا إلى الأرض بالقرب من قدميه: «بُذلت محاولات عديدة. لم يُردّ أي غولة إلى كيانه السابق».

قال پول: «لكنك تتوق إلى حدوث ذلك».

صار السطح الفارغ لعينيّ الغولة مركزًا على پول بحدة ملحّة.

«نعم!»

قال پول بصوت ناعم: «لو كان هناك طريقة...»

قال حياة وهو يلمس جبهته بيده اليسرى في حركة تحية غريبة: «هذا اللحم ليس لحم ولادتي الأصلي. لقد... وُلِد من جديد. فقط الشكل مألوف. قد يستطيع راقص وجه أن يتجسد

في هذه الهيئة أيضًا».

قال پول: «كلا، لا يستطيع. وأنت لست راقص وجه».

«هذا صحيح يا مولاي».

«من أين يأتي شكلك؟»

«من البصمة الجينية للخلايا الأصلية».

قال پول: «في مكان ما، هناك شيء غض يتذكر شكل دانكن

أيدهو. يقال إن القدماء فحصوا هذه المنطقة قبل الجهاد

البطلري. ما حجم هذه الذاكرة يا حياة؟ ماذا تعلمت من الأصل؟»

هز الغولة كتفيه.

سألت تشاني: «ماذا لو لم يكن أيدهو؟»

«بلى، هو أيدهو».

سألت: «هل يمكنك الجزم بذلك؟»

«إنه دانكن من كل النواحي. لا أستطيع أن أتخيل قوة، قوة بما

يكفي للاحتفاظ بهذا الشكل دون أي ارتخاء أو انحراف».

اعترض حياة: «مولاي! لأننا لا نستطيع تخيل شيء، فإن هذا

لا يستبعده من الواقع. هناك أشياء يجب أن أفعالها بصفتي غولة

لن أفعالها كوني إنساناً».

قال پول وهو يركز انتباهه على تشاني: «هل ترين؟» أومأت

برأسها. استدار پول بعيداً، منازعاً حزناً عميقاً. عبر إلى نوافذ

الشرفة وسحب الستائر. انسكبت الأضواء فوق الكأبة المفاجئة

المخيمّة عليه. شدّ حزام رداثه بإحكام، وأنصت بحثاً عن صوتٍ

من خلفه.

لا شيء.

التفت. وقفت تشاني كما لو كانت مسحورة، وتركزت نظرتها على الغولة.

رأى پول أن حياة، وقد انسحب إلى حجرة داخل كيانه، قد عاد إلى شخصية الغولة.

استدارت تشاني عند سماع صوت رجوع پول. كانت لا تزال تشعر باستحواذ اللحظة التي عَجَّل بها پول عليها. للحظة وجيزة، كان الغولة كائنًا بشريًا مفعمًا بالحياة وانفعاليًا. في تلك اللحظة، كان شخصًا لم تخف منه - في الواقع، شخصًا تحبه وتعجب به. الآن، فهمت هدف پول من ذلك الاستجواب. أرادها أن ترى الإنسان في جسد الغولة.

حدقت إلى پول. «هذا الرجل، هل كان ذلك دانكن آيداهو؟»
«كان ذلك دانكن آيداهو. لا يزال هناك.»

سألت تشاني: «هل كان سيسمح لإيرولان بالاستمرار في العيش؟»

فكر پول: لم تتغلغل المياه عميقًا جدًا. قال: «لو أمرت بذلك.»
قالت: «أنا لا أفهم. ألا يجب أن تغضب؟»
«أنا غاضب.»

«أنت لا تبدو... غاضبًا. تبدو حزينًا.»

أغمض عينيه. «نعم. أنا حزين أيضًا»

قالت: «أنت رجلي. أعرف هذا، لكن فجأة لا أفهمك.»

شعر پول بغتة كأنه سار في كهف طويل. تحرك جسده - قدمًا واحدة ثم أخرى- لكن أفكاره ذهبت إلى مكان آخر. همس: «لا أفهم نفسي.»

عندما فتح عينيه، وجد أنه ابتعد عن تشاني.

تكلمت من مكان وراءه: «يا حبيبي، لن أسأل مجدداً عما شاهدته. أعرف فقط أنني سأمنحك الوريث الذي نريده». أوماً برأسه، ثم قال: «عرفت ذلك من البداية». التفت وتفرس في وجهها. تراءت له تشاني بعيدة جداً.

شدت جسمها ووضعت يدها على بطنها. «أنا جائعة. أخبرني الأطباء أنه يجب أن أكل ثلاث أو أربع مرات مقدار ما كنت أكله من قبل. أنا مذعورة يا حبيبي. إنه ينمو بسرعة رهيبة». وافقها: بسرعة رهيبة. هذا الجنين يعرف ضرورة السرعة.

يمكن رؤية الطبيعة الجريئة لأفعال المؤدّب في حقيقة أنه عرف منذ البداية إلى أي مكان كان مقدراً له الوصول، لكنه لم يجد عن ذلك المسار ولو مرة واحدة. عبّر عن ذلك بوضوح عندما قال: «أخبركم بأنني آتٍ الآن إلى ساعة اختباري عندما سيثبت أنني الخادم المطلق». وهكذا ينسج الكلّ في واحدٍ، إلى درجة أن الصديق والعدو سيعبدانه. ولهذا السبب وحده دعا حواريوه قائلين: «مولانا، خلّصنا من المسارات الأخرى التي غطاها المؤدّب بماء حياته». هذه «المسارات الأخرى» يمكن تخيلها فقط بأعمق اشتمزاز.

عن «يوم الدين»

من «كتاب القيامة»

كان الرسول امرأة شابة -تعرف تشاني وجهاً واسمها وعائلتها- وكانت هذه هي الطريقة التي تخطت بها الأمن الإمبراطوري.

لم تفعل تشاني أكثر من التعرف على هويتها بناء على طلب من ضابط الأمن بانيرجي الذي رتب بعد ذلك اللقاء مع المؤدّب. تصرّف بانيرجي بدافع الغريزة، وتأكيد أن والد الشابة كان عضواً في مفاوير موت الإمبراطور، الفدائيين المرعبين في الأيام التي سبقت الجهاد. وإلا لكان قد تجاهل مناشدتها أن على المؤدّب أن يستمع إلى رسالتها مباشرة.

بالطبع خضعت للفحص والتفتيش قبل اللقاء في مكتب پول الخاص. ومع ذلك، رافقتها بانيرجي، إحدى يديه فوق سكينه والأخرى فوق ذراعها.

كان منتصف النهار تقريباً عندما أحضروها إلى الغرفة - مساحة عجيبة، مزيج من الفِرمَن-الصحراء والأرستقراطي-العائلة. تصطف معلقات حِرق فوق ثلاثة جدران: مفروشات مزخرفة دقيقة مزدانة بأشكال من أساطير فرمنية. غطت شاشة عرض الجدار الرابع، وهي عبارة عن سطح رمادي-فضي خلف مكتب بيضاوي يحمل سطحه شيئاً واحداً فقط، ساعة رملية فرمنية مشيدة داخل مِبيان شمسي. حمل المِبيان، آلة معلقة من كوكب إيكس، قمري أَرَاكس في ثالوث الدودة الكلاسيكي المحاذي للشمس.

وقف پول بجانب المكتب، ونظر إلى بانيرجي. كان ضابط الأمن أحد أولئك الذين جاؤوا من خلال دَرَك الفِرمَن، وظفر بمكانه بسبب ما أظهره من رجاحة عقل، وأثبت ولاءه رغم أسلاف المهريين الذين ارتبط بهم اسمه. كان شخصية صلبة، سميناً تقريباً. سقطت خصلات من الشعر الأسود فوق جبينه الداكن الذي يبدو رطباً كفرة طائر أجنبي. كانت عيناه تامتي الزرقة، وجامدتين في نظرة يمكن أن تحدق إلى سعادة أو مُنكَر دون أي تغيير في التعبير. وثق به كل من تشاني وستيلجار. عرف پول أنه لو طلب من بانيرجي خنق الفتاة على الفور، فإن بانيرجي سيفعل ذلك دون تردد.

قال بانيرجي: «مولاي، ها هي الفتاة الرسول. مولاتي تشاني قالت إنها أرسلت لك كلمة.»

«نعم». أوماً پول باقتضاب.

الغريب أن الفتاة لم تنتظر إليه. ظل اهتمامها منصباً على المِبيان. كانت ذات بشرة داكنة، متوسطة الطول، جسمها مخفي تحت رداء قماشه الخمري الغني وحيآكته البسيطة يشيان بالثراء. كان شعرها الأسود المزرق مربوطاً بشريط محكم من القماش يطابق لون الرداء. وكان الرداء يخفي يديها. اشتبه پول في أن اليدين كانتا مشبوكتين بإحكام. سيكون ذلك متماشياً مع شخصيتها. كل شيء عنها يلائم شخصيتها- بما في ذلك الرداء: آخر قطعة من الملابس الفاخرة المُدخّرة لمثل هذه المناسبة. أشار پول إلى بانيرجي ليتتحي جانباً. تردد قبل أن يطيع. الآن، تحركت الفتاة - خطوة واحدة إلى الأمام. حركتها رشيقة. ومع ذلك، كانت عيناها تتجنبانه.

تتنح پول.

رفعت الفتاة بصرها، اتسعت عيناها عديمتا البياض بالقدر الصحيح من الرهبة. كان لها وجه صغير غريب، وذقن رقيق، وإحساس بالتحفظ في الطريقة التي تُطبّق بها فمها الصغير. بدت الأعين كبيرة بشكل غير طبيعي فوق الخدود الضامرة. كان هناك جو كئيب حولها، وشى بأنها قليلة الابتسام. حواف عينيها تحمل غشاوة صفراء خافتة يمكن أن تكون ناتجة عن تهيج سببه الغبار، أو آثار إدمان السموتا.

كان كل شيء متوافقاً مع الشخصية.

قال پول: «لقد طلبت رؤيتي».

حانت لحظة الاختبار الأعظم للشكل-الفتاة. ارتدى سايتل الشكل والسلوك والجنس والصوت- كل ما يمكن أن تستوعبه قدراته وتفترضه. لكن هذه كانت أنثى معروفة للمؤدّب في أيام السييتش. كانت طفلة حينذاك لكنها خاضت مع المؤدّب تجارب مشتركة. يجب تجنب مناطق معينة من الذاكرة برهافة. كان هذا هو الجزء الأكثر تطلبًا الذي حاول سايتل تقمصه على الإطلاق. «أنا ليشنا ابنة عثيم من برك ديب».

خرج صوت الفتاة خافتًا لكنه حازم، يعطي اسمًا وأبًا ونسبًا. أوماً پول برأسه. رأى كيف خُذعت تشاني. نغمة الصوت، كل شيء مستسخ بدقة. لولا تدريبه البني جيسيرتي على الصوت وشبكة داو التي تغلفه بها رؤيته النبئية، لربما كان تنكر راقص الوجه هذا لينطلي عليه هو حتى.

كشف تدريبه عن بعض التناقضات في تقمص راقص الوجه: كانت الفتاة أكبر قليلاً من سنواتها المعروفة، وهناك مبالغة في التحكم في الأحبال الصوتية، واستقامة العنق والكتفين أخطأت بجزء بسيط الشموخ الدقيق الذي يميز وقفة الفرمن. ولكن كان هناك أيضاً إفراط في الدقة: الرداء الغني مرّقع ليعكس الوضع الاجتماعي الفعلي لها.. وكانت الملامح مضبوطة بشكل مريح. وشت بتعاطف معين يكتنه راقص الوجه للشخصية التي يجسدها. قال پول في تحية رسمية فرمنية: «استريح في منزلي، يا ابنة عثيم. أهلاً وسهلاً بكِ كشرية ماء بعد عبور جاف».

كشفت أضعف درجة من استرخاء الملامح عن الثقة التي نقلها قبول پول الظاهري إليها.

قالت: «أحمل رسالة».

قال پول: «رسول الرجل في منزلة الرجل نفسه».

تنفس سايتل بهدوء. سارت الأمور على ما يرام، ولكن المهمة الحاسمة حانت الآن: يجب إرشاد آترديز إلى هذا المسار الخاص. يجب أن يفقد حظيته الفرمنية في ظروف لا يتحمل فيها أي شخص آخر اللوم عليها. يجب أن يُنسب الفشل فقط إلى المؤدّب كلي القدرة. كان لا بد من قيادته إلى الإدراك النهائي لفشله ومن ثمّ إلى قبول بديل يقدمه التيلاكسو.

قال سايتل: «أنا الدخان الذي يبدد النوم في الليل» استخدم عبارة شيفرة خاصة بالفدائيين مفادها: أحمل بجعبتي أبناء سيئة.

صارع پول للحفاظ على هدوئه. شعر بأنه عارٍ، وروحه مهجورة في زمن ملتبس، محجوب عن كل رؤية. أخفت نبوءات قوية راقص الوجه هذا. فقط حدود هذه اللحظات كانت معروفة إلى پول. عرف فقط ما لا يجب فعله. لم يستطع قتل راقص الوجه الآن. هذا من شأنه أن يعجل المستقبل الذي يجب تجنبه بأي ثمن. بطريقة ما، يجب إيجاد طريقة للنفاذ إلى الظلام وتغيير النمط المرعب الكامن هناك.

قال پول: «أعطني رسالتك».

تحرك بانيرجي حتى يتموقع في مكان يمكنه من مشاهدة وجه الفتاة. بدت كأنها لاحظته للمرة الأولى وتوجهت نظرتها إلى مقبض السكين أسفل يد ضابط الأمن.

قالت وهي تنظر مباشرة إلى بانيرجي: «الأبرياء لا يؤمنون بالشر».

فكر پول: آه، أحسنت. كان هذا ما ستقوله ليشنا الحقيقية. شعر بفصحة لحظية تجاه الابنة الحقيقية لعثيم- كانت ميتة الآن، جثة في الرمال. لكن لم يكن هناك وقت لمثل هذه المشاعر. قطب حاجبيه.

أبقى بانيرجي انتباهه على الفتاة.

قالت: «طُلب مني تسليم رسالتي على انفراد».

سأل بانيرجي بصوت خشن، متفحصًا إياها: «لماذا؟»
«لأنها أمنية أبي».

قال پول: «هذا صديقي. ألسْتُ فرمنياً؟ إذا سيسمع صديقي أي شيء أسمعه أنا».

تمالك سايتل نفسه في الشكل-الفتاة الذي يرتديه. هل كانت هذه عادة فرمنية حقيقية... أم هل كان اختباراً؟

قال سايتل: «بمقدور الإمبراطور وضع قواعده الخاصة. هذه هي الرسالة. يطلب أبي منك أن تأتي إليه، جالياً تشاني معك».
«لماذا يجب أن أجلب تشاني؟»

«هي امرأتك وسيادينا. هذه مسألة ماء، حسب قواعد قبائلنا. يجب أن تشهد تشاني على أن والدي يتحدث حسب طريقة الفرمن».

فكر پول: هناك حقاً فرمن مشاركون في المؤامرة. هذه اللحظة تتسق مع شكل الأحداث التي ستأتي مستقبلاً قطعاً. ولم يكن لديه بديل سوى التزام هذا المسار.

سأل پول: «عن ماذا سيتكلم والدك؟»

«سيتكلم عن مؤامرة ضدك، مؤامرة بين الفرمن».

سأل بانيرجي: «لماذا لا ينقل هذه الرسالة شخصياً؟»

أبقت نظرتها على پول. «أبي لا يمكنه المجيء إلى هنا. المتآمرون يشتبهون فيه. ما كان لينجو من الرحلة».

سأل بانيرجي: «ألم يستطع أن يبوح إليك بالمؤامرة؟ وكيف يخاطر بابنته في مثل هذه المهمة؟»

«التفاصيل مقفول عليها في ناقل مُكودات لا يُسمح سوى للمؤدب بأن يفتحه. ذلك كل ما أعرفه».

سأل پول: «لماذا لا يُرسل المُكودات إذا؟»

قالت: «إنه مُكود بشري».

قال پول: «سوف أذهب إذاً. لكن سأذهب بمفردي».

«تشاني يجب أن تأتي معك».

«تشاني حبلى بطفل».

«متى رفضت امرأة فرمنية ذلك... ١٩».

قال پول: «أطعمها أعدائي سماً خفياً. ستكون ولادة متعسرة. لن تسمح لها صحتها بمرافقتي الآن».

قبل أن يتمكن سايتل من كبحها، اكتست ملامح الفتاة مشاعر غريبة: إحباط و غضب. ذُكر سايتل بأن كل ضحية يجب أن تمتلك وسيلة هروب - حتى لو كان شخصاً بمنزلة المؤدب. لكن المؤامرة لم تفشل. بقي هذا الآتريديزي في المصيدة. كان مخلوقاً تطور بقوة إلى نمط واحد. سوف يدمر نفسه قبل أن يتحول إلى نقيض هذا النمط. كان هذا هو الحال مع الكويزاتس هاديراك

التيلياكسو. سيكون ذلك هو السبيل للقضاء على هذا أيضاً.
وثم... الغولة.

قالت: «دعني أطلب من تشاني أن تقرر هذا».

قال پول: «لقد قررتُ ذلك. ستراقبيني بدلاً من تشاني».

«يتطلب الأمر سيّادينا».

«ألسِتِ صديقة تشاني؟»

فكر سايتل: حُوصِرْتُ! هل يشك فيّ؟ لا. إنه يتصرف بحذر

فرمزي. ومانع الحمل حقيقة. حسناً - هناك طرائق أخرى.

قال سايتل: «أخبرني والدي أنني يجب ألا أعود، وأن أطلب

اللجوء عندك. قال إنك لن تخاطر بي».

أوماً پول برأسه. كان ذلك متماشياً على نحو بديع مع شخصية

ابنة عثيم. لم يستطع رفض هذا اللجوء. التمسّت طاعة فرمنية

لأمر أبوي.

قال پول: «سأخذ معي حارّة، زوجة ستيلجار. ستخبرينا

بالطريق إلى والدك».

«كيف تعرف أنه يمكنك الوثوق بزوجة ستيلجار؟»

«أنا أعرف ذلك».

«لكنني لا أثق بها».

زَمَّ پول شفّتيه ثم قال: «هل أمك على قيد الحياة؟»

«والدتي الحقيقية ذهبت إلى الشّي هولوود. أمي الثانية لا تزال

حية وترعى أبي. لماذا؟»

«هي من سييتش تبر؟»

«نعم».

قال پول: «أتذكرها. سوف تقوم مقام تشاني».

أشار إلى بانيرجي. «اطلب من الخدم اصطحاب ليشنا ابنة عثيم إلى جناح مناسب».

أوماً بانيرجي. الخدم. الكلمة الأساسية تعني أن هذه الرسول يجب أن توضع تحت حراسة خاصة. أمسك بذراعها. قاومت. ناشدته: «كيف ستذهب إلى والدي؟»

قال پول: «سوف تصفين الطريق إلى بانيرجي. هو صديقي».

«لا! أمر والدي بذلك! لا أستطيع!»

قال پول: «بانيرجي؟»

تمهل بانيرجي. لاحظ پول أن الرجل يبحث في ذاكرته الموسوعية التي ساعدته من قبل على الظفر بثقة المؤدّب. قال بانيرجي: «أعرف دليلاً يمكنه اصطحابك إلى عثيم».

قال پول: «إذاً سوف أذهب وحدي».

«مولاي، لو أنك...»

قال پول، بالكاد يخفي السخرية التي استولت عليه: «يريد عثيم الأمر بتلك الطريقة».

احتج بانيرجي قائلاً: «مولاي، هذا بالغ الخطورة».

قال پول: «حتى الإمبراطور يجب أن يقبل بعض المخاطر. القرار اتّخذ. افعل ما أمرت به».

قاد بانيرجي راقص الوجه على مضض خارج الغرفة.

استدار پول نحو الشاشة الخالية خلف مكتبه. شعر كأنه ينتظر سقوط حجر من رحلته العمياء من عالٍ.

تساءل: هل يجب أن يخبر بانيرجي عن حقيقة الرسول؟ لا!
مثل هذا الحادث لم يُكتب على شاشة رؤيته. أي انحراف هنا
سيؤدي إلى تسريع العنف. كان لا بدّ من العثور على لحظة ارتكاز،
مكان يمكن أن يُخرج فيه نفسه من الرؤية.
لو أن لمثل هذه اللحظة وجوداً ...

بغض النظر عن مدى الغرابة التي آلت إليها الحضارة البشرية، وبغض النظر عن تطورات الحياة والمجتمع، وتعقيد الارتباط بين الآلة والإنسان، لطالما وُجِدَت فترات من القوة الوحيدة عندما يعتمد مسار البشرية، ومستقبل الجنس البشري، على أفعال بسيطة نسبياً يقوم بها أفراد منفردون.

من كتاب «إله التليلاكسو»

في أثناء عبوره جسر المشاة المرتفع الممتد من حصنه إلى مبنى مكتب الكِزارة، أضاف پول عرجاً إلى مشيته.. كان غروب الشمس قد أزف تقريباً، وسار پول عبر الظلال الطويلة التي ساعدت في إخفائه، لكن الأعين الحادة ما زالت تكتشف شيئاً في هيئته. كان يرتدي درعاً، لكنه غير مُفَعَّل بعد أن قرر مساعدوه أن وميضه قد يثير الشكوك.

نظر پول إلى اليسار. كانت سلاسل من السحب الرملية تتراكم عبر مشهد الغروب مثل مصاريع مضلّعة. كان الهواء النافذ من خلال مرشحات بذلة التقطير جافاً.

لم يكن وحيداً حقاً هنا، لكن شبكة الأمن لم تكن مشدّدة من حوله منذ أن توقف عن السير في الشوارع بمفرده في الليل. انجرفت طائرات الأورنيثوبتر، المزودة بأجهزة مسح ضوئي للرؤية الليلية، بعيداً في أنماط تبدو عشوائية، وكلها مرتبطة

بحركاته من خلال جهاز إرسال مخفي في ملابسه. سار الرجال المختارون في الشوارع أدناه. وانتشر آخرون في أنحاء المدينة بعد أن رأوا الإمبراطور في تكره - زي الفرمن بداية بذلة التقطير وحتى بيادات صحراء «تيماج». كانت ملامحه قائمة. شوّه خداه بحشوات جصّية من أجل التخفي. وامتد أنبوب سداة الأنف على طول فكه الأيسر.

عندما وصل إلى الطرف المقابل من الجسر، نظر پول إلى الخلف، ولاحظ حركة بجانب الشبكة الحجرية التي أخفت شرفة في جناحه الخاص. تشاني، بلا شك. أطلقت على هذه المغامرة اسم «البحث عن الرمال في الصحراء».

ما مدى ضآلة فهمها للاختيار المرير. فكر: الاختيار من بين عذابات شتى، جعل حتى العذابات الأقل ألمًا لا تكاد تُطاق.

للحظة مشوشة، مؤلمة عاطفيًا، استرجع مجددًا فراقهما. في اللحظة الأخيرة، مرّت تشاني بلمحة طاوية من مشاعره، لكنها أساءت تفسيرها. اعتقدت أن عواطفه هي تلك التي يعيشها المرء عند فراق حبيب قبل إقدامه على مجهول محضوف بالمخاطر.

فكر: ألا أعرف ذلك؟

اجتاز الجسر الآن وخطا فوق الممر العلوي عبر مبنى مكاتب الكِزارة. كان هناك كرات إنارة ثابتة وأناس يهرولون منهمكين في العمل. الكِزارة لا تنام قط. ألقى پول انتباهه منصبًا على اللافتات المعلقة فوق المداخل، كما لو كان يراها للمرة الأولى: تجّار السرعة. مثبتات ومصدّات الرياح. آفاق نبوية. اختبارات الإيمان. إمدادات دينية. أسلحة.. ترويج الإيمان...

فكر: «ترويج البيروقراطية» ستكون لافتة أكثر صراحة.

ظهر نوع من الموظفين المدنيين الدينيين في جميع أنحاء العالم. كان هذا رجل الكِزارة الجديد في كثير من الأحيان متحوّلاً من ديانة أخرى. نادراً ما أزاح فرمني من المناصب الرئيسية، لكنه كان يملأ كل الفجوات. استخدم المزاج لإظهار قدرته على تحمّل تأثيره بقدر ما استخدمه لفوائده المضادة للشيخوخة. وقف بمعزل عن حكامه- الإمبراطور، أو النقابة، أو البني جيسيرت، أو مجلس اللاندراد، أو العائلة، أو الكِزارة. كانت آلهته الروتين والسجلات. خدّمه المنتات وأنظمة حفظ الملفات المذهلة. كانت النفعية هي الكلمة الأولى في عظته، مع أنه قدّم تأييداً شفاهياً مناسباً لمفاهيم البطليين. قال إنه لا يمكن تشكيل الآلات على صورة عقل إنسان، لكنه أظهر من خلال كل فعل أنه يُفضّل الآلات على البشر، الإحصاءات على الأفراد، والنظرة العامة البعيدة على اللسة الشخصية الحميمية التي تتطلب خيالاً ومبادرة.

عندما وصل پول إلى المنحدر في الجانب البعيد من المبنى، سمع الأجراس تنادي بإيدان موعد طقس المساء الديني في مزار عالية.

كان هناك شعور غريب بالديمومة بشأن الأجراس.

كان المعبد عبر الساحة الزاخرة بالحشود، جديداً، طقوسه حديثة الابتكار، ولكن شيئاً معيناً حول هذا المكان الرابض في حوض صحراوي على حافة أراكين- شيئاً ما في الطريقة التي بدأت بها الرمال التي تحركها الرياح في نخر الأحجار والجص، شيئاً في الطريقة العشوائية التي شُيِّدت بها المباني حول المعبد.

تأمّرت كل تلك الأشياء لتعطي انطباعاً بأن هذا مكان عتيق جداً يعج بالتقاليد والغموض.

كان الآن في الأسفل بين حشود الناس - ملتزماً إتمام المهمة. وكان الدليل الوحيد الذي عثرت عليه قوات الأمن التابعة له قد أصر على أن يجري اللقاء بهذه الطريقة. لم يعجب الأمن بموافقة بول السريعة. وكان إعجاب ستيلجار بها أقل حتى. وكانت تشاني أكثر من اعترض.

الحشد من حوله - رغم أن أفراده احتكوا به، وحدقوا صوبه دون أن يلتفتوا إليه ثم مضوا في طريقهم - منحوه حرية حركة مثيرة. كان يعرف أن هذه كانت الطريقة التي هُيئوا بها لمعاملة فرماني. حمل نفسه كرجل من الصحراء الداخلية. هؤلاء الرجال كانوا سريعي الغضب.

ومع تقدمه وسط التدفق السريع نحو درجات المعبد، أصبح تزامح الناس أكبر حتى. لم يستطع كل من حوله إلا الضغط عليه الآن، لكنه وجد نفسه هدفاً للاعتذارات الطقوسية: «عذراً، أيها السيد النبيل. لا يمكنني منع هذه الفظاظة». «اعذرني يا سيدي؛ هذا الزحام من الناس هو أسوأ ما رأيته في حياتي». «أتذلل إليك، أيها المواطن المقدّس. دفعني شخص وقع».

تجاهل بول الكلمات بعد الأحاديث القليلة الأولى. لم يكن هناك شعور في تلك الكلمات سوى نوع من الخوف الطقوسي. وجد نفسه، بدلاً من ذلك، يفكر أنه قطع شوطاً طويلاً منذ أيام طفولته في قلعة كلادان. أين بالتحديد وضع قدمه على بداية الطريق الذي أدى به إلى هذه الرحلة عبر ساحة مزدحمة في

كوكب بعيد كل البعد عن كلادان؟ هل حقًا وضع قدمه بمحض إرادته على الطريق؟ لم يستطع أن يقول إنه تصرف في أي وقت من حياته من أجل سبب واحد محدد. كانت الدوافع والقوى التصادمية معقدة - ربما كانت أكثر تعقيداً من أي مجموعة أخرى من الحوافز في تاريخ البشرية. ساوره شعور مُسكِر بأنه ما زال بإمكانه تجنب المصير الذي يمكن أن يراه بوضوح على امتداد هذا المسار. لكن الحشد دفعه إلى الأمام وانتابه إحساس مدوخٍ بأنه أضاع الطريق، وفقد التوجيه الشخصي على حياته.

تدفق الحشد معه صاعدين الدرجات الآن إلى رواق المعبد. خبّت الأصوات. وغدت رائحة الخوف أقوى- لاذعة، ومعرّقة. كان الشَّمَّاسة قد بدؤوا بالفعل القدّاس داخل المعبد. طفى إنشادهم الجلي على الأصوات الأخرى-همسات، وحفيف ملابس، وجرجرة أقدام، وسعال- يحكي قصة الأماكن القصية التي زارتها الكاهنة في نشوتها المقدسة.

تركب دودة الفضاء!

ترشد خلال كل العواصف

إلى أرض الرياح الرقيقة.

ورغم نومنا بجانب عرين الأفعى،

إلا أنها تحرس أرواحنا الحالمة.

مُبعِدة عنا قيظ الصحراء،

تخبئنا في جوف بارد.

لمعان أسنانها البيضاء

يرشدنا في الليل.

بضفائر شعرها

نرتقي إلى الجنة!

عطر عذب، معبق برائحة الزهور،

يحيط بنا في حضورها .

فكر پول: *بالاك!* مفكرًا بلغة الفرمن. *انتبهوا!* يمكن أن تكون عالية ملأى بعاطفة غاضبة أيضًا .

كان رواق المعبد مبطنًا بأنابيب إنارة طويلة رفيعة تحاكي لهب الشمعة. ومضت. وأثار وميضها ذكريات قديمة بداخل پول رغم علمه أن ذلك هو المقصد منها. كان هذا الإعداد تأسُّلاً، مفتعلًا بدقة، ومؤثرًا. كره پول دوره فيه.

تدفقت الجماهير معه عبر الأبواب المعدنية الطويلة إلى داخل الصحن الضخم، مكان قاتم بأضواء متلائة بعيدة فوق الرؤوس، ومذبح مضاء بسطوع في الطرف البعيد. خلف المذبح، توجد مجموعة بسيطة على نحو مخادع من ألواح الخشب الأسود المغطى بأشكال رملية مقتبسة من أساطير الفرمن، وأضواء خفية تُومض في مجال باب طوارئ خماسي الدرع لإنشاء قوس قزح الشفق القطبي. الصفوف السبعة من الشماسة المنشدين، الواقفين بترتيب أسفل تلك الستارة الطيفية يعكسون صفة غريبة: أردية سوداء، ووجوه بيضاء، وأفواه تتحرك في انسجام تام.

تفرس پول في الحجيج من حوله، وقد وجد نفسه فجأة يجسدهم على تصميمهم، وعلى رغبتهم في الاستماع إلى حقائق لم يستطع سماعها. تراءى له أنهم ظفروا هنا بشيء حُرِّم هو منه، شيء شافٍ على نحو غامض.

حاول الاقتراب من المذبح، لكن بدأ وضعها أحدهم على ذراعه أوقفته. استدار پول، والتقت عيناه بالنظرات الفاحصة لفرمني عجوز- عينان تامتا الزرقة تحت حاجبين متهدلين، التعرف كامن فيها. برق اسم في ذهن پول: راسير، رفيق من أيام السييتش. وسط زحام الحشود، كان پول يعلم أنه بلا حول أو قوة لو أن راسير يخطط للعنف.

ضغط الرجل العجوز بجسمه مقترباً منه، إحدى يديه مخفية تحت رداء متسخ بالرمال- ممسكة بمقبض سكين عاجية، بلا شك. تاهب پول قدر المستطاع لمقاومة الهجوم. حرّك الرجل العجوز رأسه نحو أذن پول، هامساً: «سنمضي مع الآخرين». كانت إشارة التعرف على دليله. أوماً پول برأسه. تراجع راسير، وواجه المذبح.

أنشد الشماسة: «إنها تأتي من الشرق. الشمس تقف في ظهرها. كل الأشياء مكشوفة. في وهج الضوء المكتمل- لا يفوت عينيها أي شيء، لا نور ولا ظلمة».

سرى عزف ربابة شجي فوق الأصوات البشرية، أسكتها، ثم انحسر بدوره إلى الصمت. فجأة كأنّ صدمة كهربائية قد مستهم، اندفع الحشد إلى الأمام عدة أمتار. تكدسوا في كتلة ضيقة من اللحم الآن، والهواء مثقل بأنفاسهم ورائحة الاسپايس.

صاح الشماسة: «الشي هولود يكتب على رمال نظيفة!»

شعر پول بأنفاسه تتحبس داخل صدره على نحو منسجم مع أنفاس من حوله. بدأت جوقة نسائية تغني بصوت خافت من وراء الظلال خلف باب الطوارئ المتلألئ: «عالية... عالية... عالية».

ارتفع الصوت، وارتفع حتى سقط في صمت مفاجئ.
مرة أخرى- بدأت أصوات ناعمة الإنشاد:

تخمد كل العواصف
عينها تقتل أعداءنا،
وتعذب الكافرين.
من أبراج تيونو
حيث يسطع ضوء الفجر
وتجري مياه نقية،
ترى ظلها.
في حرارة الصيف الساطعة
تقدم لنا خبزاً وحليباً
بارداً ومعبئاً بالاسپايس.
عينها تذيب أعداءنا
وتعذب مضطهدينا
وتخترق كل الألفاظ.
هي عالية.. عالية... عالية...

بيضاء، تراجعت الأصوات.

شعر بول بالغثيان. سأل نفسه: ماذا نفعنا؟ كانت عالية ساحرة
طفلة، لكنها كانت تكبر. وفكر: أن تكبر السن يعني أن تصبح أكثر شراً.
كان الجو العقلي الجماعي للمعبد ينخر في نفسيته. كان
بإمكانه أن يشعر بذلك الجزء من نفسه الذي كان واحداً مع كل

من حوله، لكن الاختلافات شكّلت تناقضًا قاتلاً. ووقف غارقًا ومنعزلاً في إثم شخصي لا يقدر أن يكفّر عنه أبدًا. اجتاح شسوع الكون خارج المعبد وعيه. كيف يمكن لرجل واحد، طقس واحد، أن يأمل في نسج مثل هذا الشسوع في لباس واحد يلائم جميع البشر؟

ارتجف پول.

عارضه العالم في كل خطوة. راوغ قبضته، وتجلّى في عدد لا يحصى من التكررات لتضليله. هذا العالم لن يوافق أبدًا على أي شكل أعطاه إياه.

انتشر صمت عميق في أرجاء المعبد.

خرجت عالية من الظلام خلف أقواس قزح المتلاثلة. كانت ترتدي رداءً أصفر مزدانًا بأخضر آتريديز - أصفر يرمز إلى ضوء الشمس، وأخضر إلى الموت الذي أنتج الحياة. ساورت پول فكرة مذهشة مفاجئة أن عالية ظهرت هنا فقط من أجله، من أجله وحده. حدق عبر الغوغاء في المعبد إلى أخته. كانت أخته. كان يعرف طقسها وجدوره، لكنه لم يسبق له أن وقف هنا مع الحجيج، كان يراقبها من خلال أعينهم. هنا، وهو يختبر بنفسه غموض هذا المكان، أدرك أنها جزء من العالم الذي عارضه. أحضر لها الشماسة كأسًا ذهبية.

رفعت عالية الكأس.

بجزء من وعيه، علم پول أن الكأس تحتوي على المزاج الخام، السم الخفي، قريان نبوءتها.

تحدثت عالية ونظراتها مثبتة إلى الكأس. يداعب صوتها
الأذان، متدفق وغنائي:

قالت: «في البداية، كنا فارغين».

غنت الجوقة «جاهلين بكل شيء».

قالت عالية: «لم نكن نعرف القوة الكامنة في كل مكان».

غنت الجوقة «وفي كل زمان».

قالت عالية رافعة الكأس قليلاً: «ها هي القوة».

غنت الجوقة «تجلب لنا الفرح».

فكر پول: وتجلب لنا الكرب.

قالت عالية: «توقظ الروح».

غنت الجوقة «وتبدد كل الشكوك».

قالت عالية: «في الكلمات، نهلك».

غنت الجوقة «في القوة، ننجو».

قربت عالية الكأس من شفيتها، وشربت.

لدهشته، وجد پول أنه كان يكتم أنفاسه مثل أدنى حاج في
هذه الفوغاء. رغم معرفته الشخصية الدقيقة بكل تفاصيل
التجربة التي تمر بها عالية، فقد وقع في براثن شبكة الطاو.
شعر بنفسه يتذكر كيف يسري هذا السم الناري داخل الجسد.
كشفت الذاكرة عن توقف الزمن عندما أصبح الوعي ذرة غيّرت
السم. عاش مجددًا الصحوة إلى السرمدية حيث كل الأشياء
ممكنة. عرف تجربة عالية الراهنة، لكنه أدرك الآن أنه لم يعرفها
حقًا. أعمى الغموض الأعين.

ارتجفت عالية وخرّت على ركبتها.

زفر پول مع الحجاج المفتونين. أوماً برأسه. بدأ جزء من الحجاب يُرفَع عنه. منغمساً في نعيم رؤية، نسي أن كل رؤية تنتمي إلى كل أولئك الذين ما زالوا على الطريق، ما زالوا سيصبحون. في الرؤية، اجتاز المرء ظلمة، غير قادر على تمييز الواقع من الصدفة غير الجوهرية. يجوع المرء إلى مطلقات لا يمكن أن يكون لها وجود أبداً.

وفي جوعه، يخسر المرء الحاضر.

تأرجحت عالية مع نشوة تأثير الاسپايس.

شعر پول بحضور متسام يخاطبه قائلاً: «انظرا تمعن هناك! شاهد ما تجاهلته؟» في تلك اللحظة، اعتقد أنه نظر خلال الأعين الأخرى، أنه شاهد صورة وإيقاعاً في هذا المكان لا يستطيع فنان أو شاعر إعادة إنتاجه. كان مفعماً بالحيوية وبهياً، ضوء ساطع كشف الشراة إلى كل قوة... حتى قوته.

تحدثت عالية. سرى صوتها المتضخم عبر الصحن.

صرخت: «ليلة مضيئة».

اكتسح أنين كالموج حشود الحجيج.

قالت عالية: «لا شيء يختبئ في هكذا ليلة! أي نور نادر هذه الظلمة؟ لا يمكنك تثبيت نظرتك عليها! لا تستطيع الحواس تسجيلها. وتعجز الكلمات عن وصفها». انخفض صوتها. «الهاوية باقية. حبلى بكل الأشياء التي لم توجد بعد. آه، يا له من عنف رقيق!»

شعر پول أنه ينتظر إشارة خاصة من أخته. يمكن أن تكون أي فعل أو كلمة، شيء بمسحة سحرية ووصوفية، تدفق خارجي

سيلائمه مثل سهم في قوس كوني. قبعت هذه اللحظة مثل زئبق مرتعش في ثايا وعيه.

قالت عالية بصوت مرتل: «سيأتي حزنٌ. أذكركم أن كل الأشياء ما هي سوى بداية، بداية أبدية. تنتظر العوالم غزوها. البعض في مدى صوتي سيبلغون مصائر مجيدة. سوف تسخرون من الماضي، ناسين ما أقوله لكم الآن، في كل الاختلافات توجد وحدة».

قمع پول صرخة خذلان عندما خفضت عالية رأسها. لم تقل الشيء الذي انتظر سماعه. شعر بجسده كأنه قشرة جافة، بزررة نبذتها بعض حشرات الصحراء.

فكر: يجب أن يشعر الآخرون بشيء مماثل. أحسّ بالاضطراب. فجأة، صرخت امرأة في الغوغاء، بعيدة في عمق صحن المعبد على يسار پول، ضجيجًا من الوجد بلا كلمات رفعت عالية رأسها وانتاب پول إحساس مدوّخ بأن المسافة بينهما انهارت، وأنه حدق مباشرة إلى عينيها اللامعتين على بعد بوصات فقط منها.

سألت عالية: «من يستدعيني؟»

صرخت المرأة: «أنا. أنا يا عالية. أوه، يا عالية، ساعديني. يقولون إن ابني قُتل في موريتان. هل رحل؟ ألن أرى ابني مرة أخرى... أبدأ؟»

قالت عالية بصوت مُرتل: «تحاولين أن تمشي إلى الخلف في الرمال. لا شيء مفقود. يعود كل شيء لاحقًا، لكن قد لا تتعرفين على الشكل المُتغيّر الذي يعود به».

وَلَوْلَت المرأة: «عالية، أنا لا أفهم!»

قالت عالية بصوت حاد: «أنت تعيشين في الهواء. الهواء في كل مكان حولك لكنك لا ترينه. صوتك يحمل لكنة فرمينة. هل يحاول أي فرمني إعادة الموتى؟ ماذا نحتاج من موتانا إلا ماءهم؟» في وسط الصحن، رفع رجل يرتدي عباءة حمراء باهظة كلتا يديه، وسقطت الأكمام لتكشف عن أذرع مغطاة بالأبيض. صرخ: «عالية، لدي عرض عمل. هل يجب أن أقبله؟»

قالت عالية: «تأتي إلى هنا مثل المتسول. ابحث عن الإناء الذهبي لكنك لن تجد سوى خنجر». مكتبة .. سُرْمَن قرأ صرخ صوت من مكان بعيد إلى اليمين - صوت عميق بنغمات سييتشية: «طُلب مني قتل رجل! هل يجب أن أقبل؟ ولو قبلت، هل سأنجح؟»

ردت عالية قائلة: «البداية والنهاية شيء واحد. ألم أخبركم بهذا من قبل؟ أنت لم تأتي إلى هنا لطرح هذا السؤال. ما الشيء الذي لا تستطيع تصديق أنه يجب أن تأتي إلى هنا وتصرخ ضده؟» تمتت امرأة بالقرب من پول: «إنها في حالة مزاجية حادة الليلة. هل سبق لك أن رأيتها غاضبة هكذا؟»

فكر پول: عالية تعرف أنني بالخارج هنا. هل رأت شيئاً في الرؤية أعضبها؟ هل هي غاضبة مني؟

هتف رجل أمام پول مباشرة: «عالية، أخبري رجال الأعمال وضعيفي القلوب هؤلاء، إلى متى سيحكم أخوك!»

زمجرت عالية: «أسمح لك بأن تجيل النظر في تلك الزاوية بنفسك. فمك ينضح بالتحامل! لأن أخي يركب دودة الفوضى، لديك سقف وماء!»

بإيماء صارمة، وممسكة بردائها، استدارت عالية مبتعدة، وسارت عبر شرائط الضوء المتألثة، واختفت في الظلام خلفها. على الفور، ألقى الشماسة الترنيمة الختامية، لكن إيقاعهم كان فيه نواز. من الواضح أنهم صُدموا من النهاية غير المتوقعة للطقس. سرت تمتات عشوائية من بين الحشود. شعر پول بالاضطراب من حوله - قلق، استياء.

تمتت امرأة بالقرب من پول: «كان ذلك الأحمق بسؤاله الغبي عن العمل. المنافق!»

ماذا رأت عالية؟ أي مسار مستقبلي؟

حدث شيء معين هنا الليلة أفسد طقس النبوءة. عادة ما يطالب الحشد عالية بالإجابة عن أسئلتهم المثيرة للشفقة. جاؤوا متسولين للنبوءة، نعم. سمعهم هكذا مرات عديدة في أثناء مراقبته، مختبئاً في الظلام خلف المذبح. ما المختلف في هذه الليلة؟

شد الفرمني العجوز كمّ پول، وأوماً برأسه صوب المخرج. بدأ الحشد بالفعل في الدفع في هذا الاتجاه. سمح پول لنفسه بأن ينحرف معهم، ويد الدليل فوق كمّه. انتابه حينذاك شعور أن جسده قد أصبح تجسيدا لقوة خرجت عن سيطرته. أصبح لا-كيان، سكون يحرك نفسه بنفسه. في جوهر اللا-كيان، هناك كان موجوداً، سامحاً لنفسه بأن يُقاد في شوارع مدينته، متتبعا مسارا مألوفاً جداً في رؤياه لدرجة أن قلبه تجمّد من شدة الحزن. فُكر: يجب أن أعرف ما رآته عالية. شاهدت ذلك بنفسي مرات كافية. ولم تصرخ معارضةً رؤيته.. رأت البدائل أيضاً.

يجب ألا يحيد نمو الإنتاج ونمو الدخل عن المسار
المرسوم في إمبراطوريتي. هذا جوهر قيادتي. لن
تكون هناك صعوبات في ميزان المدفوعات بين
دوائر النفوذ المختلفة. والسبب في ذلك ببساطة
أنني أقوده. أريد تأكيد سلطتي في هذه المنطقة.
أنا آكل الطاقة الأعلى لهذا المجال، وسأظل كذلك،
حيًا أم ميتًا. حكومتي هي الاقتصاد.

«فرمان في المجلس»
للإمبراطور پول المؤدّب

قال الرجل العجوز وهو يزيح يده عن كمّ پول: «سأترك هنا.
المنزل إلى اليمين، الباب الثاني من الطرف البعيد للشارع. اذهب،
يصحبك الشي هولود، أيها المؤدّب... وتذكر أيام كنت أصول».
انزلق دليل پول بعيدًا في الظلام.
كان پول يعلم أنه سيكون هناك رجال أمن في مكان قريب
ينتظرون القبض على الدليل، وأخذ الرجل إلى مكان لاستجوابه.
لكن پول وجد نفسه يأمل أن يهرب الفِرمني العجوز.
ازدانت السماء بالنجوم وبرز ضوء بعيد من القمر الأول قادمًا
من مكان ما وراء الجدار الحامي. لكن هذا المكان لم يكن
الصحراء المفتوحة حيث يمكن للرجل أن يُبقي عينيه على نجم
مستدلًا به على طريقه. كان الرجل العجوز قد أحضره إلى إحدى
الضواحي الجديدة؛ هذا كل ما أدركه پول.

كان هذا الشارع الآن مملوءًا بالرمال المنبعثة من الكثبان الرملية الزاحفة. توهج ضوء خافت من كرة إنارة عامة معلقة بعيدًا في عمق الشارع. أعطت إنارة كافية لإظهار أن هذا كان شارعًا مسدودًا.

كان الهواء من حوله كثيفًا برائحة منبعثة من وعاء تقطير لاستعادة الرطوبة. يجب أن يكون هذا الشيء مُغلقًا بشكل سيئ حتى تنفذ روائحه النتنة، مُطلقًا كمية كبيرة مهددة من الرطوبة في هواء الليل. فكّر پول، كم صار شعبه مُهملاً. صاروا مليونيرات ماء- نسوا الأيام التي كان من الممكن أن يُقتل فيها رجل في أراكس فقط مقابل ثمن حصة الماء في جسده.

تساءل پول: لماذا أنا متردد؟ الباب الثاني من الطرف البعيد. كنت أعرف ذلك دون إخباري. لكن هذا الشيء يجب أن يُنفذ بدقة وحسب الرؤية. لذا... أتردد.

علا ضجيج نقاش محتدم فجأة من الزاوية على يسار پول. كان صوت امرأة توبخ شخصًا: الجناح الجديد لمنزلهم يسرّب غبارًا.. هل يعتقد أن الماء يسقط من السماء؟ إن دخل الغبار، خرجت الرطوبة.

فكر پول: البعض لا يزال يتذكر.

تحرك في الشارع، وخفت صوت الشجار وراءه.

فكر: ماء يسقط من السماء!

رأى بعض الفرمن هذه المعجزة في عوالم أخرى. رآها هو بنفسه. وأمر بجلبها إلى أراكس لكن ذكراها بدت كأنها حدثت لشخص آخر. كانت تُسمى «المطر». وإذا به يتذكر عاصفة

ممطرة في كوكب ولادته - سحب كثيفة ورمادية في سماء كلادان، وعاصفة مشحونة بالكهرباء، وهواء رطب، وقطرات كبيرة رطبة ترتطم بكوات السقف. أمطرت في جداول صغيرة قبالة الإفريز. جرفت مصارف العواصف المياه بعيداً إلى نهر كان يمتد موحلاً وفاضاً عبر بساتين العائلة... والأشجار هناك بأغصانها الجرداء رطبة، لامعة.

علقت قدم پول في جرف رملي منخفض عبر الشارع. للحظة شعر كأن الطين يتشبث بأحذية طفولته. ثم عاد إلى الحاضر، إلى الرمال، في الظلمة الكثيفة بالغبار والمكتومة بالرياح، والمستقبل معلقاً فوقه مستهزئاً. كان يشعر بقحط الحياة من حوله كأنه اتهام. أنت فعلت هذا! أصبحوا حضارة من المراقبين والحكائين. أشخاص حلوا جميع المشكلات بالسلطة... والمزيد من السلطة... والمزيد من السلطة- كره كل ذرة منه.

لامست الحجارة الخشنة قدميه. تذكرتها رؤيته. ظهر المستطيل المظلم للمدخل على يمينه - أسود في أسود: منزل عثيم، بيت القدر، مكان مختلف عن الأمكنة المحيطة به فقط في الدور الذي اختاره الزمن له. كان مكاناً غريباً حتى يصير مميّزاً في التاريخ.

انفتح الباب على أثر طرفته. كشفت الفجوة الضوء الأخضر الباهت لردهة. أطل قزم، وجه شائخ فوق جسد طفل، ظهور لم يره الاستبصار من قبل قط.

قال الظهور: «جئت إذن». تتحى القزم جانباً دون أي رهبة في سلوكه، فقط شماتة في صورة ابتسامة بطيئة. «ادخل! ادخل!»

تردد پول. لا يوجد قزم في الرؤية، لكن كل شيء بقي متطابقاً. يمكن أن تحتوي الرؤى على مثل هذه الفوارق، ولا تزال صادقة في انغماسها الأصلي في اللا-نهاية. لكن الاختلاف بعث الأمل بداخله. نظر مرة أخرى إلى الشارع، إلى اللمعان الكريمي اللؤلؤي لقمره السابح خارج ظلال خشنة. القمر يطارده. كيف سقط؟
أصرَّ القزم: «ادخل».

دلف پول، وسمع لطمة الباب في أثناء انغلاقه بأقفال الرطوبة. تقدّمه القزم، وقاد الطريق، أقدامه الضخمة تصفع الأرضية، وفتح البوابة الشبكية الرقيقة إلى الفناء المركزي المسقوف، مشيراً بيده: «إنهم ينتظرون يا مولاي».
فكر پول: مولاي.. يعرفني إذا.

قبل أن يتمكن پول من التفكير في هذا الاستنتاج، انزلق القزم بعيداً في ممر جانبي. كان الأمل ريح درويش دوامية، تتراقص في دخيلة پول. سار عبر الفناء. كان مكاناً مظلماً وكثيباً تفوح منه رائحة المرض والهزيمة. أوجس خيفة من الجو. تساءل: هل الهزيمة اختيار أهون الشرور؟ كم قطع من هذا المسار؟

انسكب الضوء من مدخل ضيق في الجدار البعيد. نحا پول جانباً شعور المراقبين والروائح الشريرة، وعبر الباب إلى داخل غرفة صغيرة. كان مكاناً أجرد وفقاً لمعايير الفِرمِن. معلقات حيرق تعلقو جدارين فقط. مقابل الباب، جلس رجل على وسائد قرمزية تحت أفضل مُعلّقة. وخيال أنثوي يحوم في الظلال خلف مدخل آخر في جدار أجرد إلى اليسار. شعر پول بأنه محاصر داخل الرؤية. كانت هذه هي الطريقة التي سارت بها الأمور.

أين ذهب القزم؟ أين كان الاختلاف؟ استوعبت حواسه الغرفة في نظرة واحدة خاطفة. كان المكان قد تلقى عناية شديدة رغم رثائه أثائه. تُظهر الخطافات والقضبان فوق الجدران الجرداء المكان الذي أزيلت منه المعلقة. ذكّر پول نفسه أن الحجيج دفعوا مبالغ باهظة مقابل تحف فرمونية أصلية. عدّ الحجاج الأغنياء المفروشات الصحراوية كنوزاً، دلائل حقيقية على الحج. شعر پول بأن الجدران الجرداء بطلاء الجبس الطازج فوقها توجّه إليه أصابع الاتهام. ضاعفت الحالة المهلهلة للمعلقة المتبقيتين من إحساسه بالذنب.

احتلّ رف ضيق الجدار عن يمينه. حمل صفًا من الصور - معظمها لفرمن ملتج، يرتدي في بعضها بذلات تقطير، أنابيب ترشيحها متدلية، وفي بعضها الآخر الزي الإمبراطوري أمام خلفيات غريبة لأماكن في العالم الأجنبي. كانت المناظر البحرية المشهد الأكثر شيوعاً.

تحنح الفرمني الجالس على الوسادة، ما أجبر پول على النظر إليه. كان عثيم بالضبط كما كشفته الرؤية: رقبته أصبحت هزيلة، أشبه بعنق طير، وبدت أضعف من أن تدعم الرأس الضخم فوقها. كان الوجه عبارة عن خراب أحادي الجانب - شبكات من الندوب المتقاطعة على الخد الأيسر أسفل عين متهدلة ودامعة باستمرار، ولكن بشرة صافية على الجانب الأيمن مع نظرة فرمونية صارمة تامة الزرقة. وشقّ طويل يمثل الأنف يشطر الوجه. وُضعت وسادة العثيم في وسط خرقة قماش رثة بنية اللون تتخللها خيوط كستنائية وزهبية. قماش الوسادة يُظهر بقعاً من التآكل والترقيع،

ولكن كل قطعة معدنية حول الشكل الجالس تبرق من التلميع-
إطارات الصور، وشفة الرف والأعمدة، وقاعدة طاولة منخفضة
على اليمين. أوماً پول برأسه إلى النصف الصافي من وجه عثيم،
وقال: «حظاً طيباً لك ولمسكنك». كانت تحية صديق قديم وزميل
في السييتش.

«إذاً ها أنا أراك مرة أخرى يا أصول»

تأوه الصوت الذي تحدث باسمه القبلي برعشة الشيوخوخة.
تحركت العين المتدلية الباهتة على جانب الوجه الخرب فوق
الجلد والندوب المتبسة. غطت الشعيرات الرمادية هذا الجانب
وتدلى خط الفك هناك مكسواً بقشور خشنة. التوى فم عثيم
وهو يتحدث، الفجوة بين شفثيه تكشف عن أسنان معدنية.
قال پول: «المؤدّب يستجيب دائماً لنداء أحد الفدائيين».

تحركت المرأة في ظلال المدخل، وقالت: «بهذا يتفاخر
ستيلجار». تقدمت إلى النور، نسخة أكبر سنناً من ليشنا التي
نسخها راقص الوجه. تذكر پول أن عثيم تزوج شقيقتين. كان
شعرها رمادي، وأنفها قد نما حاداً كأنف ساحرة.

انتشر ثفن النسّاجات على طول أصابع السبابة والإبهام. كانت
امرأة فرمونية لتظهر مثل هذه العلامات بفخر في أيام السييتش
الخوالي، لكنها رأت انتباهه المسلط على يديها، فأخفتها بسرعة
تحت ثية ردائها الأزرق الباهت.

تذكر پول اسمها بعد ذلك - ضهورى. كانت الصدمة أنه
تذكرها كطفلة وليس كما كانت في رؤيته لهذه اللحظات. قال
پول لنفسه أن الأنين هو الذي كشف صوتها. كانت تنن هكذا
حتى عندما كانت طفلة.

قال پول: «أنا هنا كما ترين. هل سأكون هنا لو لم يوافق ستيلجار؟» استدار نحو عثيم. «أنا أحمل عبء مائك، يا عثيم. فمُرني».

كان هذا حديث فرمني صريح بين أخوة السييتش.

أصدر عثيم إيماءة مهتزة، تكاد تفوق احتمال تلك الرقبة النحيلة. رفع يده اليسرى الملأى بالبقع الكبدية، وأشار إلى خراب وجهه. قال بصوت متحشرج: «أصبْتُ بمرض الانقسام في تاراهيل، يا أصول. مباشرة بعد النصر عندما كنا جميعاً...». بتر عبارته من جراء نوبة سعال.

قالت ضهوري: «ستجمع القبيلة ماءه قريباً». عبرت إلى عثيم، وسندت الوسائد وراءه، وأمسكت بكتفه لتثبته ريثما تمر نوبة السعال. لم تكن كبيرة في السن حقاً، لكن لمحة من الأمانى الضائعة طوّقت فمها، وتراكت المرارة في عينيها.

قال پول: «سأستدعي الأطباء».

استدارت ضهوري، يدها على وركها. «كان لدينا أطباء جيدون بنفس كفاءة أي طبيب يمكن أن تستدعيه». ألقَت بنظرة لا إرادية إلى الجدار الأجرد على يسارها.

فكر پول: والأطباء كانوا قطعاً مُكلفين.

شعر بالضيق، محاصراً بالرؤية، لكن مدركاً أن اختلافات طفيفة قد انسلت إلى المشهد. كيف يمكنه استغلال الاختلافات؟ خرج الزمن من شلته مع تغييرات طفيفة، لكن نسيج الخلفية كان يحمل تشابهاً ضاعطاً.

عرف بيقين رهيب أنه لو حاول التحرر من النمط الذي يُغلفه هنا، فسيطلق عنفًا هائلًا. القوة في هذا التدفق الرقيق بصورة مخادعة للزمن خنقه.

جأر: «قل ما تريد مني».

سألت ضهوري: «أليس من الجائز أن عثيم احتاج إلى صديق للوقوف بجانبه في هذا الوقت؟ هل على فدائي أن يسلم جسده إلى غرباء؟»

ذُكر پول نفسه: تشاركنا العيش في سييتش تبر. لديها الحق في عتابي على جفائي الظاهر.

قال پول: «سأفعل ما يمكنني فعله».

نوبة أخرى من السعال هزّت عثيم. عندما مضت، قال لاهتًا: «هناك خيانة يا أصول. مؤامرة فرمينة تُحاك ضدك». ثم تحرك فمه دون صوت. أفلت البصاق من بين شفثيه. مسحت ضهوري فمه بطرف رداثها، ورأى پول كيف كان وجهها ينضح بالغضب من هذا الهدر للرتوبة.

هدد غضب مشوب بالإحباط بالتغلب على پول حينذاك. هكذا سيقضي عثيم نحبته! استحق فدائي ما هو أفضل من ذلك. لكن لم يبق أي خيار - لا لأحد مفاوير الموت أو لإمبراطوره. ساروا فوق نصل أوكام⁽¹⁾ في هذه الغرفة. أبسط زلة ستضاعف الأحوال - ليس فقط على أنفسهم، ولكن على البشرية جمعاء، حتى على أولئك الذين يتآمرون لتدميره.

(1) نصل أوكام أو قانون التقدير: مبدأ لحل المشكلات ينص على أنه «لا ينبغي الإكثار من شيء إن لم تقتضِ الضرورة ذلك». (المترجم).

فرض پول الهدوء على ذهنه، ونظر إلى ضهوري. تعبير الشوق الرهيب الذي حدقت به إلى عثيم قوًى من عزيمة پول. قال لنفسه: لا يجب أن تنظر تشاني إليّ بهذه الطريقة أبداً. قال پول: «تحدثت ليشنا عن رسالة».

قال عثيم بصوت مبحوح: «قزمي. اشتريته في... في... في كوكب... نسيت اسمه. هو مُكوّد بشري، لعبة تخلى عنها التيلياكسو. سجّل كل الأسماء.. الخونة...». صمت عثيم، مرتجفاً.

قالت ضهوري: «بحديثك عن ليشنا. عندما أتيت، علمنا أنها وصلت إليك بسلام. لو كنت تفكر في العبء الجديد الذي يلقيه عثيم على كاهلك، فإن ليشنا مجمل ذلك العبء. اعتن بها. مبادلة عادلة يا أصول. خذ القزم واذهب».

قمع پول قشعريرة، وأغمض عينيه. ليشنا! هلكت الابنة الحقيقية في الصحراء، جثة دمرتها السموتا، وتركت في الرمال والرياح.

قال پول وهو يفتح عينيه: «كان بوسعك أن تأتي إلي في أي وقت من أجل...»

قالت ضهوري: «ابتعد عثيم عنك حتى يكون معدوداً من بين أولئك الذين يكرهونك يا أصول. البيت الواقع جنوبنا في نهاية الشارع، إنه مكان تجمع أعدائك. لهذا السبب سكنا هذا الكوخ». قال پول: «إذا استدعي القزم وسنرحل جميعاً».

قالت ضهوري: «لم تستمع جيداً».

قال عثيم، قوة عجيبة دبَّت في صوته: «يجب أن تأخذ القزم إلى مكان آمن. هو يحمل السجل الوحيد للخونة. لا أحد يرتاب في موهبته. يعتقدون أنني أحتفظ به من أجل التسلية». قالت ضهوري: «لا يمكننا المغادرة. فقط أنت والقزم. من المعروف.. كم نحن فقراء. قلنا إننا نبيع القزم. سيظنون أنك المشتري. هي فرصتك الوحيدة».

استشار پول ذكراه عن الرؤية: في الرؤية، كان يغادر هنا بأسماء الخونة، لكنه لم ير قط طريقة حمل هذه الأسماء. من الواضح أن القزم تحرك تحت حماية نبوءة أخرى. خطر على بال پول حينئذٍ أن جميع المخلوقات يجب أن تحمل نوعًا من المصير المختوم بغايات متفاوتة القوة، وبتريخ صنعه التدريب وحسن التصرف. منذ اللحظة التي اختاره فيها الجهاد، شعر بأنه محاصر من قوى شتى. أثقلته غاياتها الراسخة بالمطالب وسيطرت على مساره. أي أوهام حول الإرادة الحرة امتلكها لا بد أنها تتبدى الآن في صورة سجين يطرق على جدران قفصه. تكمن لعنته في حقيقة أنه رأى القفص. رآه!

استمع الآن إلى خواء هذا المنزل: أربعة فقط بداخله - ضهوري، وعتيم، والقزم، وذاته. استنشق خوف وتوتر رفاقه، وشعر بالمراقبين - قواته الخاصة تحوم في طائرات ثوبتر بعيداً في الأعلى.. وهؤلاء الآخرون... في البيت المجاور.

فكر پول: كنت مخطئاً في امتلاك الأمل. لكن التفكير في الأمل جلب له إحساساً ملتوياً بالأمل، وشعر بأنه لا يزال بوسعه اغتنام لحظته.

قال: «استدعي القزم».

نادت ضهوري: «بِجَاز».

«ناديتي؟» دخل القزم الغرفة من الفناء، وتعبير يقظ بالقلق يرتسم على وجهه.

قالت ضهوري: «لديك سيد جديد يا بِجَاز». حدقت إلى پول.
«يمكنك مناداته أصول».

قال بِجَاز مترجمًا: «أصول، هذا قاعدة العمود. كيف يمكن لأصول أن يكون قاعدة بينما أنا أدنى شيء حي».
اعتذر عثيم: «إنه يتحدث هكذا دائمًا».

قال بِجَاز: «أنا لا أتكلم. أنا أشغلُّ آلة تسمى اللغة. تصرُّ وتأوه. لكنها ملكي».

فكر پول: لعبة تليلاكسو، متعلمة ومنتبهة. لا يتخلص البني تليلاكس مطلقًا من شيء بهذه القيمة. التفت وتفرس القزم. بادلته أعين مزاج مستديرة النظرات.

سأل پول: «ما المواهب الأخرى التي تمتلكها يا بِجَاز؟»

قال بِجَاز: «أعرف متى يجب المغادرة. إنها موهبة يمتلكها قليل من الرجال. هناك وقت للنهايات- وهذه بداية جيدة. دعنا نبدأ بالذهاب، يا أصول».

فحص پول ذاكرة رؤيته: لا وجود لقزم، لكن كلمات الرجل الصغير تلائم الظروف.

قال پول: «عند الباب، ناديتي «مولاي». تعرفني إذًا؟»

قال بِجَاز مبتسمًا: «صرت مولى يا مولاي. أنت أكثر بكثير من القاعدة أصول. أنت الإمبراطور آترديز، پول المؤدب. وأنت إصبعي». رفع سبابة يده اليمنى.

انفعلت ضهوري: «بِجَاز، أنتِ تعبتِ بقدرِكِ».

زَعَقَ بِجَازٍ مَحْتَجًّا: «أنا أعبثُ بِإصبعي». أشار بِإصبعه إلى أصول. «أشير إلى أصول. هل إصبعي هي أصول نفسه؟ أم هل هي انعكاس لشيء أكثر دناءة؟» قَرَّبَ الإصبع من عينيه، وفحصها بابتسامة ساخرة، أولاً جانبًا ثم الآخر. «آه، إنه مجرد إصبع، بعد كل شيء».

قالت ضهوري، وصوتها مفعم بالقلق: «كثيرًا ما يثرثر بهذه الطريقة. أعتقد أن هذا هو سبب تخلي التليلاكسو عنه». قال بجاز: «لن أتلقى رعاية. لكن، لدي راعٍ جديد. كم هي غريبة طريقة عمل الإصبع». حدق في ضهوري وعثيم، عيناه مشرقتان على نحو غريب. «غراء ضعيف ربطنا يا عثيم. تمزقات صغيرة، وها نحن نفترق».

خشخشت أقدام القزم الضخمة على الأرض وهو يدور دورة كاملة، ويتوقف لمواجهة پول. «آه، أيها الراعي! لقد قطعْتُ شوطًا طويلًا لأجدك».

أوماً پول برأسه.

سأل بجاز: «ستكون طيبًا يا أصول. أنا شخص كما تعرف. البشر يأتون بأشكال وأحجام عديدة. وهذا ما هو إلا واحد منهم. أنا ضعيف العضلات لكن قوي الفم. إطعامي رخيص لكن ملئي مُكلّف. أفرغني كما تشاء، ومع هذا سيظل بداخلي أكثر مما وضعه الرجال هناك».

دمدمت ضهوري: «ليس لدينا وقت لألغازك الغبية. يجب أن تذهبًا».

قال بجاز: «أنا عامر بالأفغان، لكن ليست كلها غبية. أن تذهب يا أصول هو أن تكون بئدًا، نعم؟ دعنا نترك البائدين بئدين. نتحدث ضُهوري عن الحقيقة، ولدي الموهبة لسماعها أيضًا».

سأل پول: «لديك قدرة على معرفة الحقيقة؟» كان پول مصممًا الآن على انتظار حدوث رؤيته بحذافيرها. كل شيء أفضل من تحطيم هذه اللحظات وإحداث عواقب جديدة. بقيت هناك أشياء يجب أن يقولها عثيم إلا لو انحرف الزمن إلى قنوات أكثر رعبًا حتى.

قال بجاز: «لدي قدرة على «معرفة الآن»».

لاحظ پول أن القزم أصبح أكثر توترًا. هل كان الرجل الصغير على علم بالأشياء التي على وشك الحدوث؟ هل يمكن أن يكون بجاز نبوءته؟

سأل عثيم فجأة وهو ينظر إلى ضهوري بعينه السليمة: «هل استفسرت عن ليشنا؟»

قالت ضُهوري: «ليشنا في أمان».

أنزل پول رأسه، خشية أن يشي تعبير وجهه بالكذب. أمان! كانت ليشنا رمادًا في قبر سرّي.

قال عثيم معتبرًا رأس پول المنكس إيماءة موافقة: «هذا جيد إذًا. شيء واحد جيد بين كل الشرور يا أصول. لا يستهويني العالم الذي نصنعه، أتعلم ذلك؟ كان الحال أفضل عندما كنا وحدنا في الصحراء، والهاكنة عدونا الوحيد».

قال بجاز: «خط رفيع يفصل بين الكثير الأعداء والكثير من الأصدقاء. أين ينتهي هذا الخط، لا توجد بداية ولا نهاية. دعونا

نهي الأمر يا أصدقائي». انتقل إلى جانب پول، قدماه تتخبطان في نرفزة.

سأل پول محاولاً إطالة تلك اللحظات، مستثيراً القزم: «ما معنى القدرة على «معرفة الآن»؟»

قال بجاز وهو يرتجف. «الآن! الآن! الآن!» شد رداء پول. «دعنا نذهب الآن!»

قال عثيم، المحبة في صوته، وعينه السليمة تحديق إلى بجاز: «فمه لا يكف عن الثرثرة ولكن لا ضرر منه».

قال بجاز «حتى ثرثار يمكن أن يعطي الإشارة بالمفادرة. وكذلك الدموع. دعنا نذهب بينما الوقت يسبح بالبدء».

سأل پول: «بجاز، ما الذي تخشاه؟»

تمتم بجاز: «أخشى الروح التي تبحث عني الآن». تقصد العرق على جبهته. ارتعش خداه. «أخشى من لا يفكر ومن لن يكون له جسد سوى جسدي - وذلك الذي عاد إلى ذاته! أخشى الأشياء التي أراها والأشياء التي لا أراها».

فكر پول: القزم يمتلك بالفعل قدرة الاستبصار. شارك بجاز النبوءة المرعبة. هل شارك في مصير النبوءة أيضاً؟ ما مدى قوة قدرات ذلك القزم؟ هل كان لديه القليل من استبصار أولئك الذين انغمسوا في تاروت كتيب؟ أم أنه شيء أعظم؟ ما مقدار ما رآه؟

قالت ضهوري: «من الأفضل أن تذهباً. بجاز على حق».

قال بجاز: «كل دقيقة ننتظر فيها تطيل.. تطيل الحاضر!» فكر پول: كل دقيقة أنتظرها تُؤجل ندمي. أنفاس دودة سامة، أسنانها

تتقاطع منها الرمال، غمرته. حدث ذلك منذ زمن بعيد لكنه استنشق ذكراها الآن- رائحة الاسپايس والمرارة. كان يستطيع استشعار دودته تنتظر- «جرّة الصحراء».

قالت ضهوري: «يعرف الفرمن ماذا يفعلون في وقت الشدائد». وافق العثيم بإيماءة مهتزة.

نظر پول إلى ضهوري. لم يكن يتوقع امتناناً، كان ليُثقله أكثر مما يستطيع أن يتحمل لكن مرارة عثيم والاستياء الشديد الذي رآه في عيني ضهوري زلزل عزمته. هل كان أي شيء يستحق هذا الثمن؟

قالت ضهوري: «التأخير لا يخدم أي غرض».

قال عثيم بصوت مبجوح: «افعل ما عليك فعله يا أصول».

تهدد پول. قيلت كلمات الرؤية.

قال مُكَملاً العبارة: «سيكون هناك حساب».

استدار، وخرج من الغرفة، وسمع صفعات أقدام بجاز على الأرضية وراءه.

تمتم بجاز في أثناء مفادرتهم: «بائدون.. بائدون. دع البائدين يسقطون حيثما يستطيعون. كان هذا يوماً قذراً».

نمت الصياغة المعقدة للتشريعات حول فكرة ضرورة أن نخفي عن أنفسنا العنف الذي نعتزم تجاه بعضنا بعضاً. بين حرمان الرجل من ساعة من حياته وحرمانه من حياته كلها، لا يوجد سوى اختلاف في الدرجة. لقد آذيته، استهلكت طاقته. قد تخفي العبارات الملطّفة المتقنة نيتك في القتل، ولكن وراء أي استخدام لقوة على أخرى، يبقى الافتراض النهائي: «أنا أتغذى على طاقتك».

«ملحق بفرمانات المجلس»

لِلإمبراطور پول المؤدّب

ربض القمر الأول عاليًا فوق المدينة لحظة ظهور پول من الشارع المسدود، درعه المُفَعَّل، متوهجًا من حوله. هبّت ريح من النجد مثيرة الرمال والغبار في الشارع الضيق، ما أرغم بجاز على أن يطرف بعينه، ويحميها بذراعه. تمتم القزم: «يجب أن نسرع. عَجِّلْ! عَجِّلْ!»

سأل پول مستفسرًا: «هل تستشعر الخطر؟»

«أعرف الخطر».

إحساس مفاجئ بخطر قريب جدًا داهم پول، وتبعه على الفور تقريبًا خيال شخص انضم إليهما خارجًا من أحد الأبواب. جثم بجاز وهو يئن. كان ستيلجار فحسب، يتحرك مثل آلة حرب، رأسه مصوبًا إلى الأمام، وقدمه تطلأ أرضية الشارع بقوة. شرح

بول بسرعة قيمة القزم، وسلّم بجاز إلى ستيلجار. تحركت وتيرة الرؤية هنا بسرعة مهولة. انطلق ستيلجار بعيداً برفقة بجاز. طوّق حراس الأمن بول. صدرت الأوامر بإرسال الرجال في الشارع إلى منزل الخونة خلف منزل عثيم. سارع الرجال إلى التنفيذ، ضلال وسط ضلال.

فكّر بول: *المزيد من التضحيات.*

هتف أحد ضباط الحرس: «نريد سجناء أحياء».

كان الصوت صدى-رؤية في أذني بول. تحركت الرؤية/الواقع حينذاك بدقة متناهية، لحظة بلحظة. حلقت طائرات الأورنيثوبتر فوق القمر.

كانت الليلة ملأى بالجنود الإمبراطوريين المهاجمين. نما فحيح ناعم من أصوات أخرى، وعلا حتى صار زئيراً في حين كانوا لا يزالون يسمعون صفير الطائرات. تبعه توهج بلون الطين المحروق، أخفى النجوم وابتلع القمر. شعر بول، متعرّفاً على هذا الصوت والتوهج من اللمحات الكابوسية الأولى لرؤيته، بإحساس غريب بالإنجاز. سارت بالطريقة التي يجب أن تسير بها.

صرخ أحدهم: «حارق صخور!»

كان الصراخ من كل مكان حوله: «حارق صخور.. حارق صخور.. حارق صخور».

لأن الرؤية كانت تتطلب منه ذلك، ألقى بول ذراعاً واقية على وجهه، وقفز نحو الحافة المنخفضة لرصيف. فأت الأوان بالطبع. في مكان منزل عثيم، يقف الآن عمودٌ من النار، انفجار يغشي الأبصار، ويهدر في السماء. انبعث عنه تألق قدر قذف بكل حركة

للرجال المقاتلين والفارين، والتقهقر المائل لطائرات الأورنيثوبتر إلى سكون تام.

فات الأوان على كل فرد في هذا الحشد المحموم.

زادت سخونة الأرض من تحت پول. سمع صوت توقف الركض. ألقى الرجال بأنفسهم من حوله، كل واحد منهم يعلم في دخيلة نفسه أنه لا جدوى من الركض. وقع الضرر الأول. والآن عليهم انتظار مدى قوة حارق الصخور. إشعاع ذلك الشيء، الذي لا يستطيع أحد أن يفوق سرعته، قد اخترق أجسادهم بالفعل. كان الأثر الغريب لإشعاع حارق الصخور يعمل بالفعل فيهم. ما يمكن أن يفعله هذا السلاح بخلاف ذلك، يكمن الآن في تخطيط الرجال الذين استخدموه، الرجال الذين خرقوا الاتفاقية العظمى التي تحرّم استخدامه.

نشج أحدهم: «يا إلهي.. حارق صخور. لا...أريد... أن... أصبح... أعمى».

أتى الصوت الأجش لجندي بعيد في الشارع: «من يريد ذلك؟»
جأر أحدهم بالقرب من پول: «سيبيع التليلاكسو الكثير من الأعين هنا. الآن احرصوا وانتظروا!».
انتظروا.

ظل پول صامتًا، يفكر في مغزى استعمال هذا السلاح. الكثير من الوقود الذري فيه ومع ذلك شق طريقه إلى قلب الكوكب. كانت درجة الانصهار على كثيب مرتفعة، لكن هنالك خطورة أكبر من ذلك. مثل تلك الانضغاطات المنطلقة من حارق الصخور، والخارجة عن السيطرة قد تؤدي إلى انقسام الكوكب، وتبعثر شظايا وأجزاء هامة منه في الفضاء.

قال أحدهم: «أعتقد أنه يخمد قليلاً».

حذر پول: «إنه يحضر أعمق فحسب. ابقوا في مكانكم جميعاً. سيرسل ستيلجار المساعدة».

«ستيلجار أفلت من الانفجار؟»

«ستيلجار أفلت منه».

اشتكى أحدهم: «الأرض ساخنة».

احتج جندي بالقرب من پول: «يجرؤون على استخدام الأسلحة الذرية!»

قال أحدهم في الشارع: «الصوت يتضاءل».

تجاهل پول الكلمات، وركز على أطراف أصابعه الراقدة على أرض الشارع. يمكن أن يشعر بقرقرة -تدحرج الشيء- عميقاً.. عميقاً.

صرخ أحدهم: «عينايا! لا أستطيع أن أرى».

فكر پول: أحدهم كان أقرب إليه مني. لا يزال بإمكانه أن يرى حتى نهاية الشارع المسدود عندما رفع رأسه، بيد أن غشاوة أحاطت بالمشهد. توهج أحمر- أصفر ملأ المنطقة حيث كان منزل عثيم وجاره. صنعت كتل من البيوت المتلاصقة أشكالاً داكنة في حين أخذت تتداعى إلى كومة مُشعّة.

وقف پول على قدميه. شعر أن حارق الصخور يضمحل، الصمت يعمّ تحته. كان جسده مبللاً بالعرق في مقابل نعومة بذلة التقطير - الكثير من العرق يفوق قدرة البذلة على الاستيعاب. حمل الهواء الذي استنشقه إلى رئتيه حرارة الحارق ورائحته الكبريتية اللاذعة.

عندما نظر إلى الجنود الذين بدؤوا بالوقوف من حوله، تلاشت الغشاوة في عيني پول وحل محلها ظلام دامس. استدعى رؤيته النبوية لهذه اللحظات، ثم استدار وسار على طول المسار الذي نحته الزمن له، وثبتت نفسه في الرؤية بإحكام بحيث لا يستطيع الهروب. شعر بأنه أصبح مدركاً هذا المكان باعتباره ملكية للعديد من الأشخاص، واقفاً مُلتحماً بالتبؤ.

تعالت أنات وآهات جنوده في كل مكان من حوله عندما أدرك الرجال عما هم.

صرخ پول. «اعتصموا. المساعدة قادمة!» ومع استمرار الشكوى قال: «هذا المؤدّب! أنا آمركم أن تعتصموا، المساعدة آتية!».

ران الصمت.

ثم، تماشياً مع رؤيته، قال أحد الحراس القريبين: «هل هو الإمبراطور حقاً؟ أي منكم يستطيع أن يرى؟ أخبروني.» قال پول: «لا أحد منا يمتلك عيوناً. أخذوا عيني أيضاً، لكن ليس رؤيتي. أستطيع أن أراك تقف هناك، يوجد جدار متسخ على مسافة قريبة من يسارك. انتظر الآن بشجاعة. ستيلجار آت مع أصدقائنا.»

نما هدير العديد من الثوبترات أعلى فأعلى في كل مكان. ثم علا صوت أقدام متسارعة. شاهد پول أصدقاءه آتون، تتطابق أصواتهم مع رؤيته النبوية.

هتف پول وهو يلوح بذراعه. «ستيلجار! هنا!»

صرخ ستيلجار وهو يركض إلى پول: «شكرًا لك أيها الشي هولود. أنت لست...»

في الصمت المفاجئ، أظهرت الرؤية إلى پول ستيلجار وهو يحدق إليه، وتعبير مُعذّب موجه إلى الأعين المدمّرة لصديقه وإمبراطوره. تأوه ستيلجار: «أوه، يا مولاي. أصول... أصول... أصول...»

صاح أحد القادمين الجدد: «وماذا عن حارق الصخور؟»
قال پول رافعًا صوته: «انتهى». أشار بيده. «انهض الآن وأنقذ أقرب الناس إليه. ضع حواجز. هيا الآن!»
استدار إلى ستيلجار.

سأل ستيلجار، التعجب في لهجته: «هل ترى يا مولاي؟ كيف يمكنك أن ترى؟»

كإجابة مد پول إصبعًا ولمس خد ستيلجار فوق مرشح فم بذلة التقطير، وشعر بالدموع المنحدرة. قال پول: «لا داعي لإعطائي أي رطوبة، يا صديقي القديم. أنا لست ميتًا.»
«لكنّ عينيك!»

قال پول: «أعموا جسدي، لكن ليس رؤيتي. آه، يا ستيل، أنا أعيش في حلم مروع. تتلاءم خطواتي مع الرؤية على وجه الدقة لدرجة أنني أخشى أكثر من أي شيء أنني سأشعر بالضجر من إعادة عيش الشيء نفسه بحذافيه.»
«أصول، أنا لا، أنا لا...»

«لا تحاول فهم ذلك. اقبله. أنا في عالم يتجاوز حدود هذا العالم هنا. بالنسبة إليّ، هما نفس الشيء. لا أحتاج إلى يد

لإرشادي. أرى كل حركة من حولي. أرى كل تعابير وجهك. ليس لدي عينان، لكنني أرى».

هز ستيلجار رأسه بحدة. «سيدي، يجب أن نخفي مصيبتك عن -»

قال پول: «لن نخفيها عن أي أحد».

«لكن القانون...»

«نحن نعيش وفقاً لقانون آتريديز الآن، يا ستيل. قانون الفرمن بوجود هجر الأعمى في الصحراء ينطبق فقط على العميان. أنا لست أعمى. أنا أعيش في دائرة الوجود حيث لحرب الخير والشر حلبتها. نحن أمام نقطة تحول في تعاقب العصور، ولدينا أدوارنا لنلعبها».

في سكون مفاجئ، سمع پول أحد الجرحى يُساق من أمامه. تأوه الرجل: «كان الأمر فظيماً، غضبة شديدة من النار».

قال پول: «لن يؤخذ أي من هؤلاء الرجال إلى البرية. هل تسمعي يا ستيل؟»

«أنا أسمعك يا مولاي».

«سيُزودون بأعين جديدة على نفقتي».

«سمعاً وطاعة يا مولاي».

عندما سمع پول الرهبة المتنامية في صوت ستيلجار، قال: «سأكون على متن ثوبتر القيادة. تولى المسؤولية من هنا».

«حسناً يا مولاي».

خطا پول حول ستيلجار، ومشى في الشارع. أخبرته رؤيته بكل حركة وكل عثرة تحت قدميه وكل وجه واجهه. أصدر الأوامر

في أثناء تحركه، مشيرًا إلى رجال من حاشيته الشخصية، مناديًا
إياهم بالأسماء، واستدعى إليه ممثلي جهاز حكومته المقربين.
كان يشعر بأن الرعب يتنامى وراءه، همسات مرعوبة.
«عيناه!»

«لكنه نظر إليك مباشرة، وناداك باسمك!»

داخل ثوبتر القيادة، أبطل درعه الشخصي، ومد يده نحو لوحة
التحكم، والتقط الميكرفون من يد ضابط الاتصالات المذهول،
وأعطى مجموعة سريعة من الأوامر، قبل أن يقذف الميكرفون
إلى يد الضابط. استدار پول واستدعى خبير أسلحة، من إحدى
السلالات الجديدة، عبقرى ومتحمس، ولا يتذكر حياة السييتش
إلا على نحو باهت فقط.

قال پول: «استخدموا حارق الصخور».

بعد مدة صمت قصيرة، قال الرجل: «ذلك ما قيل لي يا
مولاي».

«أنت تعرف ماذا يعني ذلك بالطبع».

«لا يمكن أن يكون الوقود المستخدم إلا وقودًا ذريًا».

أوماً پول برأسه، وهو يفكر في الكيفية التي لا بد أن الأفكار
تتسارع بها داخل عقل هذا الرجل. أسلحة ذرية. الاتفاقية
العظمى تحظر استعمال مثل هذه الأسلحة. اكتشاف الجناة
من شأنه أن يوحد الهجوم الانتقامي المشترك للبيوت الكبرى.
ستتسى العداوات القديمة وتتحى جانبًا في مواجهة هذا التهديد
والمخاوف القديمة التي أثارها.

قال پول: «لا يمكن تصنيعها دون ترك بعض الآثار. سوف

تجمع المعدات المناسبة وتبحث عن مكان صنع حارق الصخور». «في الحال يا سيدي». ألقى الرجل نظرة خائفة أخيرة إلى پول، ثم هرول مبتعدًا.

غامر ضابط الاتصالات من ورائه وقال: «مولاي، عيناك...» استدار پول، ومد يده إلى لوحة التحكم في الثوبتر، وأعاد مجموعة أوامر القيادة إلى إعداداته الشخصية. أمر: «اتصل بتشاني. أخبرها... أخبرها أنني على قيد الحياة وسأكون برفقتها قريبًا».

فكّر پول: الآن تتجمع القوى. ولاحظ مدى قوة رائحة الخوف في العرق المنتشر في كل مكان حوله.

قد رحل عن عالية،
رحم الجنة!
مقدس، مقدس، مقدس!
فراسخ من الرمل والنار
واجهت مولانا.
يستطيع أن يرى
بلا عينين!
شيطان جثم فوقه!
مقدس، مقدس، مقدس!
معادلة:
وجد حلًا
للاستشهاد!

«القمر يسقط» من «أغاني المؤدّب»

بعد سبعة أيام من النشاط المحموم المشع، ساد الحصن الإمبراطوري هدوء غير طبيعي. في هذا الصباح، كان هناك أشخاص في الأرجاء، لكنهم تحدثوا في همس، رؤوسهم متقاربة، وساروا بخفة. هرول البعض بمشية خاطفة غريبة. أثار مشهد أحد الحراس قادمًا من بلاط القلعة الأمامي نظرات استفهام وتجهمات بسبب الضوضاء التي جلبها الوافدون الجدد برفقته بصوت خطواتهم الثقيلة وتدججهم بالأسلحة. غير

أن القادمين الجدد لاحظوا المزاج العام بالداخل، وبدؤوا التحرك
بهذه المشية الخاطفة.

كان الحديث عن حارق الصخور لا يزال منتشرًا في الأنحاء:
«قال إن النار كانت مخضبة بالأزرق والأخضر، وتفوح منها
رائحة الجحيم».
«إلبا الأحمق! يقول إنه سينتحر بدلاً من أن يقبل أعين
تليلاكسو».

«أمقت الحديث عن الأعين».
«مر بي المؤدّب وناداني بالاسم!»
«كيف يرى بلا عينين؟»
«الناس يرحلون، هل سمعت؟ يوجد خوف كبير. يقول النواب
إنهم ذاهبون إلى سييتش مآكاب لحضور مجلس موسّع».
«ماذا فعلوا بالمدّاح؟»
«رأيتهم يأخذونه إلى الغرفة حيث سيجتمع النواب. تخيل كربة
سجيناً».

نهضت تشاني مبكرًا، وقد أيقظها السكون المخيم على
الحِصن. عند استفاقتها، وجدت پول جالسًا بجانبها، محجراه
الفارغان مثبتان صوب مكان عديم الشكل وراء الجدار البعيد
لحجرة النوم. مع الدمار الذي تسبّب فيه حارق الصخور
-المعروف بانجذابه الخاص لأنسجة العين- لپول، فقد أُزيل
كل اللحم التالف. وأنقذت الحقن والمراهم اللحم الأقوى حول
المحجرين، لكن تشاني شعرت بأن الإشعاع قد تغفل أعمق مما
يبدو.

استولى عليها جوع شره فيما تعطل في جلستها. كانت تتغذى على الطعام الذي تحتفظ به بجانب السرير - خبز الاسپايس، وجبن ثقيل.

أشار پول إلى الطعام. «يا حبيبتي، لم تكن هناك طريقة لتجنيبك هذا. صدقيني».

تجمدت تشاني من جراء رعشة داهمتها عندما صوّب پول تلك المحاجر الفارغة إليها. تخلت عن طلب إيضاح منه. تحدث بغرابة شديدة: «تعمّدت على الرمال وكلفني ذلك مَلَكَة الإيمان. من الذي يتاجر في الأديان بعد الآن؟ من سيشتري؟ من سيبيع؟» ماذا يمكن أن يقصد بمثل هذه الكلمات؟

رفض حتى التفكير في أعين التليلاكسو، رغم أنه اشتراها بيد سخية للرجال الذين شاركوه معاناته.

بعد أن أشبعت جوعها، انزلقت تشاني من السرير، ونظرت إلى پول ثانية، ولاحظت تعبه. خطوط قائمة تؤطر فمه. انتصب شعره الداكن، أشعث من نوم لم يشفيه. تراءى لها عَكر المزاج ومنعزلاً جداً. التناوب بين اليقظة والنوم لم يفعل شيئاً لتغيير هذا. أجبرت نفسها على الاستدارة بعيداً عنه، همست: «حبيبي... حبيبي...» انحنى إلى الأمام، وسحبها ليعيدها إلى السرير. قبّل خديها. همس: «سنعود قريباً إلى صحرائنا. لم يتبق سوى قليل من الأشياء التي يتعين القيام بها هنا».

ارتجفت من نبرة الحسم في صوته. شد ذراعيه حولها، وغمغم: «لا تخافيني يا سيهيا. انسي الغموض واقبلي الحب. لا غموض في الحب. يأتي الحب من الحياة. ألا يمكنك الشعور بذلك؟»

«نعم».

وضعت راحة يدها على صدره، وراحت تحسب دقات قلبه. صرخ حبه منادياً رُوحَ الفِرمَن بداخلها - غزيراً وفاضاً، ووحشياً. لفتها قوة مغناطيسية.

قال: «أعدك بشيء، يا حبيبتي. سيحكم طفلنا إمبراطورية سوف تتلاشى إمبراطوريتي أمامها بالمقارنة بها. مثل هذه الإنجازات في المعيشة والفن...»

احتجت منازعة بكاء جافاً: «نحن هنا الآن... أشعر أن لدينا القليل جداً... من الوقت».

«لدينا الأبدية، يا محبوبتي».

«قد يكون لديك أنت الأبدية. لكن لدي أنا الآن فقط»

«ولكن هذه أبدية». مسد جبهتها. ضغطت جسمها في مقابله، وطبعت شفيتها على عنقه. أثار الضغط الحياة في رحمها. شعرت بها تتحرك. شعر بول بها أيضاً. وضع يده على بطنها، وقال: «آه، أيها الحاكم الصغير للعالم، انتظر زمانك. هذه اللحظة ملكي».

تساءلت حينذاك لماذا تحدث دائماً عن الحياة بداخلها على أنها فردية. ألم يخبره الأطباء؟ فتشت مرة أخرى في ذاكرتها، وهي تشعر بالفضول لأن الموضوع لم يثر بينهما. بالتأكيد، يجب أن يعرف أنها تحمل توأماً. ترددت في طرح هذا السؤال. يجب أن يعرف. كان يعرف كل شيء. كان يعرف كل الأشياء التي تخصها. يدها وفمه - كل شيء فيه يعرفها.

قالت عائدة بأفكارها إلى الحاضر: «أجل يا حبيبي. هذا أبدية.. هذا حقيقي». وأغمضت عينيها بإحكام خشية أن ينتزع

مرأى المحاجر المعتمة روحها من الجنة إلى الجحيم. مهما كان
السحر الريحاني الذي شَفَّرَ به حياتهما، ظل جسده حقيقيًا، ولا
يمكن إنكار ملاطفاته.

عندما نهضا لارتداء الثياب من أجل اليوم، قالت: «لو عرف
الناس حبك فقط...»
تغيَّر مزاجه.

قال: «لا يمكنكِ بناء السياسة على الحب. الناس لا يهتمون
بالحب. إنه شيء فوضوي ومتقلب جدًا. إنهم يفضلون الاستبداد.
الحرية المفرطة تولد الفوضى. لا يمكننا الحصول على ذلك، هل
يمكننا؟ وكيف تجعلين الاستبداد محبوبًا؟»

احتجت وهي تربط شالها: «أنت لست مستبدًا! قوانينك
عادلة».

قال: «آه، القوانين». عبر إلى النافذة، وسحب الستائر كما
لو كان بإمكانه النظر إلى الخارج. «ما هو القانون؟ السيطرة؟
القانون يفلتر الفوضى، وما الذي يقطر من خلاله؟ السكنية؟
القانون - أعلى نماذجنا وأبسط طباعنا. لا تتظري من كذب شديد
إلى القانون. افعلي، وستجدين التفسيرات التبريرية، والسفسطة
القانونية، وسوابق المواءمة. ستجدين السكنية، التي هي مجرد
مرادف آخر للموت».

أطبقت تشاني شفيتها في خط رفيع. لم تستطع إنكار حكمته
وفطنته، لكن هذه الحالة المزاجية أخافتها. انقلب إلى داخل
نفسه وشعرت برحى حروب داخلية. كان الأمر كما لو أنه أخذ
قاعدة الفرمن، «لا تسامح أبدًا - لا تنس أبدًا»، وجلد جسده بها.

عبرت إلى جانبه، وحدقت أمامه بزاوية. بدأت الحرارة المتزايدة لليوم في جرّ الرياح الشمالية خارج خطوط العرض المحمية. رسمت الريح سماء زائفة مملوءة بريش مُفَرَّة وألواح من الكريستال، تصاميم غريبة باللونين الذهبي والأحمر المتدفقين. مرتفعة وباردة، اقتحمت الرياح الجدار الحامي مصحوبة بدوامات غبار.

شعر پول بدفء تشاني بجانبه. لبرهة أسدل ستارة من النسيان فوق رؤيته. ربما كان يقف هنا فحسب وعيناه مغمضتان. مع ذلك، رفض الزمن الوقوف ساكناً بجانبه. استنشق الظلام - بلا نجوم، بلا دموع. أذابت محنته الجوهر حتى لم يتبق سوى الدهشة من الطريقة التي تكثفت بها الأصوات وتزاحمت في عالمه. كل شيء من حوله يتكئ على حاسة السمع التي يشعر بها، وتراجع فقط عندما يلمس الأشياء: قماش الستائر، يد تشاني... ألقى نفسه يستمع إلى أنفاس تشاني.

سأل نفسه: أين كان شعور انعدام الأمان المرتبط بالأشياء المحتملة فقط؟ كان عقله يحمل عبئاً كبيراً من ذكريات مشوّهة. لكل لحظة من الواقع امتدادات لا حصر لها، وأشياء مقدر لها ألا تكون أبداً. تتذكر ذات غير مرئية بداخله صوراً زائفة من الماضي، حملها يهدده أحياناً بأن يطفى على الحاضر. مالت تشاني إلى ذراعه.

شعر بجسده من خلال لمستها: لحم ميت تحمله دوامات الزمن. تفوح منه رائحة كريهة لذكريات لمحت الأبدية. رؤية الأبدية تعني مواجهة نزواتها مُثَقَلًا بأبعاد لا نهائية. تطلب

الخلود الزائف للنبوءة قصاصًا رادعًا: أصبح الماضي والمستقبل متزامنين.

مرة أخرى، تجلت الرؤية من حفرتها السوداء، وسيطرت عليه. كانت عينيه. حرَّكت عضلاته. أرشدته إلى اللحظة التالية، الساعة

التالية، اليوم التالي... حتى شعر بأنه هناك دائمًا!

قالت تشاني: «حان الوقت للذهاب. المجلس...»

«عالية ستكون هناك لتقف في مكاني.»

«هل تعرف ماذا ستفعل؟»

«تعرف.»

بدأ يوم عالية بتدفق سرب حراسة إلى ساحة الموكب أسفل جناحها. حذقت إلى مشهد مشوب بارتباك محموم، وثرثرة صاحبة ومهيبة. أصبح المشهد مفهومًا فقط عندما تعرفت على السجين الذي جلبوه: كُرية المدّاح.

ذهبت إلى الحمام للاغتسال الصباحي، متحركة من حين لآخر إلى النافذة، تراقب تنامي نفاذ الصبر هناك. ظلت نظراتها تشرد إلى كُرية. حاولت أن تتذكره بصفته القائد الخشن والملتحي للموجة الثالثة في معركة أراكين. كان مستحيلًا. بات كُرية شخصًا نظيفًا ومهنيًا يرتدي الآن رداء من حرير محبوبًا على نحو رائع. كان الرداء مفتوحًا عند الخصر، كاشفًا عن طوق مفسول بشكل جميل ومعطف تحتي مطرز ومرصع بالأحجار الكريمة الخضراء. أحاط حزام أرجواني بالخصر. حيكت الأكمام التي تمتد من خلال فتحتي ذراعي الرداء على شكل حواف مجدولة من المخمل الأخضر الداكن والأسود.

جاء عدد قليل من النواب لمراقبة المعاملة التي يتلقاها زميل فرمني. أثاروا ضجة، ما حفز كُربة على الاحتجاج مدعيًا براءته. حركت عالية نظرتها عبر وجوه الفرمن، في محاولة لاستعادة ذكريات الرجال الأصليين. طمس الحاضر الماضي. أصبحوا جميعًا من الساعين وراء الملذات، ومجريبي متع لا يستطيع معظم الرجال حتى تخيلها.

كانت نظراتهم المضطربة، كما رأت، تشرذ في كثير من الأحيان إلى المدخل المؤدي إلى الغرفة حيث سيجتمعون. كانوا يفكرون في الرؤية العمياء للمؤدّب، تجسيد جديد للقدرات الغامضة. بموجب قانونهم، يجب نبذ الرجل الأعمى في الصحراء، والتخلي عن مياهه للشبي هولود لكن المؤدّب رآهم بلا أعين. مقتوا المباني أيضًا، وشعروا بضعفهم في الفضاء المبني فوق الأرض. امنحهم كهفًا مناسبًا مقطوعًا من الصخر، ثم سيمكنهم الاسترخاء - لكن ليس هنا، ليس مع هذا المؤدّب الجديد الذي ينتظر في الداخل. عندما استدارت لتهبط إلى الاجتماع، رأت الرسالة التي تركتها على مائدة بجانب الباب: آخر رسالة وردتها من والدتها. رغم التبجيل الخاص لكلا دان كمكان ولادة پول، أكدت الليدي چيسिका رفضها جعل كوكبها مكانًا يمرُّ به الحج.

كتبت: «لا شك أن ابني شخصية تاريخية فارقة، لكن لا يمكنني أن أرى هذا كذريعة للخضوع لفرز الغوغاء».

لمست عالية الرسالة، وساورها إحساس غريب بالتواصل المشترك. كانت هذه الورقة بين يدي والدتها. يا لها من أداة عتيقة، الرسالة - ولكنها شخصية وحميمية بطريقة لا يمكن

لأي تسجيل متطور تحقيقها. مكتوبة بلغة معارك آترديز، مثلت الرسالة سرية اتصال شبه منيعة.

التفكير في والدتها أصاب عالية بالتشويش الداخلي المعتاد. أجبرها تأثير الاسپايس الذي مازج نفسية الأم وابنتها في بعض الأحيان على التفكير في پول على أنه ابن ولدته هي. كبسولة- عقدة الواحدية التي منحتها كل ذكريات أمها يمكنها أن تصور والدها لها كعاشق. ظلال أشباح قفزت في ذهنها، أناس محتملون. راجعت عالية الرسالة في ذهنها وهي تسير فوق المنحدر إلى غرفة المجلس حيث كانت حارساتها الأمازونيّات ينتظرن.

كتبت جيسيكاً: أنتم تتجرون تناقضاً قاتلاً. لا يمكن للحكومة أن تكون دينية وحازمة في نفس الوقت. تحتاج التجربة الدينية إلى عفوية تلغيها القوانين حتماً. ولا يمكن الحكم من دون قوانين. يجب أن تحلّ قوانينك في النهاية محل الأخلاق، وأن تستبدل الضمير، وحتى الدين بما تعتقدون أنك بحاجة إليه للحكم. يجب أن تتبع الطقوس المقدسة من المديح والأشواق المقدسة التي تؤدي إلى نشوء أخلاقيات هامة. من ناحية أخرى، تعدّ الحكومة كائنًا ثقافيًا جذابًا بشكل خاص للشكوك والأسئلة والخلافات. أرى اليوم وجوب أن تحل المراسم محل الإيمان، والرمزية محل الأخلاق».

استقبلت عالية رائحةً قهوة الاسپايس في الغرفة. انتهت أربعة حارسات أمازونيّات تلبسن أردية حراسة خضراء عندما دخلت. سرن وراءها بخطى ثابتة مستعرضات شبابهن، وأعينهن متيقظة لأي متاعب. كانت لديهن وجوه متحمسة لم تمسها الرهبة. شعّت

منهن شراسة فرمسية: يمكن أن يقتلن بشكل عرضي دون أي شعور بالذنب.

فكرت عالية: في هذا الشأن أنا مختلفة. اسم آل آترينيز ملطخ بما يكفي بالأوساخ من دون ذلك.

الكلمة سبقتها. اندفع حارس مترقب عندما دخلت القاعة السفلية، وركض لاستدعاء فرقة الحراسة بالكامل. القاعة ممتدة من دون نوافذ، كئيبة، مضاءة فقط بعدد قليل من كرات الإنارة الخافتة. فجأة، انفتحت أبواب ساحة الموكب على مصراعيها في الطرف البعيد سامحة بدخول ضوء النهار الساطع. تمايل الحرس، وكربة في وسطهم، داخلين مرمى رؤيتها من الخارج والضوء من خلفهم.

سألت عالية: «أين ستيلجار؟»

قالت إحدى الأمازونيات: «في الداخل بالفعل».

قادت عالية الطريق إلى داخل الغرفة. كانت واحدة من أكثر قاعات الاجتماع فخامة في الحصن الإمبراطوري. شرفة مرتفعة، مجهزة بصفوف من المقاعد الوثيرة تشغل جانباً واحداً. على الجانب الآخر من الشرفة، سُحِبَت الستائر البرتقالية عن النوافذ الطويلة. وتدفق سنا الشمس الساطع من مساحة مفتوحة تضم حديقة ونافورة. في الطرف القريب من الغرفة على يمينها كانت تقف منصة فوقها كرسي ضخم واحد.

تحركت عالية إلى المقعد، ثم نظرت إلى الخلف وإلى الأعلى، وشاهدت القاعة مملأى بالنواب الفرمن.

احتشد حراس القلعة في المساحة المفتوحة أسفل القاعة،

وكان ستيلجار يتنقل بينهم، ملقياً كلمة هادئة هنا، وأمرًا هناك. لم يمنح أي إمارة على أنه رأى عالية تدخل. أدخل كُربة وأُجس على طاولة منخفضة بجانبها وسائد على أرضية الغرفة أسفل المنصة. رغم أناقته، عكس المدّاح الآن مظهر رجل عجوز ناعس كالح، منكمش في ثيابه في مواجهة البرد القادم من الخارج. اتخذ اثنان من الحراس موقعيهما خلفه. اقترب ستيلجار من المنصة في حين جلست عالية.

سأل: «أين المؤدّب؟»

قالت عالية: «فوضني أخي للرئاسة كوني أمًا موقرة».

عند سماع ذلك، بدأ النواب في القاعة يرفعون أصواتهم احتجاجًا. أمرت عالية: «الصمت!» ثم في الهدوء المفاجئ المخيم، قالت: «ألا ينص قانون الفرمن على أن تترأس أم موقرة الاجتماع عندما يتعلق الأمر بالحياة والموت؟»

مع تغلغل خطورة بيانها بين الحضور، حلّ السكون على النواب. لكن عالية لاحظت نظرات غاضبة انتشرت فوق بعض الوجوه. سمّتهم في ذهنها للمناقشة في المجلس - هوبارس، وراچيفيري، وتاسمين، وساجد، وأمبو، وليجّ.. حملت الأسماء قطعًا من كتيب بداخلها: سييتش أومبو، وحوض تاسمين، وأخدود هوبارس... وجهت انتباهها إلى كُربة.

عندما لاحظ انتباهها، رفع كُربة ذقنه، وقال: «أطالب ببراءتي».

قالت عالية: «ستيلجار، اقرأ التهم».

فرد ستيلجار لفافة من ورق الاسپايس البني، وتقدم إلى الأمام. بدأ بالقراءة، نضارة مهيبة في صوته كأنه يساير إيقاعات

خفية. أعطى الكلمات صفة قاطعة، واضحة وملأى بالنزاهة:
«.. أنك قد تأمرت مع الخونة لتدمير مولانا وإمبراطورنا..
أنك قابلت في سرية دنيئة أعداء شتى للمملكة.. أنك...»
ظل كُربة يهز رأسه، تلعو وجهه نظرة غضب متألمة.
استمعت عالية بتجهم، وذقنها مغروس فوق قبضتها اليسرى،
ورأسها مائل إلى اليسار أيضًا، والذراع الأخرى ممتدة على طول
ذراع الكرسي. بدأت أجزاء من الإجراء الرسمي بالتسرب من
وعبها، تغطي عليها مشاعر اضطراب خالجتها.
«... التقليد المُبجَّل... دعم الفيالق والفرمن في كل مكان...
مواجهة العنف بالعنف حسب القانون... جلاله الشخص
الإمبراطوري... مصادرة جميع الحقوق...»
فكرت: ذلك هراء. هراء! كل ذلك - هراء... هراء... هراء...
أنهى ستيلجار: «وبموجب كل ذلك، تُعرض القضية على
المجلس من أجل إصدار حكم».
في الصمت الفوري، اهتز كُربة إلى الأمام، يدها ممسكتان
بركبتيه، ووريد رقبتة بارز كما لو كان يستعد للقفز إلى الخارج.
تحرك لسانه بين أسنانه وهو يتكلم: «لم أحن نذور الفرمن لا
بالقول أو بالفعل! أطالب بمواجهة مُتهمي».
فكرت عالية: احتجاج بسيط بما فيه الكفاية.
ورأت أنه كان له تأثير كبير في النواب. كانوا يعرفون كُربة.
كان واحدًا منهم. لكي يصبح نائبًا، فقد أثبت شجاعته وحيطته
الفرمنية. كُربة ليس عبقرًا لكنه جدير بالثقة. ربما ليس أهلاً
لقيادة جهاد ولكنه اختيار جيد كضابط إمداد. ليس محاربًا
صليبيًا، لكنه يعتز بفضائل الفرمن القديمة: القبيلة فوق كل شيء.

اجتاحت كلمات عثيم المريرة، كما تلاها عليها پول، ذهن عالية. مسحت القاعة بعينيها. قد يرى أي من هؤلاء الرجال نفسه في مكان كُربة- بعضهم لسبب وجيه. لكن النائب البريء كان خطيراً هنا كالمذنب.

استشعر كُربة ذلك أيضاً. طالب: «من يتهمني؟ لدي حق فرمني في مواجهة مُتهمي». قالت عالية: «ربما تتهم نفسك».

قبل أن يتمكن من إخفاء ذلك، ارتسم رعب صوفي لمدة وجيزة على وجه كُربة. كان هناك ليقراه أي أحد: بقدراتها، لم يكن على عالية إلا أن تتهمه بنفسها، قائلة إنها جلبت الأدلة من منطقة الظل، عالم المثال.

ضغطت عالية قائلة: «لأعدائنا حلفاء من الفرمن. دمروا مصائد المياه وفجروا القنوات وسمموا المزارع، ونهبوا أحواض التخزين...»

«والآن قد سرقوا دودة من الصحراء، ونقلوها إلى كوكب آخر!» صوت من قاطعها كان معروفاً لهم جميعاً - المؤدّب. اجتاز المدخل من البهو الخارجي، وسار حاشراً نفسه بين رتب الحرس، وعبر إلى جانب عالية. بقيت تشاني المرافقة له، على الهامش. قال ستيلجار رافضاً النظر إلى وجه پول: «مولاي».

صوّب پول محجريه الخاويين إلى القاعة، ثم نحو كُربة: «ماذا يا كُربة، لا كلمة مديح واحدة؟»

أمكن سماع تمتمات تسري في القاعة. تعالت التتمات حتى باتت كلمات منعزلة وعبارات مسموعة. «.. قانون العميان.. نهج الفرمن.. في الصحراء.. من يحطم...»

سأل پول: «من يقول إنني أعمى؟» واجه القاعة. «أنت يا راجيفيري؟ أراك ترتدي الذهبي اليوم، وذاك القميص الأزرق تحته لا يزال مُغبرًا بالتراب من الشوارع. لطالما كنت غير مُهَندَم». حرَّك راجيفيري يده بعلامة وقائية، ثلاث أصابع في مواجهة الشر.

صرخ پول: «وجَّه أصابعك إلى نفسك! نحن نعلم مكمَن الشر!» استدار إلى كُربة. «هناك شعور بالذنب على وجهك، يا كُربة.» «ليس ذنبي! ربما تورطت مع المذنبين، لكن لا...» بتر عبارته، وألقى نظرة خائفة إلى القاعة.

التقطت عالية إشارة پول، ونهضت، وهبطت إلى أرضية الغرفة، وتقدمت إلى حافة طاولة كُربة. من مسافة أقل من متر، حدقت به، صامتة ومخيفة. انكمش كُربة تحت وطأة عينيها. تململ، ورمى القاعة بنظرات قلقة.

سأل پول: «أعين من تبحث عنها هناك؟»

قال كُربة محتدًا: «لا تستطيع أن ترى!»

أحمد پول شعورًا مؤقتًا بالشفقة انتابه تجاه كُربة. رقد الرجل سجينًا في فخ الرؤية بأمان مثل أي من الحاضرين. لعب دورًا، لا أكثر.

قال پول: «لست بحاجة إلى عيين لرؤيتك». وبدأ يصف كُربة، كل حركة، كل هفوة، كل رعشة، كل نظرة مرتاعة ومتوسلة إلى القاعة. تنامى اليأس داخل كُربة. عند مشاهدته في تلك الحالة، رأت عالية أنه قد ينكسر في أي لحظة. فكرت: أحدهم في القاعة لا بد وأنه يدرك مدى اقترابه من الانهيار. من؟

درست وجوه النواب، ملاحظَة خيانات صغيرة تتبدى في الوجوه المقنّعة... غضب ومخاوف وشكوك... ومشاعر بالذنب. خيم الصمت على پول.. استجمع كُربة شيئاً من التفاخر وقال متوسلاً: «من يتهمني؟»

قالت عالية: «عثيم يتهمك».

احتج كُربة: «لكن عثيم مات».

سأل پول: «كيف عرفت ذلك؟ من خلال شبكة تجسسك؟ أوه، طبعاً! نعرف عن جواسيسك وسُعاتك. نعرف من أحضر حارق الصخور إلى هنا من تاراهيل».

انفعل كُربة: «كان من أجل الدفاع عن الكِزارة!»

سأل پول: «أهكذا وصل إلى أيدي الخونة؟»

«سُرق ونحن..». خيم الصمت على كُربة. ابتلع ريقه. انحرفت نظراته يميناً ويساراً. «يعرف الجميع أنني كنت صوت الحب للمؤدّب». حدق إلى القاعة. «كيف يمكن لرجل ميت أن يتهم فرموني؟»

قالت عالية: «صوت عثيم ليس ميتاً». توقفت عن الكلام عندما لمس پول ذراعها.

قال پول: «أرسل لنا عثيم صوته. يُعلمنا بالأسماء وأعمال الخيانة وأماكن اللقاء والأزمنة. هل تفتقد وجوهاً معينة في مجلس النواب يا كُربة؟ أين مركور وفاش؟ كيكي الأعرج ليس معنا اليوم. وتاكيم، أين هو؟»

هز كُربة رأسه من جانب إلى آخر.

قال پول: «فروا من أركس بالدودة المسروقة. حتى لو حررتك الآن يا كُربة، فسيحصل الشئ هولود على مائك من أجل دورك في هذا. لماذا لا أطلق سراحك يا كُربة؟ فكر في كل هؤلاء الرجال الذين سلب حارق الصخور أعينهم، الرجال الذين لا يستطيعون رؤية ما أرى. لديهم عائلات وأصدقاء، يا كُربة، أين يمكنك الاختباء منهم؟»

توسل كُربة: «كانت حادثة. على أي حال، سيحصلون على أعين تليلاكسو...» بتر عبارته ثانية.

سأل پول: «من يدري أي نوع من العبودية تأتي مع الأعين المعدنية؟»

بدأ النواب في القاعة بتبادل التعليقات الهامسة، والحديث من وراء أياد مرفوعة. حدقوا ببرود الآن إلى كُربة.

تمتم پول عائداً إلى التماس كُربة: «من أجل الدفاع عن الكِزارة؟ سلاح قادر على إمّا تدمير كوكب وإما إنتاج أشعة-ج التي تعمي القريبين منه. أي التأثيرين يا كُربة تصورته دفاعاً؟ هل تعتمد الكِزارة على إيقاف أعين كل المراقبين؟»

توسل كُربة: «كان ذلك فضولاً مني يا مولاي. كنا نعلم أن القانون القديم ينص على أن العائلات فقط هي التي يمكن أن تمتلك الأسلحة الذرية، لكن الكِزارة أطاعوا.. وأطاعوا...»

قال پول: «أطاعوك. هو الفضول، حقاً.»

قال كُربة: «حتى لو كان صوت متهمي فقط، يجب أن تواجهني به! للفرمني حقوق.»

قال ستيلجار: «إنه يتكلم بالصدق يا سيدي.»

نظرت عالية بحدة إلى ستيلجار.

قال ستيلجار، مستشعرا احتجاج عالية، وقد شرع في الاقتباس من قانون الفرمن، مضيفاً تأويلاته الخاصة حول كيفية تطبيق القانون: «القانون هو القانون».

ساور عالية إحساس غريب بأنها كانت تسمع كلمات ستيلجار قبل أن يتكلم بها. كيف يمكن أن يكون بهذه السذاجة؟ لم يتراء ستيلجار قط رسمياً ومحافظاً، أكثر تصميمًا على التزام قانون كتيب. كان ذقنه ممدوداً إلى الأمام على نحو عدائي. فمه مزمووم.

هل لم يكن بداخله شيء سوى هذه الفطرسنة الشائنة؟

اختتم ستيلجار حديثه قائلاً: «كُربة فرمني ويجب أن يُحكم عليه بقانون الفرمن».

استدارت عالية بعيداً، ونظرت إلى ظلال النهار المتساقطة على الحائط المقابل للحديقة. شعرت بالإحباط يستنزفها. أطلوا هذا الشيء حتى منتصف الصباح. ثم ماذا الآن؟ غدا كُربة مسترخياً. كان سلوك المدّاح يقول إنه تعرض لهجوم جائر، وأن كل ما فعله كان من أجل محبة المؤدّب. نظرت إلى كُربة مدهوشة من نظرة غرور مأكرة تنزلق على وجهه.

فكرت: تلقي رسالة غالباً. كان يمثل الآن دور رجل سمع أصدقاءه يصرخون: «تماسك! المساعدة في الطريق!»

للحظة، أحكموا قبضتهم على هذا الشيء - المعلومات التي حصلوا عليها من القزم، القرائن على وجود آخرين في المؤامرة، أسماء المخبرين. لكن اللحظة الحاسمة قد مرت. ستيلجار؟

بالتأكيد ليس ستيلجار. استدارت، وحدقت إلى الفرمي العجوز.
 التقت عينا ستيلجار بنظرتها دون أن يجفل.
 قال پول: «شكرًا لك يا ستيل على تذكيرنا بالقانون».
 أحنى ستيلجار رأسه. اقترب منه، وشكّل بشفتيه الكلمات
 الصامتة بطريقة يعلم أن كل من پول وعالية يستطيعان قراءتها.
 سوف أستجوبه حتى أستخلص منه كل شيء ثم سأعتني بالأمر.
 أوماً پول برأسه، وأشار إلى الحراس خلف كُربة.
 قال پول: «خذوا كُربة إلى زنزانة مشددة الحراسة. لا زوار إلا
 مستشارًا. وأنا أعين ستيلجار ليكون مستشاره».
 صاح كُربة: «اسمح لي بأن أختار مستشاري».
 دار پول. «هل تشكك في عدالة ستيلجار وحكمه؟»
 «أوه، لا يا مولاي، لكن...»
 زار پول: «خذوه بعيدًا!»
 رفع الحراس كُربة عن الوسائد واقتادوه خارجًا.
 سرت همهمات جديدة، وبدأ النواب مغادرة القاعة. جاء
 الحراس من أسفل القاعة، وعبروا إلى النوافذ وأغلقوا الستائر
 البرتقالية. سيطرت الكآبة البرتقالية على الغرفة.
 قالت عالية: «پول».
 قال پول: «عندما نعجل بالعنف، فسيكون ذلك عندما نمتلك
 السيطرة الكاملة عليه. شكرًا لك يا ستيل. لعبت دورك جيدًا.
 أنا متأكد من أن عالية قد حددت النواب المتواطئين معه. لم
 يستطيعوا إلا الكشف عن أنفسهم».
 سألت عالية: «رتبنا هذا بينكما؟»

قال پول: «لو أمرت بذبح كُربة بعيداً عن القانون، لكان النواب قد تفهموا ذلك. لكن هذا الإجراء الرسمي دون التقيد الصارم بقانون الفرمن-سيشعرهم بأن حقوقهم مهددة. أي من النواب متواطئون معه يا عالية؟»

قالت بصوت منخفض: «راچيفيري بالتأكيد. وساجد لكن...»

قال پول: «أعطي ستيلجار القائمة الكاملة.»

ابتلعت عالية ريقاً جافاً، وشاركت الخوف السائد من پول في هذه اللحظة. عرفت كيف كان يتقل بينهم بلا عينين، لكن دقته أذهلتها. مشاهدته أشكالهم في هواء رؤيته الاستبصارية! شعرت بأن شخصها يتلألاً أمامه في زمن نجمي يعتمد توافقه مع الواقع كلياً على أقواله وأفعاله. أمسك بهم جميعاً في راحة رؤيته!

قال ستيلجار: «تجاوزت الساعة موعد جلستك الصباحية يا

مولاي. كثير من الناس- فضوليون... خائفون...»

«هل أنت خائف مني يا ستيل؟»

قال ستيلجار، بالكاد همساً: «نعم.»

قال پول: «أنت صديقي، وليس لديك ما تخشاه مني.»

ابتلع ستيلجار ريقه. «نعم يا مولاي.»

قال پول: «عالية، توّلي أنتِ جلسة الاستماع الصباحية.

ستيلجار، أعطِ الإشارة.»

أطاع ستيلجار.

تعالى صوت حركة عند الأبواب الكبيرة. أُبعد جمهور إلى الوراء من الحجرة الظليلة للسماح بدخول الموظفين. بدأت أشياء كثيرة تحدث دفعة واحدة: حراس القلعة يحتجزون بمرافقهم ويدفعون

حشوداً من المتضرعين وملتسين في أردية مبهرجة رخيصة، يحاولون التقدم وسط الصراخ واللغات. لوح الملتسون بأوراق دعواهم. سار كاتب التجمع أمامهم عبر فتحة أخلاها الحرس. حمل قائمة التفضيلات، أولئك الذين سمح لهم بالاقتراب من العرش.

كان الكاتب، وهو فرمني نحيل يُدعى تيكروب، يحمل نفسه بسخرية مُرهقة، متفاخراً برأسه الحليق، ولحيته الكثيفة. تحركت عالية لاعتراضه، وأعطت پول الوقت للتسلل برفقة تشاني عبر الممر الخاص خلف المنصة. ساورتها للحظة عدم ثقة بتيكروب بسبب الفضول المتطفل في النظرات التي أرسلها في أعقاب پول.

قالت: «سأتحدث اليوم باسم أخي. اجعل المتضرعين يتقدمون واحداً تلو الآخر».

«نعم يا مولاتي». استدار لترتيب حشوده.

قال ستيلجار: «لا يمكنني أن أتذكر مرة أخطأت فيها في فهم غاية أخيك كاليوم».

قالت: «كنت مشتتة. لقد طرأ تغيير دراماتيكي عليك يا ستيل. ما هو؟»

انتصب ستيلجار بظهره، مصدوماً. يتغير المرء لكن دراماتيكيًا؟ كانت هذه وجهة نظر فيه لم يسبق أن سمعها من قبل. الدراما كانت شيئاً مشكوكاً فيه. كان المؤدون الترفيهيون المستوردون من كواكب مختلفة، ذوو الولاء المشتبه فيهم والفضيلة المشتبه فيها أكثر، دراماتيكيين. استخدم أعداء الإمبراطورية الدراما في

محاولاتهم للتأثير في الجماهير المتقلبة. كُربة قد ابتعد عن فضائل الفرمن لتوظيف الدراما لصالح الكِزارة. وسوف يموت من أجل ذلك.

قال ستيلجار «تصرفين بفرابة. هل تستخونيني؟»

الضيق في صوته ألان تعابير وجهها ولكن ليس نبرتها. «أنت تعلم أنني لا أستخونك. لطالما اتفقت مع أخي على أنه ما إن تكون الأمور بين يدي ستيلجار، يمكننا أن ننساها بأمان».

«إذن لماذا تقولين إنني... تغيرت؟»

قالت: «أنت تتأهب لعصيان أوامر أخي. أستطيع أن أقرأ هذا فيك. أمل فقط ألا يدمر هذا كليكما».

كان أول الملمتسين والمتضرعين يقترب الآن. ابتعدت قبل أن يتمكن ستيلجار من الرد. مع ذلك، كان وجهه مملوءًا بالأشياء التي استشعرتها في رسالة والدتها- استبدال القانون بالضمير. «أنتم تنتجون تناقضًا قاتلاً».

كان تيبانا مدافعاً عن المسيحية السَّقراطية. ربما كان من مواليد كوكب أنبوس الرابع، وقد عاش بين القرنين الثامن والتاسع قبل حكم آل كورينو، على الأرجح في عهد دالاماك الثاني. من كتاباته- لم ينج سوى جزء يسير منها- أخذ هذا الاقتباس: «قلوب كل الناس سكنى البرية نفسها»

من «كتاب كتيب إيرولان»

قال الغولة عند دخول الغرفة الصغيرة حيث يُحتجز القزم تحت الحراسة: «أنت بجاز. أدعى حياة».

جاءت فرقة مدججة بالسلاح من حرس القلعة برفقة الغولة لتولي الحراسة المسائية. كانت الرمال التي حملتها رياح الغروب قد لسعت وجناتهم في أثناء عبورهم الفناء الخارجي، ما جعلهم يرمشون ويهرولون. يمكن سماعهم الآن في الممر بالخارج وهم يتبادلون المزاح وطقوس مهامهم.

قال القزم: «أنت لست حياة. أنت دانكن آيداهو. كنتُ هناك عندما وضعوا جسدك الميت في الحاوية، وكنت هناك عندما أزالوها عنك، بعد أن صرت حيًا وجاهزًا للتدريب».

ابتلع الغولة ريقه الذي جف فجأة. فقدت كرات الإنارة وهجها الأصفر في لون ستائر الغرفة الخضراء. أظهر الضوء حبات العرق على جبين القزم. بدا بجاز مخلوقًا ذا نزاهة غريبة كما

لو أن الغرض الذي زرعه التليلاكسو فيه ظاهرًا من خلال جلده. قبعت قوة تحت قناع الجبن والطيش الذي يرتديه القزم. قال حياة: «كلفني المؤدّب باستجوابك لتحديد ما الذي ينوي التليلاكسو فعله هنا».

غنى القزم: «التليلاكسو.. التليلاكسو... أنا تليلاكسو أيها المغفل! وفي هذا الصدد، أنت تليلاكسو أيضًا». حدق حياة بالقزم. كان بجاز يشع يقظة كاريزمية جعلت المراقب له يفكر في الأوثان القديمة. سأل حياة: «هل تسمع أولئك الحرس في الخارج؟ لو أعطيتهم الأمر، فسيخنقونك».

صرخ بجاز: «انظر إليك! انظر إليك! كم أصبحت وقحًا وقاسيًا. وقلت إنك جئت تتشد الحقيقة!».

وجد حياة أنه لا يجب مظهر الاسترخاء الخفي الكامن تحت تعابير وجه القزم. قال: «ربما أنشد المستقبل فقط».

قال بجاز: «كلام حسن. الآن نحن نعرف بعضنا بعضًا. عندما يلتقي لسان لا يحتاجان إلى مقدمة».

قال حياة: «إذا فنحن لصوص. ماذا نسرق؟»

قال بجاز: «لسنا لصوص بل حجري نرد. وقد أتيت لتقرأ بقع نردي. أنا في المقابل سأقرأ بقع نردك. وانظر! لديك وجهان».

سأل حياة منازعًا ترددًا غريبًا في طرح ذلك السؤال: «هل رأيتي حقًا أدخل حاويات التليلاكسو؟»

سأل بجاز: «ألم أقل هذا؟» ارتدّ القزم واقفًا على قدميه. «واجهنا صراعًا رهيبًا معك. الجسد يرفض الرجوع».

شعر حياة فجأة بأنه داخل حلم يسيطر عليه عقل آخر، وأنه ربما يجدر عليه أن ينسى هذا مؤقتًا حتى يتمكن من الضياع في تلافيف ذلك العقل.

أمال بجار رأسه بمكر جانبيًا، ومشى حول الفولة، محدقًا به. قال بجاز: «الإثارة توجج فيك الأنماط القديمة. أنت المُطارِد الذي لا يريد أن يجد ما يطارده».

قال حياة وهو يدور ليتبع تحركات القزم: «أنت سلاح موجّه إلى المؤدّب. ماذا عليك أن تفعل؟»

قال بجاز متوقفًا عن الحركة: «لا شيء. أقدم لك إجابة شائعة عن سؤال شائع».

قال حياة: «إذا فأنت تستهدف عالية. هل هي هدفك؟»

قال بجاز: «يسمونها حوت، السمكة الوحش، في الكواكب الأجنبية. لماذا أسمع دمك يمور عندما تتحدث عنها؟»
قال الفولة، وهو يتفحص بجاز بحثًا عن أي دليل على غايته: «إذا يسمونها حوت».

قدّم القزم مثل هذه الردود الغريبة.

قال بجاز: «هي الزانية العذراء. فاحشة، وذكية، عميقة المعرفة إلى درجة مخيفة، قاسية عندما تكون في أطف أحوالها، لا تفكر في أثناء تفكيرها، وعندما تسعى إلى البناء تكون مدمّرة مثل عاصفة كوريوليسية».

قال حياة: «لذلك أتيت إلى هنا، للتحدث علانية ضد عالية».

«ضدها؟» ارتدى بجاز على وسادة مثبتة إلى الحائط. «جئت إلى هنا لأُسحر بجاذبية جمالها الجسدي». ابتسم ابتسامة

عريضة، تعبير عظامي ماكر ارتسم على وجهه الضخم الملامح.
قال حياة: «مهاجمة عالية بمثابة مهاجمة أخيها».
قال بجاز: «هذا واضح جداً لدرجة أنه من الصعب رؤيته.
في الحقيقة، الإمبراطور والأخت شخص واحد، الظَّهر يلاصق
الظَّهر، كيان واحد نصف ذكر ونصف أنثى».
قال حياة: «هذا شيء سمعنا فرمن الصحراء العميقة يقولونه.
وهؤلاء هم الذين أحيوا شعائر التضحية بالدم إلى الشيء هولود.
كيف تكرر هراءهم؟»
سأل بجاز: «هل تجرؤ على قول هراء؟ أنت يا من هو رجل
وقناع معاً؟ آه، لكن النرد لا يستطيع قراءة بقعه. نسيت هذا.
وأنت مرتبك بشكل مضاعف لأنك تخدم كيان آترديدز المزدوج.
حواسك ليست قريبة من الإجابة مثل عقلك».

سأل حياة، صوته خفيض: «هل تعظ حراسك بتلك الطقوس
الزائفة عن المؤدّب؟» شعر بعقله مشوش بسبب كلمات القزم.
قال بجاز: «هم من يعظونني. وهم من يبتهلون بالدعاء. لماذا
لا يفعلون ذلك؟ علينا جميعاً الدعاء. ألا نعيش في ظل أخطر
خلق شهده الكون على الإطلاق؟»
«أخطر خلق..»

«والدتهما ترفض العيش معهما على نفس الكوكب!»

سأل حياة: «لماذا لا تجيبني بشكل مباشر؟ تعرف أن لدينا
وسائل أخرى لاستجوابك. سنحصل على الإجابات التي ننشدها..
بوسيلة أو بأخرى».

«لكنني أجبتك! ألم أقل إن الأسطورة حقيقية؟ هل أنا الريح التي تحمل الموت في بطنها؟ لا! أنا كلمات! كلمات أشبه بالبرق الذي ينبجس من الرمال في سماء مظلمة. قلت: «أطفئ المصباح! النهار هنا!» لكنك تستمر في القول: «أعطني مصباحًا حتى أجد النهار!»»

قال حياة: «تلاعب لعبة خِطْرَة معي. أعتقد أنني لا أستطيع فهم تلك الأفكار الزنسنئية؟ تترك وراءك آثارًا واضحة كأثار طير في الوحل».

بدأ بجاز يقهقه.

سأل حياة: «لماذا تضحك؟»

تمكن بجاز من القول من بين قهقهاته: «لأن لدي أسنانًا أتمنى لو لم تكن لدي. لكن عدم امتلاكي أسنانًا، سيعني أنني لن أستطيع الصرُّ عليها».

قال حياة: «والآن أعرف هدفك. أنت موجّه إليّ».

قال بجاز: «ولقد أصبتُ الهدف في الصميم! أنت تمثل هدفًا ضخماً، كيف أستطيع أن أخفق في إصابته؟» أوماً كأنما إلى نفسه. «والآن سأغني إليك». بدأ يدندن. نواح، تيمة رتيبة من العويل، تتكرر بلا انقطاع.

تبيس حياة، وساورته آلام غريبة سرت بطول عموده الفقري صعودًا وهبوطًا. كان يحدق إلى وجه القزم، ويرى عيونًا شابة في وجه عجوز. كانت العيون مركز شبكة من الخطوط البيضاء المتشابكة التي تمتد إلى التجاويف أسفل صدغيه. يا له من رأس ضخم! ركز كل ملمح في الوجه على الفم المزموم لأعلى

الذي صدر عنه ذلك الضجيج الرتيب. جعل الصوت حياة يفكر في الطقوس العتيقة والذكريات الفلكلورية والكلمات والعادات القديمة والمعاني نصف المنسية في التتمتات الضائعة. كان هناك شيء حيوي يحدث هنا - مسرحية دموية للأفكار المرتحلة عبر الزمن. كانت أفكار ضاربة في القدم تكمن متشابكة في غناء القزم. كان مثل ضوء متقد بعيد، يقترب ويقترب، منيراً الحياة على مدى قرون.

شهو حياة: «ماذا تفعل بي؟»

قال بجاز: «أنت الآلة التي تعلمت العزف عليها. أنا أعزف عليك. دعني أخبرك بأسماء الخونة الآخرين بين النواب. بيكوروس وكاهويت. هناك دجديدة سكرتيرة كُربة. هناك أبو موجانديس، مساعد بانيرجي. حتى الآن، لا يزال بوسع أحدهم أن يفرز نصلاً في مؤدّبك».

هز حياة رأسه من جانب إلى آخر. وجد صعوبة جمّة في الكلام.

قال بجاز مُقاطِعاً دندنته الرتيبة مجدداً: «نحن مثل الأشقاء. نما كلانا في الحاوية نفسها. أنا أولاً ثم أنت».

داهم حياة ألم حارق مفاجئ في عينيه المعدنيتين. غشاوة حمراء وامضة أحاطت بكل شيء رآه. شعر بأنه صار معزولاً عن كل إحساس مباشر باستثناء الألم، وشعر بمحيطه من خلال طبقة عازلة رقيقة مثل ضمادة في مهب الريح. كل ذلك أصبح مصادفة، التورط المحتمل لمادة جامدة. لم تكن إرادته أكثر من مجرد شيء خفي متغير. عاشت بلا أنفاس، ولم تكن مفهومة إلا كإضاءة داخلية.

بوضوحٍ مولود من رحم اليأس، اخترق الستار-الضمادة بإحساس وحيد بالبصر. تركز انتباهه مثل ضوء ملتهب أسفلِ بجاز. شعر حياة بأن عينيه تقطعان خلال طبقات من القزم، وتريان الرجل الصغير على أنه عقل مستأجر، وتحت ذلك، مخلوق أسير الجوع والشهوات التي تكدست في عينيه طبقة بعد طبقة، حتى أخيراً، لم يكن هناك سوى جانب كيان تتلاعب به الرموز.

قال بجاز: «نحن في ساحة معركة. يمكنك التحدث عن ذلك».

قال حياة، صوته قد تحرر بفعل الأمر الصادر عن بجاز: «لا يمكنك إجباري على قتل المؤدّب».

قال بجاز: «سمعتُ البني چيسيرت تقلن إنه لا شيء ثابت، لا شيء متوازن، لا شيء دائم في الكون كله - لا شيء يبقى على حاله. كل يوم، وأحياناً كل ساعة، تجلب تغييراً».

هز حياة رأسه ببلاهة من جانب إلى آخر.

قال بجاز: «اعتقدت أن الإمبراطور السخيف هو الجائزة التي ننشدها. ما مدى ضآلة فهمك لأسيادنا التليلاكسو. كل من النقابة والبني چيسيرت تعتقد أننا ننتج تحفًا، لكن في الواقع نحن ننتج أدوات وخدمات. يمكن لأي شيء أن يكون أداة - الفقر والحرب. الحرب مفيدة لأنها فعالة في العديد من المجالات. تحفز الحرب الأيض. وتقوي الحكومة. وتنتشر سلالات چينية. تمتلك حيوية لا مثيل لها في الكون. فقط أولئك الذين يدركون قيمة الحرب ويمارسونها يمتلكون أي درجة من تقرير المصير».

قال حياة بصوت رزين بغرابة: «تطرح أفكارًا عجيبة. تكاد تجعلني أومن بالانتقام الإلهي. ما التعويض الذي تطلبه خلقك؟ من شأنه أن يصنع قصة رائعة، بلا شك مع خاتمة استثنائية أكثر».

ضحك بجاز بطرب: «رائع. أنت تهاجم - وبالتالي لديك قوة الإرادة وتمارس حق تقرير المصير».

قال حياة بصوت لاهث: «تحاول إيقاظ العنف بداخلي». أنكر بجاز هذا الأمر بهزة من رأسه. «أوقظ، نعم؛ عنف، لا. أنت مرید للوعي بالتدريب، هكذا قلت. لدي وعي لأوقظه بداخلك، يا دانكن آيداهو».

«حياة!»

«دانكن آيداهو. قاتل استثنائي. عاشق كثير من النساء. جندي مبارز. يد آتريديز في ميدان المعركة. دانكن آيداهو».

«لا يمكن إيقاظ الماضي».

«لا يمكن؟»

«لم يحدث ذلك من قبل قط!»

«صحيح، لكن أسيادنا يتحدون فكرة استحالة فعل شيء معين. لطالما سعوا وراء الأداة المناسبة، والتطبيق الصحيح للمجهود، والخدمات المناسبة ل...».

«أنت تخفي هدفك الحقيقي! أنت ترمي بساتر من الكلمات العقيمة!»

قال بجاز: «هناك دانكن آيداهو بداخلك. سيرضخ للعاطفة أو لفحص نزيه، لكنه سيرضخ قطعًا. سوف يرتفع هذا الوعي عبر

ساتر من القمع والاختيار، من الماضي المظلم الذي يسير على خطى خطواتك. يحفزك حتى في هذه اللحظة بينما يعيق تقدمك في الوقت عينه. هناك يوجد ذلك الكيان بداخلك الذي يجب أن يركز عليه الوعي، والذي ستطيعه».

«يعتقد التيللاكسو أنني لا أزال عبدهم لكنني...».

قال بجاز بذلك الصوت المنتحب: «الهدوء أيها العبد». وجد حياة نفسه وقد تجمد صامتاً.

قال بجاز: «لقد وصلنا الآن إلى حجر الأساس. أعلم أنك تشعر بذلك. وتلك كلمات القوة للتلاعب بك.. أعتقد أنه سيكون لها تأثير كافٍ».

شعر حياة بالعرق ينهمر على خديه، وبارتعاش صدره وذراعيه، لكنه كان عاجزاً عن الحركة.

قال بجاز: «في يوم قريب سيأتي إليك الإمبراطور. سيقول: رحلت. سيكتسي وجهه الأسى. سوف يعطي الماء للموتى، كما يسمون دموعهم في هذه الأرجاء، وستقول مستخدماً صوتي: سيدي! أوه، يا سيدي!»

توجّع فك حياة وحنجرته بتيبس عضلاته. يمكنه فقط أن يلف رأسه في قوس قصير من جانب إلى آخر.

«ستقول: أنا أحمل رسالة من بجاز. بجاز المسكين، الذي لا عقل له... بجاز المسكين، الطلبة المحشوة بالرسائل. الكينونة التي يستخدمها الآخرون... أقرع على بجاز، وسيصدر ضجيجاً...» مرة أخرى، تجهم. «أنت تعتقد أنني منافق، يا دانكن آيداهو. أنا لست كذلك! يمكنني أن أحزن أيضاً. ولكن حان الوقت لاستبدال السيوف بالكلمات».

داهمت حازوقة حياة.

قهقهه بجاز، ثم قال: «آه، شكرًا لك، يا دانكن، شكرًا لك. حاجات الجسد تتقذنا. طالما يحمل الإمبراطور دماء آل هاركونن في عروقه، سيفعل ما نطلبه. سوف يتحول إلى آلة باصقة، قاضمة للكلمات، ترن بضجيج جميل استجابة لأسيادنا». رمش حياة بعينه، وهو يفكر كيف تبدى القزم حيوانًا صغيرًا متيقظًا، شيئًا مفعماً بعداوة مضمرة وذكاء نادر. دم هاركونني يسري في عروق آل آتريديز.

قال بجاز: «تفكر في الوحش ربان، الهاركونني الحقير، فتتهوج عيناك. أنت مثل الفرمن في هذا. عندما تفشل الكلمات، يكون السيف دائمًا في متناول اليد، صحيح؟ أنت تفكر في التعذيب الذي تعرضت له عائلتك على يد الهراكنة. ومن خلال والدته، فإن پول العزيز هاركونني! لن تجد صعوبة الآن في قتل هاركونني، أليس كذلك؟»

سرى إحباط مرير في الغولة. هل كان الغضب؟ لماذا يُغضبه هذا؟ قال بجاز: «آوو. آه.. آه، ها! نقرة.. نقرة! هناك بقية للرسالة. إنها صفقة يعرضها التليلاكسو على پول آتريديز النفيس. سيُعيد أسيادنا إحياء حبيبته. أخت لذاتك - غولة أخرى».

شعر حياة فجأة أنه موجود في عالم لا تشغله سوى دقائق قلبه. قال بجاز: «غولة. ستكون من لحم حبيبته. سوف تحمل أطفاله. سوف تحبه هو فقط. يمكننا حتى تحسين النسخة الأصلية لو رغب في ذلك. هل حظي إنسان بفرصة أكبر لاستعادة ما فقده؟ إنها صفقة سيبارد إلى اقتناصها».

أوماً بجاز وعيناه تتدليان كأنهما ثقيلتان ثم قال: «سيغويه ذلك... وفي أثناء تشتته، ستقترب منه. وفي تلك اللحظة، سوف تضرب ضربتك! غولتان، وليس واحدة! هذا ما يطلبه أسيادنا!» تتحنح القزم، وأوماً مرة أخرى، وقال: «تكلم».

قال حياة: «لن أفعل ذلك».

قال بجاز: «لكن دانكن آيداهو سيفعل. ستكون لحظة الضعف القصوى لهذا المنحدر من سلالة آل هاركونن. لا تنس هذا. سوف تقترح تحسينات على حبيبته -ربما قلب لا يفنى، وعواطف أرهف. ستعرض اللجوء عليه فيما تقترب منه- كوكب من اختياره في مكان خارج الإمبراطورية. فكر بالأمر! سيستعيد محبوبته. لا حاجة بعد الآن إلى الدموع، وسيملك مكاناً للهائنين ليعيش فيه باقي سنواته».

قال حياة، مفكراً: «صفقة مكلفة. سيطلب معرفة الثمن».

«أخبره أنه يجب أن يتخلى عن ألوهيته، ويشوه سمعة الكزارة. ويجب أن يشوه سمعة أخته».

سأل حياة ساخرًا: «لا شيء آخر؟».

«يجب أن يتخلى عن أسهمه في تشوم، بطبيعة الحال».

«بطبيعة الحال».

«ولو لم تكن قريباً بما يكفي لتضرب ضربتك، فتحدث عن مدى إعجاب التليلاكسو بما علمه إياهم عن إمكانات الدين. أخبره أن لدى التليلاكسو قسمًا للهندسة الدينية، هدفه تشكيكه الأديان حسب الحاجات الخاصة».

قال حياة: «كم أن ذلك ذكي جدًا».

قال بجاز: «أنت تعتقد أنك حر في السخرية مني وعصيانني». حرَّك رأسه جانباً بخبيث. «لا ترفض ذلك...»

قال حياة: «لقد صنعوك جيداً، أيها الحيوان الصغير».

قال القزم: «وأنت أيضاً. ستقول له أن يسرع. اللحم يتحلل ولحمها يجب أن يُحفظ في حاوية التبريد».

شعر حياة بأنه يترنح، عالقاً في قالب من الأشياء التي لم يستطع التعرف عليها. تراءى القزم واثقاً بنفسه! كان لا بدّ من وجود خلل في منطق التليلاكسو. في خلال صنع غولتهم، أجموه بصوت بجاز القادر على التحكم فيه لكن ماذا؟ المنطق/ القالب.. بجاز هدف... ولكن ماذا؟ المنطق/ القالب/ الكائن... كم كان من السهل الخلط بين الحجة الواضحة والاستنتاج الصحيح! هل تعرض منطق التليلاكسو للتحريف؟

ابتسم بجاز واستمع إلى ما بدا أنه صوت خفي. قال: «الآن، سوف تتسى. عندما تأتي اللحظة، سوف تتذكر. سيقول: «رحلت». سوف يستيقظ دانكن أيدهو بعد ذلك».

صفق القزم بيديه معاً.

أفاق حياة، وشعر أنه قوطع في منتصف فكرة... أو ربما في منتصف جملة. ماذا كانت؟ شيئاً عن... الأهداف؟

قال: «أنت تعتقد أنك تريكني وتلاعب بي».

سأله بجاز: «كيف ذلك؟»

قال حياة: «أنا هدفك ولا يمكنك إنكار ذلك».

«لن أفكر في إنكار ذلك».

«ما الذي تحاول أن تفعله بي؟»

قال بجاز: «لطفاً... لطفاً بسيطاً».

الطبيعة المتسلسلة للأحداث الفعلية لا تُبهرها قدرات الاستبصار بدقة مطوّلة إلا في ظل الظروف الأكثر استثنائية. النبوءة تلتقط أحداثاً مبتورة من سلسلة التاريخ. الأبدية تتحرك. تفرض نفسها على النبوءة والمتضرع على حد سواء. دع رعايا المؤدّب يشككون في جلالته ورؤاه النبؤية. دعهم ينكرون قدراته. لكن لا تدعهم يشككون في الأبدية.

«أناجيل كثيب»

راقب حياة عالية في أثناء خروجها من معبدها وعبورها الساحة. كان حراسها متجمعين بالقرب منها، وتعبيرات شرسة على وجوههم لإخفاء التفضنات التي شكلتها الحياة الرعدة والرضا عن النفس.

ومض جهاز هيلوجراف من أجنحة طائرة ثوبتر في شمس الظهيرة الساطعة فوق المعبد، وهي جزء من الحرس الملكي مع رمز-قبضة المسيح على جسمها.

أعاد حياة ناظره إلى عالية. تراءت غريبة هنا في المدينة. كان موقعها الصحيح الصحراء - مساحة مفتوحة غير مقيدة. استرجع شيء عجيب عنها وهو يشاهدها تقترب: بدت عالية مستغرقة في التفكير فقط عندما تبسم. قرر أنها كانت خدعة بصرية، مستذكراً ذكرى لها منحوتة في ذاكرته عندما ظهرت في حفل استقبال سفير النقابة: أشمّة مختالة وسط خلفية

موسيقية ومحادثات جافة يتبادلها مرتدو العباءات الباهظة والأزياء الرسمية. وكانت عالية ترتدي ثوباً عفيفاً، أبيض، باهراً. كان ينظر إليها الآن من النافذة وهي تعبر حديقة داخلية تتوسطها بركة رسمية، ونوافير متدفقة، وسعف عشب پامپاس ومبنى أبيض مزود بشرفة.

خاطئ تماماً... المشهد برمته خاطئ. كانت عالية تنتمي إلى الصحراء.

استنشق حياة نفساً خشناً. كانت عالية قد ابتعدت عن مرمى بصره حينها كما فعلت الآن. انتظر، يعقد قبضتيه ويرخيها. تركته المقابلة مع بجاز مضطرباً. سمع حاشية عالية تعبر خارج الغرفة حيث كان ينتظر. اختفت داخل جناح العائلة.

الآن حاول التركيز على الشيء الذي أزعجه فيها. الطريقة التي سارت بها عبر الساحة؟ نعم، تحركت مثل مخلوقة مطاردة تلوذ بالفرار من كائن مفترس. خرج إلى الشرفة المتصلة، ومشى على طولها خلف واقى شمس من البلازميلد، وتوقف بينما لا تزال الظلال تخفيه عن الأنظار. وقفت عالية عند الدرايزين المطل على معبدها.

نظر إلى حيث كانت تنظر - إلى الخارج فوق المدينة. رأى مستطيلات، كتلاً من الألوان، وحركات زاحفة للحياة والصوت. هياكل مبانٍ لامعة ومتألئة. أنماط من الحرارة تتصاعد من فوق أسطح المنازل. كان هناك صبي يتقاذف الكرة في شارع مسدود شكَّله نجد مدعوم في زاوية المعبد. ارتدت الكرة ذهاباً وإياباً.

عالية أيضا شاهدت الكرة. شعرت بتمامٍ مُقنعٍ مع تلك الكرة - ذهابًا وإيابًا... ذهابًا وإيابًا. استشعرت نفسها تقفز عبر دهايز الزمن.

كانت جرعة المزيج التي استهلكتها قبل مغادرة المعبد مباشرة أكبر جرعة جربتتها على الإطلاق - جرعة مفرطة ضخمة. أرعبتها حتى قبل أن يبدأ سريان مفعولها.

سألت نفسها: لماذا فعلت ذلك؟

لطالما اختار المرء بين خطرين. وهكذا كان الأمر؟ كانت هذه هي الطريقة لاختراق الضباب المنتشر فوق المستقبل، الضباب الذي صنعه تاروت كثيب اللعين. كان هناك حاجز. يجب شقُّه. تصرفت بدافع الضرورة لمعرفة أين كان شقيقتها يسير بلا أعين. بدأت حالة شرود المزاج المألوفة تتسلل إلى وعيها. أخذت نفسًا عميقًا، وخالجهما نوع هش من الهدوء والتوازن ونكران الذات.

فكرت: امتلاك رؤية ثانية ينزع إلى جعل المرء قدرًا على نحوٍ خطير. لسوء الحظ، لم يكن هناك نفوذ مجرد، ولا حسابات للاستبصار. لا يمكن التلاعب برؤى المستقبل كصيغ مجردة. كان على المرء أن يدخلها، ويخاطر بحياته وسلامة عقله.

خيال تحرك من الظلال الشاحبة للشرفة المجاورة. الغولة! في وعيها المتضخم، رأتها عالية بوضوح شديد - الملامح القاتمة والمفعمة بالحياة التي تهيمن عليها تلك العينان المعدنيتان المتلألئتان. كان اتحادًا من الأضداد المرعبة، شيء جمّع بطريقة خطية مروعة. كان ظلًا ونورًا مُتوهجًا، نتاج العملية التي أعادت

إحياء جسده الميت... وشيء نقي بشدة... بريء.

كان براءة تحت حصار.

سألت: «هل كنت هناك طيلة الوقت، يا دانكن؟»

«إذا سأكون دانكن؟ لماذا؟»

قالت: «لا تسألني».

وفكرت، وهي تنظر إليه، أن التليلاكسو لم يترك أي جانب من

غولتهم غير مكتمل.

قالت: «الآلهة فقط يمكنهم المجازفة بالكمال بأمان. إنه أمر

خطر بالنسبة إلى إنسان».

قال متمنياً ألا تدعوه بذلك: «مات دانكن. أنا حياة».

أمعنت في النظر إلى عينيه الاصطناعيتين، متسائلة عما

رأتا. عندما تأملتتهما من كثب، لاحظت أنهما يُظهران بقعاً سوداء

ضئيلة، آباراً صغيرة من الظلام في المعدن المتلألئ. أوجهاً كان

الكون يتلألأ من حولها ويترنح. ثبتت يدها على سطح الدرايزين

الداقئ بفعل حرارة الشمس. آه، تحرّك المزاج بسرعة.

سأل حياة: «هل أنت مريضة؟» رنا إليها، وانفتحت عيناه

الصلبتان على اتساعهما، محدقتين.

تعجبت: من تكلم؟ هل كان دانكن أيدهو؟ هل كان الغولة

المنتات؟ أم الفيلسوف الزنسني؟ أم كان بيدق تليلاكسو أكثر

خطورة من أي رجل توجيه في النقابة؟ عرف شقيقها الإجابة.

مرة أخرى، نظرت إلى الغولة. كان هناك شيء خامل فيه

الآن، شيء كامن. كان مشبعاً بالانتظار، وبقدرات تفوق حياتهما

الشائعة.

قالت: «بسبب والدتي، أنا مثل البني جيسيرت. هل تعرف ذلك؟»

«أعرف ذلك».

«أنا أستخدم قدراتهن، أفكر كما يفكرن. يعرف جزء مني مدى ضرورة برنامج التناسل.. ونتاجاته».

طرفت بعينيها، وشعرت أن جزءاً من وعيها بدأ بالتحرك بحرية في الزمن.

قال: «يُقال إن البني جيسيرت لا يدعن أي واحدة منهن ترحل». راقبها من كثب، ملاحظاً مدى بياض مفاصل أصابعها حيث تتشبث بحافة الشرفة.

سألت: «هل تعثرتُ؟»

لاحظ مدى عمق تنفسها، مع التوتر المصاحب لكل حركة، والمظهر الكابي لعينيها. مكتبة.. سُرَّ مَنْ قرأ

قال: «عندما تتعثرين، يمكنكِ استعادة توازنك بالقفز إلى ما وراء الشيء الذي تعثرتِ به».

قالت: «تعثرت بالبني جيسيرت. الآن يرغبن في استعادة توازنهن بالقفز إلى ما وراء أخي. يريدون طفل تشاني... أو طفلي».

«هل أنتِ حبلي بطفل؟»

كافحت للتماهي في علاقة زمكانية مع هذا السؤال. حبلى بطفل؟ متى؟ أين؟

همست: «أرى.. طفلي».

ابتعدت عن حافة الشرفة، وأدارت رأسها لتتظر إلى الغولة. كان لديه وجه ملحي وعينان قاسيتان- دائرتان من الرصاص اللامع... وبينما ابتعد عن الضوء ليتتبع حركتها، اكتفتته ظلال زرقاء.

همست: «ماذا... ترى بمثل هاتين العينين؟»

قال: «ما تراه الأعين الأخرى».

كلماته في أذنيها توسّع وعيها. شعرت بأنها وصلت إلى الجهة المقابلة من الكون- يا له من امتداد إلى الخارج.. إلى الخارج. تشابكت مع الزمن كله.

قال: «تناولت الاسپايس.. جرعة ضخمة».

تمتت: «لماذا لا أستطيع رؤيته؟» رحم كل الخليقة ببقايا أسيرة. «قل لي، يا دانكن، لماذا لا أستطيع رؤيته».

«من الذي لا يستطيع رؤيته؟»

«لا أستطيع أن أرى والد أطفالي. تهت في ضباب التاروت. ساعدني».

قدم منطلق المنتات حساباته الأولية إليه. قال حياة: «البنّي جيسيرت يردن التزواج بينك وبين أخيك. من شأنه أن يضمن الجينات...»

أفلتت منها آهة. قالت لاهثة: «البيضة في اللحم». اجتاحتها إحساس بالبرد تلاه حرارة شديدة. الخليل غير المرئي لأحلك أحلامها! اللحم الذي سيمتزج بلحمها الذي لم تستطع النبوءة أن تكشف هويته - هل سيؤول الأمر إلى ذلك؟

سأل: «هل جازفتِ بجرعة خِطرة من الاسپايس؟» نازعه شيء

بداخله للتعبير عن الرعب المهول من فكرة أن امرأة آتريديزية قد تموت، وأن پول ربما يواجهه وهو على دراية بأن أنثى من العائلة المالكة... قد رحلت.

قالت: «أنت لا تعرف معنى ملاحقة المستقبل. أحيانًا ألمح ذاتي... لكنني أعترض طريقي. لا أستطيع أن أرى من خلال نفسي». خفضت رأسها، وهزته من جانب إلى آخر.

سأل: «كم تعاطيتِ من الاسپايس؟»

قالت وهي ترفع رأسها: «الطبيعة تبغض الاستبصار. هل تعلم ذلك، يا دانكن؟»

تحدث بنعومة، وبعقلانية كأنما يخاطب طفلة صغيرة: «أخبرني بكمية الاسپايس التي تناولتها». أمسك كتفها بيده اليسرى.

قالت: «الكلمات آلة فظيعة، بدائية وغامضة جدًا». ابتعدت بجسمها عن يده.

قال: «يجب أن تخبريني»

أمرته، مشيرة بيدها: «انظر إلى الجدار العامي». أرسلت نظرتها على امتداد يدها الممدودة، مرتعشة عندما انهار المشهد في رؤية غامرة - قلعة رملية أسقطتها أمواج غير مرئية. حادت عينيها، وذُهِلت بظهور وجه الغولة أمامها. زحفت ملامحه، وشاخت، ثم صُغُرت... شاخت.. فصغرت. كان الحياة نفسها، صارمة، ولا نهائية.. استدارت لتهرب لكنه أمسك بمعصمها الأيسر.

قال: «سأستدعي طبيبًا».

«لا يجب أن تدعني أحظى بهذه الرؤية! يجب أن أعرف!»

قال: «أنت ذاهبة إلى داخل الرؤية الآن».

حدقت بيده. حيث تلامس جسدهما، شعرت بالكهرباء التي أغوتها وأرهبتها. قفزت متحررة، وقالت لاهثة: «لا يمكنك الإمساك بالزوبعة!»

قاطعها: «يجب أن تحظي بعناية طبية».

سألت: «ألا تفهم؟ رؤيتي غير مكتملة، مجرد شظايا. تومض وتقفز. عليّ أن أتذكر المستقبل. ألا يمكنك فهم ذلك؟»
سألها: «ما المستقبل لو مت؟» ثم اقتادها بلطف إلى داخل جناح العائلة.

تمت: «كلمات.. كلمات.. لا يمكنني شرح الأمر. شيء واحد يشكّل مناسبة لشيء آخر، لكن لا يوجد سبب... أو نتيجة. لا يمكننا ترك الكون كما كان. مهما حاولنا، سيظل هناك فجوة».
أمر: «استلقي هنا».

فكرت: إنه مفضل جدًا!

لفتها ظلال باردة. شعرت بأن عضلاتها تتلوى مثل الديدان- سرير صلب كانت تعرف أنه بلا جوهر. فقط الفضاء كان سرمدياً. لا شيء آخر له جوهر. كان السرير يتدفق بالعديد من الأبدان، كلها أبدانها. أصبح الزمن إحساسًا متعددًا، مُثقلًا. لم يقدم لها أي رد فعل لتستخلصها. كان الزمن. تحرك. الكون كله انزلق للخلف، للأمام، جانبيًا.

أوضحت: «ليس له جوانب. لا يمكنك النفاذ من تحته أو الالتفاف من حوله. ليس هناك مكان للحصول على أي نفوذ».
جاء أناس يرفرفون في كل مكان حولها. أمسك العديد من

الأشخاص بيدها اليسرى. نظرت إلى جسدها المتحرك، وتابعت ذراعاً ملتفة وصولاً إلى وجه أشبه بقناع سائل: دانكن آيداهو. كانت عيناه... خاطئتين لكنه كان دانكن - طفل - رجل - مراهق - طفل - رجل - مراهق... كل تجعيدة في ملامحه تشي بالقلق عليها.

همست: «دانكن، لا تخف».

ضغط على يدها، وأوماً. قال «ابقي ساكنة».

وفكر: لا يجب أن تموت! لا يجب! لا يمكن لامرأة من آل أتريديز أن تموت! هز رأسه بحدة. تحدثت مثل تلك الأفكار منطقتهم المنتاتي. الموت كان ضرورة حتى يمكن للحياة الاستمرار. فكرت عالية: الغولة يحبني.

غدت الفكرة حجر الأساس الذي قد تتشبث به. كان الغولة وجهاً مألوفاً داخل غرفة صلبة تمتد خلفه. تعرفت على إحدى غرف النوم في جناح پول.

راح شخص ثابت لا تتبين ملامحه يفعل شيئاً في حلقها مستخدماً أنبوباً. قاومت رغبة في التقيؤ.

قال صوت: «وصلنا إليها في الوقت المناسب». وتعرفت على نغمة صوت طبيب الأسرة. «كان يجب أن تستدعيني عاجلاً». كان هناك شك في صوت الطبيب. شعرت بالأنبوب ينزلق من حلقها - ثعبان، حبل متألئ.

قال الطبيب: «الحقنة التي أعطيتها لها عبر الحلق ستجعلها تنام. سأرسل إحدى خادمتها إلى -»
قال الغولة: «سأبقى معها».

انفعل الطبيب: «ذلك ليس لائقاً».

همست عالية: «ابق يا دانكن».

مسد يدها ليخبرها بأنه سمعها.

قال الطبيب: «مولاتي، سيكون من الأفضل لو...»

قالت: «لا تخبرني ما الأفضل». حلقها يؤلمها مع كل مقطع

تفوهت به.

قال الطبيب بنبرة اتهامية: «مولاتي، أنت تعرفين مخاطر
تعاطي كمية هائلة من المزاج. لا يمكنني إلا افتراض أن أحدهم
قد أعطاك إياها من دون -»

قالت بصوت متحشرج: «أنت أحمق. هل تحرمني من رؤياي؟
كنت أعرف ما أخذته ولماذا». وضعت يدها على حلقها. «اتركنا.
فوراً!»

انسحب الطبيب من مجال رؤيتها وهو يقول: «سأعلم أخاك».
انتظرت حتى غادر، ثم حوّلت انتباهها إلى الغولة. تكمن
الرؤية بوضوح في وعيها الآن، وسط استنباتي نما فيه الحاضر
إلى الخارج. شعرت بتحريك الغولة في مسرحية الزمن تلك، التي
لم تعد مشفرة، مثبتة الآن على خلفية يمكن التعرف عليها.
فكرت: هو البوتقة.. الاختبار القاسي. هو الخطر وهو
الخلاص.

ارتجفت وقد علمت أنها رأت الرؤية التي رآها شقيقها. دموع
غير مرغوبة أحرقت عينيها. هزت رأسها بحدة. لا دموع! أهدرت
الرطوبة، والأسوأ من ذلك أنها شتت انتباهها عن التدفق الساطع
للرؤية. يجب إيقاف پول! مرة، مرة واحدة فقط من قبل، عبرت

الزمن لتضع صوتها حيث سيمر پول. لكن التوتر وقابلية الرؤية للتحويل لن يسمحا بذلك هنا. مرت شبكة الزمن عبر شقيقتها الآن مثل أشعة الضوء عبر العدسة. وقف پول في بؤرة الزمن وكان يعرف ذلك. جمع كل الخطوط في يديه، ولم يسمح لها بالهروب أو التغيير.

تمتت: «لماذا؟ هل هي الكراهية؟ هل كان يشن هجومًا على الزمن لأنه آذاه؟ هل تلك هي.. الكراهية؟»

قال الغولة معتقدًا أنه سمعها تنطق باسمه: «مولاتي؟»
صرخت: «إذا كان بإمكانني فقط تدمير هذا الشيء وتخليص نفسي منه لا أريد أن أكون مختلفة.»

همس: «أرجوك يا عالية. اسمحي لنفسك بالنوم.»
همست: «أردت أن أكون قادرة على الضحك». انزلقت الدموع على خديها. «لكنني أخت إمبراطور يُعبد كإله. الناس يرهبونني. لم أرغب قط في أن أكون مرهوبة.»
مسح الدموع عن وجهها.

همست: «لا أريد أن أكون جزءًا من التاريخ. أريد أن أكون محبوبة... وأن أحب.»
قال: «أنت محبوبة.»

قالت: «آه، يا دانكن المخلص.. المخلص.»
قال متوسلاً: «أرجوك، لا تتادني بذلك.»
قالت: «لكنك كذلك. والإخلاص سلعة قيمة. يمكن بيعها. لا يمكن شراؤها لكن يمكن بيعها.»

قال: «أنا لا أحب سخريتك.»

«اللجنة على منطقتك! هي الحقيقة!»

قال: «نامي!»

سألت: «هل تُحبني يا دانكن».

«نعم».

سألت: «هل هذه واحدة من تلك الأكاذيب.. واحدة من الأكاذيب التي يسهل تصديقها مقارنة بالحقيقة؟ لماذا أخشى أن أصدقك؟»

«أنت تخشين اختلافاتي كما تخشين اختلافاتك».

جأرت: «كن إنساناً، وليس منماتاً!»

«أنا منمات وإنسان».

«هل تتخذني امرأتك، إذن؟»

«سأفعل ما يتطلبه الحب».

«والإخلاص؟»

«والإخلاص».

قالت: «وفي ذلك تكمن خطورتك».

أزعجته كلماتها. لم تظهر أي علامة على الانزعاج على وجهه - لم تهتز عضلة - لكنها عرفت. عرّت الذكرى - الرؤية شعوره بالانزعاج. أحست أنها أغفلت جزءاً من الرؤية لكن يجب أن تتذكر شيئاً آخر من المستقبل. يوجد إدراك آخر لا تميزه الحواس بالتحديد، شيء سقط في رأسها من العدم كما يفعل الاستبصار. كان يكمن في ظلال الزمن - مؤلم بلا حدود.

عاطفة! كانت تلك هي - عاطفة! تجلت في الرؤية، ليس بشكل مباشر، ولكن كنتاجٍ يمكنها من خلاله استنتاج ما يختبئ

وراءها. استحوذت عليها هذه العاطفة - شعور بالاختناق يتألف من الخوف والحزن والحب. تقبع تلك العاطفة هناك في الرؤية، وكلها مجمعة داخل جسم وبائي واحد، ساحق وبدائي.

همست: «دانكن، لا تتركني أذهب».

قال «نامي. لا تصارعيه».

«يجب علي... يجب علي. هو الطعم في مصيدته. هو خادم القوة والرعب. والعنف.. التآليه سجن يطوقه. سوف يخسر.. كل شيء. سوف يمزقه».

«هل تتكلمين عن پول؟»

لهثت وهي تقوَّس ظهرها: «دفعوه إلى تدمير ذاته. أثقال جسام، حزن هائل. يغرونه بعيداً عن الحب». ارتمت عائدة إلى السرير. «يخلقون عالماً حيثما لن يسمح لنفسه بالعيش فيه». «من يفعل هذا؟»

«هوا أوه، أنت مفضل جداً. إنه جزء من النمط. وقد فات الأوان... فات الأوان... فات الأوان...».

بينما كانت تتحدث، شعرت أن وعيها يهبط، طبقة تلو الأخرى حتى استقر أخيراً خلف سرَّتتها مباشرة. انفصل الجسد والعقل واندمجا في مخزن من الرؤى الأثرية - لا تتفك تتحرك.. وتتحرك. سمعت دقات قلب الجنين، طفل مستقبلي. لا يزال المزاج يستولي عليها، ويهيم بها بغير هدى في الزمن. عرفت أنها ذاقت حياة طفل لم يُنجَب بعد. شيء واحد مؤكد بشأن هذا الطفل - سيعاني نفس الصحوه التي عانتها. سيكون كياناً مُدرِكاً ومفكراً قبل الولادة.

هناك حد للقوة التي يمكن أن يستعملها حتى
الأقوى دون تدمير ذاته. تقدير هذا الحد يمثل
البراعة الحقيقية للحكومة. سوء استخدام السلطة
هو الطامة الكبرى. لا يمكن للقانون أن يكون أداة
ثأر، أو رهينة على الإطلاق، أو تحصيناً ضد الشهداء
الذين خلقهم. لا يمكنك أن تهدد أحداً وتهرب من
العواقب.

المؤدّب عن «القانون»
من «تعقيب ستيلجار»

حدقت تشاني إلى مشهد الصحراء الصباحي المؤطر في
الصدع المتشقق أسفل سييتش تبر. لم تكن ترتدي بذلة تقطير،
ما جعلها تشعر بأنها غير محمية هنا في الصحراء. كان مدخل
مفارة السييتش متوارياً في الجرف الناتئ فوقها وخلفها.
الصحراء... الصحراء... شعرت بأن الصحراء قد تبعثها أينما
ذهبت. لم تكن العودة إلى الصحراء بمثابة عودة إلى الديار بقدر
ما كانت استدارة لرؤية ما طالما كان هناك.

سرت انقباضة مؤلمة عبر بطنها. اقتربت ساعة الولادة.
قاومت الألم، وقد أرادت هذه الخلوة بنفسها مع صحرائها.
سكون الفجر سيطر على الأرض. هربت الظلال بين الكثبان
الرملية وشرفات الجدار الحامي من حولها. اندفع ضوء النهار
فوق المنحدر المرتفع وغمرها حتى وصل إلى عينيها في مشهد

قاتم يمتد تحت سماء زرقاء صافية. تطابق المشهد مع التشاؤم المرعب الذي عذبها منذ اللحظة التي علمت فيها بعمى پول.

تساءلت: لماذا نحن هنا؟

لم تكن هجرة؛ رحلة بحث. لم يبحث پول هنا عن أي شيء سوى، ربما، مكاناً لها لتلد فيه. استدعى رفقاء غربيين لهذه الرحلة حسب اعتقادها - قزم التليلاكسو بجاز؛ والغولة حياة الذي قد يكون دانكن آيداهو العائد من الموت، وإدريك سفير- رجل توجيه النقابة؛ وجايس هيلين موهيم الأم المبجلة للبني جيسيرت التي كان يكرهها بوضوح؛ وليشنا، ابنة عثيم الغربية الأطوار، التي بدت ممنوعة من الحركة بعيداً عن أعين الحراس اليقظة؛ وستيلجار عمها من عائلة النواب، وزوجته الأثيرة حارة... وإيrolان... وعالية...

صاحب أفكارها هدير الريح العاصفة عبر الصخور. أصبح نهار الصحراء أصفر في أصفر، أسمر في أسمر، رمادي في رمادي.

«لماذا مثل هذا الخليط الغريب من الرفقاء؟»

قال پول ردّاً على سؤالها: «نسينا أن كلمة «صُحبة» تعني في الأصل رفقاء السفر. نحن صُحبة».

«ولكن ما قيمتهم؟»

قال مديراً محجريه المخيفين تجاهها. «انظري من حولك، لقد افتقدنا رتبة العيش الواضحة تلك. ما لا يمكن تعبئته أو ضربه أو الإشارة إليه أو اكتنازه، لا نعطيه أي قيمة».

قالت متألّمة: «ليس هذا ما قصدته».

قال بنبرة مهدئة: «آه، يا أعز الناس، نحن أثرياء جدًا بمقياس المال وفقراء جدًا بمقياس الحياة. أنا شرير، وعنيد، وغبي». «لست كذلك».

«ذاك أيضًا صحيح. لكن يديَّ زرقاوان بالزمن. أعتقد.. أعتقد أنني حاولت اختراع حياة غير مدرك أنها مُخترعة بالفعل». ثم لمس بطنها ليشعر بالحياة الجديدة في أحشائها. متذكرة، وضعت كلتا يديها فوق بطنها، وارتعشت، آسفة لأنها طلبت من پول إحضارها هنا. أثارت رمال الصحراء روائح شريرة من المزارع على الأطراف، والتي رسّخت الكثبان الرملية عند قاعدة الجرف. سيطر عليها تطيّر الفِرمِن: روائح شريرة، أوقات شريرة. واجهت الريح، ورأت دودة تظهر خارجة من المزارع. نهضت من الكثبان، من الرمل المسحوق كمقدمة سفينة شيطانية، وشمّت رائحة المياه القاتلة لجنسها، ثم فرّت تحت ربوة طويلة محفورة في الرمال.

كرهت الماء حينذاك، وقد ألهمها خوف الدودة. ذات يوم، صار الماء، الذي كان سابقًا روح-جوهر أَرَاكس، سمًا. جلب الماء الطاعون. فقط الصحراء كانت طاهرة.

تحتها، ظهرت جماعة عمل فِرمِنية. تسلقوا حتى المدخل الأوسط للسييتش، ولمحت أقدامهم الموحلة. فِرمِن بأقدام موحلة.

بدأ أطفال السييتش أعلاها بالغناء مستقبليين الصباح، أصواتهم تصدح من المدخل العلوي. بسبب تلك الأصوات، ساورها شعور بأن الزمن يتهرب منها مثل الصقور في مواجهة الريح. اقشعرت.

أي عواصف رآها بول برؤيته المجردة من الأعين؟

استشعرت رجلاً مجنوناً وحشياً بداخله، شخص سئم من الأغاني والمجادلات.

السماء التي لاحظتها سابقاً، صارت الآن رمادية بلورية زاخرة بأشعة المرمر، تصميمات غريبة محفورة عبر السماوات برمال حملتها الرياح. لفت انتباهها خطٌ أبيض لامع في الجنوب. باتت عيناها يقظتين فجأة، وترجمت العلامة: سماء بيضاء في الجنوب: فم الشهي هولود. عاصفة آتية، رياح عاتية. شعرت بالنسيم المحذّر، هبوب بلوري من الرمال يلفح خديها. عبق الموت جاء مع الريح: روائح المياه المتدفقة في القنوات، والرمال المعرّقة، ورائحة احتكاك حجري صوان. الماء- ولهذا أرسلت الشهي هولود رياح كوريوليسية.

ظهرت الصقور في الصدع حيث تقف، بحثاً عن الأمان من الريح. كانت الصقور بنية كالصخور، وأجنحتها مرقطة ببقع بنية. شعرت أن بروحها تهفو إلى هذه الطيور: لديها مكان للاختباء. أما هي فليس لديها مثل ذلك المكان.

«الريح آتية يا مولاتي!».

استدارت ورأت الغولة يناديها من خارج المدخل العلوي للسييتش. سيطرت عليها مخاوف فرمسية. فهمت الموت التنظيف ووهبَ ماء الجسد للقبيلة. لكن... شيء عائد من الموت... لطمتها الرمال التي عصفت بها الرياح، وتسببت في احمرار خديها. نظرت من فوق كتفها إلى شريط الغبار المرعب عبر السماء. اتخذت الصحراء تحت العاصفة مظهرًا أسمر مضطربًا

كما لو أن أمواج الكثبان الرملية ترتطم بشاطئ عاصف بالطريقة التي وصف بها پول البحر ذات مرة. ترددت، متأثرة بإحساس عابرية الصحراء. سرعة زوالها. قياسًا إلى الأبدية، لم تكن هذه أكثر من مرجل. رزاز أمواج الكثبان الرملية المتكسرة يهدر فوق المنحدرات.

أصبحت العاصفة هناك شيئًا كونيًا بالنسبة إليها- كل الحيوانات تختبئ منها... لم يبق من الصحراء سوى أصواتها الخاصة: الرمال التي تعصف بها الريح تخدش الصخور، صفير دفقة من الرياح، جلجلة جلمود صخر سقط فجأة من تله- إذن! في مكان ما متوارٍ عن الأنظار، دودة مقلوبة تتخبط في طريقها الأخرق الممتد أمامها وتزلق إلى أعماقها الجافة.

كانت مجرد لحظة قاست فيها حياتها الزمن، لكنها في تلك اللحظة شعرت بأن هذا الكوكب يكتسح بعيدًا - بات غبارًا كونيًا، جزءًا من موجات أخرى.

قال الفولة من جانبها مباشرة: «يجب أن نسرع».

شعرت حينذاك بخوفه عليها، قلقه على سلامتها.

قال: «سوف تمرق لحملك عن عظامك»، كما لو كان بحاجة إلى شرح مثل هذه العاصفة لها.

تبدد خوفها منه بسبب قلقه الواضح عليها، وسمحت تشاني للفولة بمساعدتها في صعود السلم الصخري إلى السبيتش. دخلا عبر الحاجز الملتوي الذي يحمي المدخل. فتح الحرس المرافقون أقفال الرطوبة، وأغلقوها وراءهما.

اخترقت روائح السييتش منخاريها. كان المكان عبارة عن تخمر من ذكريات الأنف - التقارب الشديد بين الأبدان، وروائح الاسترات (الأملاح العضوية) الزنخة من أوعية التقطير المخصصة لاستعادة الرطوبة، وعبير الطعام المألوف، ورائحة الاحتراق الصخري لآلات التي تعمل... ومن خلال ذلك كله، الاسپايس المتغلغل: الاسپايس في كل مكان. استنشقت نفساً عميقاً. «الوطن».

سحب الغولة يده من فوق ذراعها، ووقف جانباً، شخصية هامدة الآن، كما لو كان قد انطفأ تقريباً عندما لم يكن قيد الاستخدام. ومع ذلك... راقب بعينه.

ترددت تشاني عند غرفة المدخل، حائرة من شيء لم تستطع تسميته. كان هذا حقاً وطنها. عندما كانت طفلة، كانت تصطاد العقارب هنا مهتدية بضوء كرة الإنارة. غير أن شيئاً قد تغير..

سأل الغولة: «ألا يجب أن تذهبي إلى جناحك يا مولاتي؟» كأن كلماته قد حفزتها، استولت انقباضة ولادة متموجة أخرى على بطنها. قاتلت حتى لا تُظهر الألم. قال الغولة: «مولاتي».

سألت: «لماذا خاف پول عليّ من إنجاب أطفالنا؟»

قال الغولة: «الخوف على سلامتك طبيعي».

مدت يدها إلى خدها المحمر بفعل الرمال. «وَألا يخاف على الأطفال؟»

«مولاتي، لا يمكنه التفكير في طفل دون أن يتذكر أن ابنك البكر قد ذُبِح على يد الساردوكار».

جالت بعينها في الغولة - الوجه المسطح، العينان الميكانيكيتان غير المقروءتين. هل كان هذا المخلوق دانكن آيداهو حقًا؟ هل كان صديقًا لأحد؟ هل تكلم بصدق الآن؟

قال الغولة: «يجب أن تكوني برفقة الأطباء».

مجددًا سمعت الخوف على سلامتها في صوته. شعرت فجأة

أن عقلها غير محصن، مستعد لأن تغزوه تصورات مروعة.

همست: «حياة، أنا خائفة. أين أصولي».

قال الغولة: «شؤون الحكم تعوقه».

أومأت برأسها وهي تفكر في الجهاز الحكومي الذي رافقهم

في رحلة ضخمة من طائرات الأورنيثوبتر. فجأة، أدركت ما

يحيرها بشأن السييتش: روائح العالم الخارجي. جلب الموظفون

والخدم عطورهم الخاصة إلى هذه البيئة، روائح الطعام والملابس،

وأدوات النظافة الغريبة. انتشرت روائح خفية هنا. اهتزت تشاني،

وأخفضت رغبة في الضحك المرير. حتى الرائحة تغيرت في وجود

المؤدّب.

قال الغولة وقد أخطأ في قراءة سبب تردها: «كانت هناك

أمور ملحة لا يستطيع تأجيلها».

«أجل.. أجل. أفهم. أتيت مع ذلك السرب أيضًا».

تذكرت الرحلة من أراكين، معترفة إلى نفسها الآن أنها لم

تتوقع النجاة منها. أصر پول على أن يقود ثوبتره. بلا عينين،

أرشد الآلة إلى هنا. بعد تلك التجربة، عرفت أن لا شيء يفعله

يمكن أن يفاجئها.

سرت دفقة أخرى من الألم في بطنها.

رأى الغولة أنفاسها المكتومة في صدرها، وتشنج خداهما،
فقال: «هل أزلت ساعة ولادتك؟»
«أنا... نعم قد أزلت».

قال: «يجب ألا ترجئها». أمسك بذراعها وسارع بها على
امتداد الممر.

شعرت بالذعر المستولي عليه، فقالت: «أمامنا وقت».

يبدو أنه لم يسمعها. قال، يحثها على الإسراع أكثر حتى: «نهج
الزِنْسُون في الولادة هو الانتظار دون غاية في حالة قصوى من
التوتر. لا تصارعي ما يحدث. التصارع تأهبٌ للفشل. لا تقعي في
شرك الحاجة إلى تحقيق أي شيء. بهذه الطريقة، يمكنك تحقيق
كل شيء».

في أثناء حديثه، بلغا مدخل جناحها. دفعها عبر الستائر
وصرخ: «حارّة! حارّة، أزلت ساعة ولادة تشاني. استدعي الأطباء!»
جلب نداؤه الخدم المرافقين الذين أتوا مهرولين. كان هناك
صخب كبير من الناس شعرت وسطه تشاني بأنها جزيرة منعزلة
من الهدوء... حتى داهمها الألم التالي.

حياة، الذي طُرد إلى الممر الخارجي، استغرق وقتًا للتعجب
من أفعاله. شعر بأنه راسخ في نقطة معينة من الزمن حيث كانت
كل الحقائق مؤقتة فقط. أدرك أن الذعر يكمن وراء أفعاله. لم
يتمحور الذعر حول احتمال وفاة تشاني، ولكن حول قدوم پول
إليه بعد ذلك.... مملوء بالشكوك... محبوبته... رحلت... رحلت..
قال الغولة لنفسه: لا شيء يمكن أن ينبثق من العدم. ما منبع

هذا الذعر؟

شعر بأن قدراته المنتائية باتت ضعيفة، وزفر نفسًا طويلًا مرتجفًا. عبر فوقه ظلٌ خارق للطبيعة. في ظلامه العاطفي، شعر بأنه ينتظر صوتًا مُطلقًا - صوت أشبه بتكسر غصن في غابة. هزته تهيدة. مر الخطر دون أن يضرب ضربته.

بيطء، حشد قواه، متخلصًا من شذرات من التثبيط، وانغمس في وعي المنتات. أجبر نفسه على ذلك- ليست أفضل وسيلة ولكنها ضرورية. تحركت ظلال الأشباح بداخله بدلًا من الناس. كان بمثابة محطة شحن عابرة لكل معلومة واجهها على الإطلاق. سكنت كيانه مخلوقات محتملة. مرقوا أمامه وخضعوا للتقييم من أجل المقارنة والحكم عليهم.

تفصد العرق فوق جبهته.

أفكار بحواف ضبابية تبخرت إلى الظلام - مجهولة. أنظمة لا نهائية لا يمكن للمنتات أن يعمل دون أن يدرك أنه عمل في نطاق أنظمة لا نهائية. لا يمكن أن تحيط المعرفة الثابتة باللامتناهي. لا يمكن وضع كل مكان في منظور محدود. بدلًا من ذلك، يجب أن يصبح هو اللامتناهي- ولو للحظات.

في دفقة خاطفة واحدة، استحوذ عليها، ورأى بجاز جالسًا أمامه متأرجحًا بنار داخلية.

بجاز!

فعل القزم شيئًا به!

شعر حياة بنفسه يترنح على شفا حفرة مميتة. رسم خط حساب المنتات مآدًا إياه إلى الأمام، ورأى ما يمكن أن ينجم عن أفعاله.

قال: «إلزام قهري! أنا مجهّز بإلزام قهري!»

ساع يرتدي رداء أزرق، عبر لحظة تكلم حياة، قال متردداً: «هل

قلت شيئاً يا سيدي؟»

أوما الغولة برأسه دون أن ينظر إليه. «لقد قلتُ كل شيء».

كان يا مكان
قفز رجل بالغ الحكمة،
داخل مكان رملي
وأحرق كلتا عينيه!
وعندما عرف أن عينيه ذهبتا،
لم يشتك.
استدعى رؤية،
وجعل من نفسه قديسًا.

مقطع شعري للأطفال
من «تاريخ المؤدّب»

وقف پول في الظلام خارج السييتش. أخبرته رؤية نبؤية
أنَّ الليل قد حلَّ، وأنَّ ضوء القمر يظللُّ الضريح أعلى النتوء
الصخري على يساره. كان هذا مكانًا مشبعًا بالذكريات، سييتشه
الأول، حيث هو وتشاني..

قال لنفسه: يجب ألا أفكر في تشاني.

أخبرته كأس رؤيته -الأخذه في التلاشي- بالتغيرات في
كل مكان - مجموعة من النخيل بعيدًا في الأسفل إلى اليمين،
الخط الأسود الفضي لقناة تحمل المياه عبر الكثبان الرملية التي
تراكمت بسبب عاصفة ذلك الصباح.

الماء يتدفق في الصحراء! استعاد ذكرى نوع آخر من المياه
يجري في نهر كلادان، كوكب ولادته. لم يكن قد أدرك حينذاك

كنز مثل هذا التدفق، حتى انزلاق المياه الموحلة في قناة عبر حوض صحراوي. كنزاً

بسعال خفيف، أعلن أحد المساعدين عن وصوله من الخلف.

مد پول يديه لالتقاط لوح الوثائق الرسمية وفوقه ورقة معدنية واحدة. كان يتحرك ببطء مثل ماء القناة. تدفقت الرؤية، لكنه وجد نفسه متردداً بشكل متزايد في التحرك معها.

قال المساعد: «عفوًا يا سيدي. معاهدة سمبولة - توقيعك؟»

قال پول محتدًا: «أستطيع قراءتها». خريش پول: «الإمبراطور أتريديز» في المكان الصحيح وأعاد اللوح دافعًا إياه مباشرة في يد مساعده الممدودة، مدركًا الخوف الذي بثه فيه. ركض الرجل هاربًا.

استدار پول بعيدًا. أرض قاحلة قبيحة! تخيلها غارقة في الشمس ومتوحشة بالحرارة، مكان الانهيارات الرملية وظلام من برك الغبار، وعواصف شيطانية تفسخ الكثبان الصغيرة فوق الصخور، بطونها الضيقة ملأى ببلورات مصفّرة. لكنها كانت أيضًا أرضًا غنية: شاسعة، تتفجر من أماكن ضيقة مع آفاقٍ من الفراغ الذي تجتاحه العاصفة، منحدرات متداخلة وقمم صخرية متهدمة.

كل ما تطلبته هو الماء... والحب.

فكّر: الحياة غيّرت تلك الحثالة سريعة الغضب إلى أشكال ذات رونق وحركة. كانت تلك رسالة الصحراء. فاجأه التباين بإدراك معين. أراد أن يلتفت إلى المساعدين المتجمعين عند مدخل السييتش، ويصرخ فيهم: لو كنتم بحاجة إلى شيء للعبادة،

فاعبدوا الحياة- كل الحياة، كل جزء زاحف أخير فيها! نحن جميعاً في هذا الجمال معاً!

لن يفهموا. في الصحراء، كانوا صحراء بلا نهاية. لم تؤدّ الأشياء النامية أي رقصة خضراء من أجلهم.

شدّ قبضتيه على جنبه، محاولاً إيقاف الرؤية. أراد الهروب من عقله. كانت وحشاً آتياً لالتهامه! كان الوعي يكمن بداخله، مخموراً، مُثَقلاً بكل الحياة التي تشرّبها، مُشَبَّعاً بالكثير من التجارب.

يائساً، اعتصر بول أفكاره دافعاً إياها نحو الخارج.

النجوم!

انقلب الوعي عند التفكير في كل تلك النجوم التي تملؤه - حجم لا نهائي. يجب أن يكون الرجل نصف مجنون حتى يتخيل أنه يستطيع أن يحكم حتى مقدار دمعة من ذلك الحجم. لم يستطع أن يبدأ بتخيل عدد الرعايا الذي ادعت إمبراطورته أنها تحكمهم.

رعايا؟ عبادٌ وأعداء، على الأرجح. هل رأى أي واحد منهم ما هو أبعد من المعتقدات الجامدة؟ هل هرب رجل واحد من المصير الضيق لتحيزاته؟ ولا حتى إمبراطور هرب. عاش حياة «اظفر بكل شيء»، وحاول أن يخلق عالمه على صورته ومقاسه، لكن الكون البهيج تحرر متجاوزاً إياه أخيراً بموجاته الصامتة.

فكر: بصقتُ على كتيب. أعطيته رطوبتي!

هذه الأسطورة التي صنعها من تحركات معقدة وخيال، من ضوء القمر والغرام، من صلوات أقدم من آدم، ومنحدرات

رمادية وظلال قرمزية، ومرثيات وأنهار الشهداء- إلى أين آلت في النهاية؟ عندما تتحسر الأمواج، ستتتشر شيطان الزمن هناك نظيفة وخالية، مشرقة بحبّاتٍ لا متناهية من الذاكرة، ويضع أشياء أخرى. هل كان هذا هو التكوين الذهبي للإنسان؟ أخبرته الرمال المكدّسة فوق الحجارة أن الغولة قد انضم إليه.

قال پول: «كنت تتجنبني اليوم يا دانكن».

قال الغولة: «من الخطر أن تتاديني بهذا».

«أعرف».

«أنا... جئت لتحذيرك يا مولاي».

«أعرف».

قصة الإلزام القهري الذي وضعه عليه بجاز انسكبت من فم الغولة آنذاك.

سأل پول: «هل تعرف طبيعة هذا الإلزام القهري؟»

«عنف».

شعر پول أنه وصل إلى المكان الذي استدعاه إليه منذ البداية. وقف مُعلّقًا. استولى عليه الجهاد، وثبّته في ممر منزلق لن تحرره جاذبية المستقبل الرهيبة منه أبدًا.

همس پول: «لن يبدرُ عنف عن دانكن».

«لكن مولاي...».

قال پول: «أخبرني بما تراه من حولنا».

«مولاي؟»

«الصحراء - كيف هي الليلة؟»

«ألا تراها؟»

«ليس لدي عينان، يا دانكن».

«ولكن ..»

قال پول: «لدي رؤيتي فقط، وأتمنى لو لم تكن لدي رؤيتي. أنا أحتضر من الاستبصار، هل تعلم ذلك، يا دانكن؟»
قال الغولة: «ربما .. ما تخشاه لن يحدث».

«ماذا؟ وأكذب نبوءتي؟ كيف يمكنني ذلك وقد رأيتها تتحقق آلاف المرات؟ يسميها الناس قدرة، هبة. لكنها بلاء! لن تسمح لي بترك حياتي حيث وجدتها!»

تمتم الغولة: «مولاي، أنا ... إنه ليس .. يا سيدي الشاب، أنت ... أنا ..». سكت.

استشعر پول حيرة الغولة، فقال: «بماذا دعوتني يا دانكن؟»

«بماذا؟ بماذا أنا؟ للحظة ..».

«دعوتني، «سيدي الشاب»».

«فعلت، أجل».

مدَّ پول يده، ولمس وجه الغولة: «بذلك دعاني دانكن دائماً. هل كان ذلك جزءاً من تدريب التيللاكسو لك؟»
«لا».

خفض پول يده. «إذا ماذا؟»

«نبعت .. مني».

«هل تخدم سيديين؟»

«ربما».

«حرّر نفسك من الغولة يا دانكن».

«كيف؟»

«أنت بشري. قم بشيء بشري».

«أنا غولة!»

«لكن جسدك بشري. دانكن بالداخل هناك».

«شيء بالداخل هناك».

قال پول: «لا يهمني كيف تفعل ذلك، لكنك ستفعله».

«لديك معرفة مسبقة؟»

«المعرفة المسبقة ملعونة!»

ابتعد پول. اندفعت رؤيته إلى الأمام الآن، فجوات تتخللها، لكن

ما كانت شيئاً يمكن إيقافه.

«مولاي، لو أنك...».

«اصمت!» رفع پول يده. «هل سمعت ذلك؟»

«سمعت ماذا يا مولاي؟»

هز پول رأسه. لم يسمعه دانكن. هل تخيل الصوت فحسب؟

كان اسمه القبلي يُناديه من الصحراء- بعيداً جداً وخفيض.

«أصول.. أأ.. صصص..ووو..للل...».

«ما الأمر يا مولاي؟»

هز پول رأسه. شعر بأنه مراقب. شيء في الخارج

هناك في ظلال الليل عرف أنه هنا. شيء؟ لا- شخص.

همس: «كانت حلوة في الغالب، وكنتِ الأملى من بين الجميع».

«ماذا قلت يا مولاي؟»

قال پول: «إنه المستقبل».

ذلك الكون البشري عديم الشكل في الخارج هناك خضع إلى دفقة من الحركة، متراقصاً على لحن رؤيته. عزف على وتر قوي حينذاك. الأصداء الشبحية قد تصمد.

قال الغولة: «أنا لا أفهم يا مولاي».

قال پول: «يموت الفِرمني عندما يبتعد عن الصحراء مدة طويلة جداً. يسمونه «دوار الماء». أليس هذا غريباً؟»
«هذا غريب جداً».

اعتصر پول الذكريات، محاولاً تذكر تنفس تشاني بجانبه ليلاً. تساءل: أين تكمن الراحة؟ كل ما يتذكره هو تشاني على الإفطار في اليوم الذي غادروا فيه إلى الصحراء. كانت قلقة ومنفعلة.

سألته مسلطة عينيها إلى المعطف الرسمي الأسود بشعار الصقر الأحمر تحت رداءه الفِرمني: «لماذا ترتدي ذلك المعطف القديم؟ أنت إمبراطور!»

قال: «حتى الإمبراطور لديه ثيابه المفضلة».

دون سبب يمكن تفسيره، جلب هذا دموعاً حقيقية إلى عيني تشاني - وهي المرة الثانية في حياتها التي حطمت فيها المحاذير التي يفرضها الفِرمين.

الآن، في الظلام، فرك پول خديه، وشعر بالرطوبة هناك. تساءل: من يعطي الرطوبة للموتى؟ كان وجهه، ومع ذلك ليس ملكه. برّدت الريح الجلد الرطب. حلم ضعيف تشكّل، ثم انكسر. ما هذا التورم في صدره؟ هل كان شيئاً قد أكله؟ كم كانت هذه الذات الأخرى مريرة وشجيّة إذ أعطت رطوبة للموتى. كانت الرياح خشنة بالرمال. الجلد، جافاً الآن، كان ملكه. ولكن لمن كانت الرجفة التي بقيت؟

سمعوا النحيب، بعيداً في أعماق السийتش. غدا الصوت
أعلى... فأعلى...

دار الغولة ليواجه وهجاً مفاجئاً للضوء، فتح أحدهم أقفال
المدخل على اتساعها. في الضوء، رأى رجلاً بابتسامة فظة - لا
ليست ابتسامة بل تكشيرة حزن! كان ملازمًا فدائيًا يدعى تانديز.
وخلفه جاء حشد كبير من البشر، صمتوا جميعهم الآن بعد أن
رأوا المؤدّب.

قال تانديز: «تشانى...».

همس پول: «ميتة. سمعت نداءها».

استدار باتجاه السийتش. تعرف على هذا المكان. كان مكاناً لا
يمكن الاختباء فيه. تثير رؤيته الفياضة عصبية الفرمن. رأى پول
تانديز، واستشعر حزن الفدائي، خوفه وغضبه.

قال پول: «رحلت».

سمع الغولة الكلمات من قلب هالة مشتعلة. أحرقت صدره
وعموده الفقري ومحجري عينيه المعدنيتين. شعر بيده اليمنى
تتحرك لا شعورياً نحو السكين في حزامه. أصبح تفكيره غريباً
ومفككاً. كان دمياً تقيدها خيوط تمتد من تلك الهالة الرهيبة.
تحرك وفقاً لأوامر شخص آخر، رغبات شخص آخر. حرّكت
الخيوط ذراعيه وساقيه وفكه. كانت الأصوات تخرج من فمه،
ضجيجاً متكرراً ومرعباً.

«حراك! حراك! حراك!»

ارتفعت السكين لتضرب ضربتها. في تلك اللحظة، انتزع صوته،
وشكّل به كلمات متحشجة: «اهرب! يا سيدي الشاب، اهرب!»

قال پول: «لن نهرب. سوف نتحرك بكرامة. سنفعل ما يجب فعله».

تيبست عضلات الغولة. ارتجف، وترنح.

«... ما يجب فعله!» دارت الكلمات داخل ذهنه مثل سمكة عظيمة تطفو على السطح. «... ما يجب فعله!» آه، بدا ذلك أشبه بالدوق القديم، جدّ پول. السيد الشاب كان لديه بعض من صفات الرجل العجوز فيه.

«... ما يجب فعله!»

بدأت الكلمات تتجلى في وعي الغولة. إحساس عيش حياتين في آن واحد انتشر خلال وعيه: آيداهو/ حياة/ آيداهو/ حياة... أصبح سلسلة ثابتة من الوجود النسبي، مفردًا، وحيدًا. ذكريات قديمة اجتاحت عقله. ميّزها، وعدّلها وفقًا لأفهام جديدة، وبدأ بإدماج وعي جديد. شخصية جديدة تحققت من خلال شكل مؤقت من الاستبداد الداخلي. ظل التركيب الجديد المقوّى مهددًا بفوضى محتملة، لكن الأحداث أرغمته على التعديل الطارئ. السيد الشاب في حاجة إليه.

حينذاك انتهى الأمر. كان يعرف نفسه باسم دانكن آيداهو، متذكرًا كل شيء عن حياة كما لو أنه أودع سرًا بداخله، سرًا اشتعل بفعل مُحفزٍ مُلتهبٍ. ذابت الهالة. تخلص من إلزام التليلاكسو القهري.

قال پول: «ابق قريبًا مني يا دانكن. سأحتاج إلى الاعتماد عليك في أشياء كثيرة».

ثم أردف في حين استمر آيداهو في الوقوف مفتونًا: «دانكن!»

«نعم، أنا دانكن».

«بالطبع أنت دانكن! كانت هذه هي اللحظة التي رجعت فيها.
سنذهب إلى الداخل الآن».

سار آيداهو بجانب پول. كان مثل الأوقات الخوالي ولكن ليس مثلها. الآن بعد أن تحرر من التليلاكسو، أمكنه تقدير قيمة ما قدموه إليه. سمح له التدريب الزنسنّي بالتغلب على صدمة الأحداث. شكّل تكامل المنتات العقلي توازنًا مضادًا. أبعد كل الخوف جانبًا، واقفًا فوق المصدر. نظروا عليه الكامل إلى الخارج من موقع دهشة لا نهائية. كان ميتًا؛ صار حيًا.

قال الفدائي تانديز في حين اقتربا منه: «المرأة ليشنا، تقول إنها يجب أن تراك. قلتُ لها أن تنتظر».

قال پول: «شكرًا. الولادة...».

قال تانديز وهو يحاول مجارة خطواتهما: «لقد تحدثتُ إلى الأطباء. قالوا إنكما حظيتما بطفلين، كلاهما على قيد الحياة وموفوري الصحة».

تعثر پول فتلقفته ذراعا آيداهو: «طفلان؟!»

قال تانديز: «ولد وبنيت. رأيتهما. إنهما طفلان فرمانيان جيدان».

همس پول: «كيف.. كيف ماتت؟»

انحنى تانديز مقتربًا: «مولاي؟»

قال پول: «تشانبي؟»

قال تانديز بصوت منخفض وخشن: «كانت الولادة يا مولاي، قالوا إن سرعتها استنزفت جسمها. لا أفهم لكن ذلك ما قالوه».

همس پول: «خذني إليها».

«مولاي».

«خذني إليها!»

«ذلك حيث نحن ذاهبون يا مولاي».

مجددًا، انحنى تانديز مقتربًا من پول. «لماذا يحمل غولتك
سكينًا غير مغمّدة؟»

«دانكن، نحّ سكينك بعيدًا. ولى وقت الغنف». في حين
يتحدث، شعر پول بأنه أقرب إلى صوته منه إلى الآلية التي
خلقت الصوت. طفلان!

احتوت الرؤية على طفل واحد فقط. ومع ذلك، سارت هذه
اللحظات كما سارت الرؤية. كان هناك شخص هنا شعر بالظلم
والغضب. كان وعيه في قبضة طاحونة مريعة تعيد شريط حياته
من الذاكرة.

طفلان؟

مرة أخرى تعثر. فكر: تشاني، تشاني. لم تكن هناك طريقة
أخرى. تشاني، يا محبوبتي، صدقيني أن هذا الموت كان أسرع
لك... وألطف. كانوا سيحتجزون أطفالنا كرهائن، ويعرضونك في
قفص، وحضر العبيد، ويلومونك على موتي. بهذه الطريقة... بهذه
الطريقة ندمرهم وننقذ أطفالنا.

أطفال.

مجددًا تعثر.

فكر: سمحت بذلك. يجب أن أشعر بالذنب.

ملاً صوت ارتباك صاحب الكهف الذي أمامهم. ازداد الصوت علواً بالضبط كما يتذكر أنه علا في الرؤية. أجل، كان هذا هو النمط، النمط الذي لا يرحم، حتى مع وجود طفلين.
قال لنفسه: تشاني ميتة.

في لحظة ما بعيدة في ماضٍ شاركه مع آخرين، وصل هذا المستقبل إليه. طارده واقتاده إلى هاوية جدرانها ضاقت أكثر فأكثر. يمكن أن يشعر بهم يقتربون منه. كانت هذه هي الطريقة التي سارت بها الرؤية.

تشاني ميتة. يجب أن أترك نفسي للحزن.

لكن لم تكن هذه هي الطريقة التي سارت بها الرؤية..

سأل: «هل استُدعيت عالية؟»

قال تانديز: «إنها برفقة صديقات تشاني».

شعر پول أن الغوغاء ينضغطون إلى الورا لإفساح الطريق أمامه للمرور. صمتهم ماج أمامه. بدأ الارتباك الصاخب يتلاشى. ملاً السييتش إحساساً بالاحتقان. أراد إبعاد الناس عن رؤيته، فوجد ذلك مستحيلاً. كان كل وجه يستدير ليتبعه، يحمل بصمته الخاصة. كانت تلك الوجوه فضولية بلا رحمة. شعروا بالحزن، نعم، لكنه فهم القسوة التي اجتاحتهم. كانوا يشاهدون المفوّه يغدو أبكم، والحكيم يصبح أحمق. ألم يناشد المهرج القسوة دائماً؟
كان هذا أكثر من مجرد دورية موت، وأقل من صلاة على روحٍ راحلة.

شعر پول بأن روحه تتوسل إلى الراحة، لكن الرؤية لا تزال تحركه. قال لنفسه: لم يتبق سوى القليل الآن. سواد، ظلام بلا

رؤية ينتظره في المستقبل. هناك يكمن المكان الذي اقتلَع فيه من الرؤية بالحزن والذنب، المكان حيث سقط القمر. تعثر به، وكان من الممكن أن يسقط لو لم يمسك أيدهو ذراعه بقبضة حازمة، حضور قوي يعرف كيف يشارك حزنه في صمت.

قال تانديز: «هنا المكان».

قال أيدهو وهو يساعده على عبور عتبة مدخل: «انتبه لخطوتك يا مولاي». داعبت الستائر وجهه پول. شدّه أيدهو ليُوقفه. شعر پول بالحجرة لحظتذاك، انعكاسًا على خديه وأذنيه. كانت مساحة بجدران صخرية حيث الصخور تختبئ وراء سجاجيد مزخرفة.

همس پول: «أين تشاني؟»

أجابه صوت حارّة: «إنها هنا يا أصول».

زفر پول تتهيدة مرتجفة. كان يخشى أن جسدها كان بالفعل قد أُزيل إلى وعاء التقطير الذي يستعيد فيه الفِرم من ماء القبيلة. هل كانت تلك هي الطريقة التي سارت بها الرؤية؟ شعر بأنه منبوذ في عماه.

سأل پول: «الطفلان؟»

قال أيدهو: «إنهما هنا أيضًا يا مولاي».

قالت حارة: «لديك توأمان جميلان، يا أصول، ولد و بنت. ترى؟ وضعناهما هنا في حضّانة».

فكر پول بدهشة: طفلان. احتوت الرؤية على ابنة فقط. حرّر نفسه من ذراع أيدهو، وتحرك باتجاه المكان الذي تتحدث حارّة منه، متعثراً بسطح صلب. استكشفته يدها: إطار الزجاج المتحول لحضّانة.

أمسك أحدهم بذراعه اليسرى. «أصول؟» كانت حارّة. وجّهت يده إلى داخل الحضّانة. شعر بلحم غض طري. كان دافئًا! شعر بضلوع، بتنفّس.

همست حارّة: «هذا هو ابنك». حرّكت يده. «وهذه ابنتك». شدّت يدها على يده. «أصول، هل أنت حقًا أعمى الآن؟» كان يعرف ما كانت تفكر فيه. يجب هجر الأعمى في الصحراء. لم تتحمل قبائل فرمن أي عبءٍ ثقيل.

قال پول متجاهلاً سؤالها: «خذيّني إلى تشاني». فأدارته حارّة وقادته إلى اليسار.

شعر پول بنفسه يتقبّل الآن حقيقة أن تشاني كانت ميتة. احتل مكانه في عالم لم يرغب فيه، مرتديًا جسدًا لا يلائمه. كل نفس يستشقه سحق مشاعره. طفلان! تساءل إن كان قد ألزم نفسه مسارًا لن تعود فيه رؤيته الاستبصارية إليه أبدًا. بدا ذلك تافهًا. «أين أخي؟»

كان صوت عالية وراءه. سمع اندفاعها، حضورها الطاغى في حين تُمسك بذراعه من حارّة.

هسهست عالية: «يجب أن أتحدث إليك».

قال پول: «في خلال لحظة».

«الآن! الأمر يخص ليشنا».

قال پول: «أعرف. في خلال لحظة».

«لا تمتلك لحظة».

«لدي لحظات عدّة».

«لكن تشاني لا تمتلك ذلك!»

«اسكتي! تشاني ميتة».

وضع يده فوق فمها في حين بدأت بالاحتجاج. «أمرتكِ بالسكوت!» شعر بها تهدأ، فأزال يده.

قال: «صفي ما ترينه».

«بول!» صارعت الإحباط والدموع في صوتها.

قال: «لا تهتمي». وأجبر نفسه على السكون الداخلي، وفتح عينيّ رؤيته على هذه اللحظة. نعم - كانت لا تزال هنا. استلقى جسد تشاني على محفّة نقالة داخل حلقة من الضوء. سوّى أحدهم رداءها الأبيض ونعمه محاولاً إخفاء نزيف الولادة. لا يهم؛ لم يستطع أن يحوّل وعيه عن رؤية وجهها: مرآة للخلود في تلك الملامح الساكنة!

استدار، لكن الرؤية تحركت معه. رحلت... إلى غير رجعة. الهواء، الكون، كله خواء- كل مكان خواء. تساءل: هل كان هذا جوهر كفّارته؟ أراد أن يزرّف الدموع، لكنها لم تأت. هل عاش طويلاً جداً بصفته فرمناً؟ هذا الموت يتطلب رطوبته!

بكى طفل في الجوار، ثم سكت. أسدل الصوت ستارة فوق رؤيته. رحب بول بالظلام. فكر: هذا عالم آخر. طفلان.

تمخضت الفكرة وأدخلته في نشوة نبوية ضائعة. حاول استعادة تمدد العقل السرمدى للمزاج، لكن الوعي أخفق. لم تأت أي دفقة من المستقبل في هذا الوعي الجديد. شعر بأنه يرفض المستقبل- أي مستقبل.

همس: «وداعاً يا عزيزتي سيهيا».

جاء صوت عالية، القاسي والمتطلب، من مكان ما خلفه.
«أحضرت ليشنا!»
استدار پول. قال: «هذه ليست ليشنا. هذا راقص وجه. ليشنا
ميتة».

قالت عالية: «لكن اسمع ما تقول».
ببطء، تحرك پول نحو صوت أخته.
«أنا لست مدهوشًا لعثوري عليك حيًا ترزق، يا آتريديز». كان
الصوت مثل صوت ليشنا ولكن مع اختلافات طفيفة كما لو أن
المتحدث استخدم الأحبال الصوتية ليشنا لكنه ما عاد يكلف
نفسه عناء التحكم فيها بالقدر الكافي. وجد پول نفسه متأثرًا
بنغمة عجيبة من الصدق في الصوت.

سأل پول: «لست مدهوشًا؟»
«أنا سايتل، تليلاكسو من راقصي الوجوه، وأودّ أن أعرف شيئًا
قبل أن نتفاوض. هل ذلك غولة الذي أراه وراءك أم دانكن آيداهو؟»
قال پول: «هو دانكن آيداهو. ولن أفاوضك».
قال سايتل: «أعتقد أنك سوف تتفاوض».

قال پول وهو يتحدث من فوق كتفه: «دانكن، هل ستقتل هذا
التليلاكسو إن طلبت منك ذلك؟»
«أجل يا مولاي». كان هناك غضب مكبوت لمحارب برسركيون
في صوت آيداهو.

قالت عالية: «انتظرا! أنت لا تعرف ماذا ترفض».
قال پول: «لكنني أعرف».
قال سايتل: «إذًا فهو حقًا دانكن آيداهو من آل آتريديز. وجدنا
إثباتًا! يمكن للغولة أن يستعيد ماضيه».

سمع پول خطوات أقدام. ومرق أحدهم إلى يساره. جاء صوت سايتل من خلفه الآن. «ماذا تتذكر من ماضيك يا دانكن؟!»
قال آيداهو: «كل شيء. منذ طفولتي. أتذكر رؤيتك عند الحاوية عندما أخرجوني منها».
تسارعت أنفاس سايتل: «رائع.. رائع».

سمع پول الصوت يتحرك. فكر: أحتاج إلى رؤية. الظلام ضايقه. حدّره تدريب البني جيسيرت من تهديد مخيف يكمن في سايتل مع ذلك بقي الكائن صوتًا، ظلًا لحركة- يتجاوزه تمامًا.
سأل سايتل: «هل هذان طفلًا آتريديز؟»
صرخ پول: «حارّة، أبعديها عن هناك!»
صاح سايتل: «ابقي حيث أنت! كلكم. أحذركم؛ راقص وجهه يمكنه أن يتحرك بأسرع مما تظنون. يمكن أن تخطف سكين هاتين الحياتين قبل أن تلمسيني».

شعر پول بأحدهم يلمس ذراعه اليمنى، ثم يتحرك إلى اليمين.
قال سايتل: «هذا بعيد جدًا يا عالية».
قال پول: «عالية. توقفي»
تأوهت عالية: «هذا خطئي. خطئي!»
قال سايتل: «آتريديز، هلا تفاوضنا الآن؟»
من خلفه، سمع پول لعنة مبجوحة. انقبض حلقه بسبب العنف المكبوت في صوت آيداهو. يجب ألا يفقد آيداهو السيطرة على ذاته! سيقتل سايتل الطفلين!

قال سايتل: «من أجل إبرام صفقة، يتطلب المرء شيئًا لبيعه، أليس كذلك، يا آتريديز؟ هل تود استعادة تشاني؟ يمكننا أن نردّها

إليك، غولة يا آترديز. غولة بذاكرة كاملة! لكن يجب أن نُسرِعِ.
اتصل بأصدقائك ليحضروا حاوية تبريد لحفظ الجسد».

فكّر پول: سماع صوت تشاني مرة أخرى. الشعور بوجودها بجانبني. آه، لذلك أعطوني أيدها كغولة، حتى أكتشف كم أن النسخة المعاد تخليقها تشبه الأصل. لكن الآن- استرداد كامل.. بناء على سعرهم. سأكون أداة في يد التليلاكسو إلى الأبد. وتشاني.. مقيدة إلى المصير نفسه بتهديد موجه إلى أطفالنا، ومعرضة مرة أخرى إلى تأمر الكِزارة...

سأل پول مصارعاً حتى يُبقي صوته هادئاً: «أي ضغوط ستستعملونها لردّ ذاكرة تشاني إليها؟ هل ستهيئونها لـ.. لقتل أحد أطفالها؟»

قال سايتل: «نستخدم أي ضغوط نحتاج إليها. ما قولك يا آترديز؟»

قال پول: «عالية، تفاوضي مع هذا الشيء. لا يمكنني التفاوض مع ما لا أستطيع رؤيته».

قال سايتل بنبرة زهو: «اختيار حكيم. حسناً يا عالية، ماذا تعرضين عليّ بصفتك وكيلة أخيك؟»

خفض پول رأسه، وأحاط نفسه بسكون تام. لمح شيئاً في تلك اللحظة بالتحديد- أشبه برؤية لكن ليست كذلك. كانت سكيناً قريبة منه. هناك!

قالت عالية: «امنحني لحظة للتفكير».

قال سايتل: «سكيني صبورة، لكن جسد تشاني ليس كذلك. خذي قدرًا معقولاً من الوقت».

شعر پول بنفسه يرمش. لا يمكن أن يكون... ولكنه كان! شعر بعينين! كانت نقطة نظرهما غريبة وتحركتا بطريقة غير منتظمة. هناك! سبح السكين في مرمى رؤيته. بصدمة شديدة، أدرك پول نقطة الرؤية. كانت رؤية أحد طفليه! كان يرى يد سايٲل الممسكة بالسكين من داخل الحضانة! لمعت على بعد بوصات قليلة منه. نعم - ويمكنه أن يرى نفسه عبر الغرفة أيضاً - رأسه لأسفل، واقفاً بهدوء، شخص لا يمثل أي تهديد، وقد تجاهله الآخرون في هذه الحجرة.

«كبداية، يمكنك أن تخصصي لنا كل أسهمكم في تشوم؟»
احتجت عالية: «كلها؟»
«كلها».

مشاهدًا نفسه من خلال العينين في الحضانة، أخرج پول خلسة سكينه العاجية من غمد حزامه. أنتجت الحركة إحساسًا غريبًا بالازدواجية بداخله. قاس المسافة والزاوية. لن تكون هناك فرصة ثانية. جهّز جسده بنهج البني جيسيرت، وسلّح نفسه مثل زنبرك مشدود من أجل حركة واحدة مركّزة، وهو أمر يرانا يتطلب أن تكون كل عضلاته متوازنة في وحدة واحدة متقنة. اندفعت السكين العاجية من يده. ومض نصلها الحليبي مخترقًا عين سايٲل اليمنى، ودفع رأس راقص الوجه إلى الورااء. ألقى سايٲل بكلتا يديه إلى أعلى وترنح للخلف في مقابل الحائط. ارتطمت سكينه بالسقف بقعقة، قبل أن تصطدم بالأرض. ارتد سايٲل عن الحائط. وسقط على وجهه إلى الأمام، ميتًا قبل أن يلامس الأرض.

من خلال العينين في الحضانة أيضاً، شاهد پول الوجوه في
الحجرة تستدير باتجاه جسده الخالي من العينين، وقرأ تعبير
الصدمة المشتركة. ثم اندفعت عالية إلى الحضانة، وانحنت
فوقها، وأخذت الرؤية عنه.

قالت عالية: «أوه، هما سليمان. هما سليمان».

همس آيداهو: «مولاي، أكان ذلك جزءاً من رؤيتك؟»

لوح بيده باتجاه آيداهو: «لا، دع الأمر يكون. لا تشغل بالك به».

قالت عالية: «سامحني يا پول. ولكن عندما قال ذلك المخلوق

أن بوسعهم... إعادة إحياء...».

قال پول: «هناك بعض الأثمان التي لا يستطيع آتريديزي

دفعها».

تهددت قائلة: «أنا أعلم. لكنني شعرت بالإغراء...»

سأل پول: «من الذي لم يشعر به؟»

ابتعد عنهم، وشق طريقه إلى الحائط، واتفأ عليه وحاول أن

يستوعب ما فعله. كيف؟ كيف؟ الأعين في الحضانة! شعر بأنه

يقف على شفا كَشْفٍ مُرْعِبٍ.

«عيناى يا أبى».

تلألأت أشكال-كلمات أمام رؤيته غير المُبصرة.

همس پول، صوته خافت جداً بحيث لا يسمعه أي أحد. «ابنى،

أنت... مدرك».

«نعم يا أبتاه. انظرا!»

تكوّم پول في مقابل الحائط في نوبة من الدوار. شعر بأنه

منقلب على رأسه ومستنزف. حياته تخفق متجاوزة إياه. رأى

والده. كان -هو- والده. وجده، وأجداده الأقدم. تداعى وعيه عبر ممر يفوق قدرة عقله على الاستيعاب، تقف فيه سلالته الكاملة من الذكور.

سأل بصمت: «كيف؟»

ظهرت أشكال خافتة من الكلمات، بهتت ثم تلاشت، كما لو أن التركيز كان عملية مضيئة جدًا. مسح پول اللعاب من زاوية فمه. تذكر صحوة عالية في رحم الليدي چيسیکا. لكن لم يكن هناك ماء الحياة، ولا جرعة مفرطة من المزاج هذه المرة... أم كان هناك؟ هل كان جوع تشاني بسبب ذلك؟ أم أن هذا بطريقة ما هو النتاج الوراثي لسلالته التي تتبأت بها الأم الموقرة جايس هيلين موهيم؟

شعر پول بنفسه في الحضّانة حينذاك، وكانت عالية تهدل فوقه. هدّأته يداها. لاح وجهها، شيء عملاق فوقه مباشرة. قلبته حينذاك، ورأى رفيقته في الحضّانة - فتاة ذات مظهر متين، مضلّع-عظمي، جاء من إرث صحراوي. كان لديها رأس كامل من شعر أحمر مائل إلى السّمرة. في أثناء تحديقها، فتحت عينيها. تلك العينان! أطلّت تشاني من عينيها... والليدي چيسیکا. حدق حشد من البشر من تلك العيون.

قالت عالية: «انظري إلى ذلك. إنهما يحدقان بعضهما إلى بعض».

قالت حارّة: «لا يستطيع الأطفال التركيز في مثل هذا العمر».

قالت عالية: «أنا كنت أستطيع».

بيطء، شعر پول بنفسه ينفصل عن ذلك الوعي اللا نهائي.

لحظتذاك، رجع إلى جدار المبكى خاصته، مستتداً إليه. هز
أيدهو كتفه برقة.

«مولاي؟»

قال پول، منتصباً: «فليسّم ابني ليتو على اسم أبي».

قالت حازّة: «في ساعة التسمية، سأقف بجانبك بصفتي
صديقة للأُم وأعطي ذلك الاسم».

قال پول: «وابنتي، فلتسمّ غنيمة».

اعترضت حازّة: «أصول! غنيمة اسم نذير شؤم».

قال پول: «أنقذ حياتك. ما أهمية أن عالية سخرت منك
مستخدمة ذلك الاسم؟ ابنتي غنيمة، مغنم حرب».

سمع پول صرير عجلات خلفه -المحفة حيث يجري نقل
جسد تشاني. بدأت ترنيمة طقس الماء.

قالت حازّة: «ها اليوم! يجب أن أغادر الآن إن كنت سأكون
مراقبة الحقيقة المقدسة، ولأقف بجانب صديقتي لآخر مرة.
ماؤها ملك القبيلة».

تمتم پول: «ماؤها ملك القبيلة».

سمع حازّة تغادر. تحسس بيده من حوله حتى وجد كمّ أيدهو.

«خذني إلى جناحي يا دانكن».

داخل جناحه، هزّ نفسه متحرراً من أيدهو بلطف. حان
الوقت كي يكون وحيداً. ولكن قبل أن يغادر أيدهو، كان هناك
اضطراب عند الباب.

كان بجاز ينادي من عند المدخل. «سيدي!»

قال پول: «دانكن، فليتقدم خطوتين إلى الأمام. اقتله إن اقترب أكثر».

قال أيدهو: «سمعاً وطاعة».

قال بجاز: «دانكن، أليس كذلك؟ أنت دانكن آيداهو حقاً؟»
«أجل، أتذكر».

«إذا فقد نجحت خطة سايتل!».

قال پول: «سايتل ميت».

قال بجاز: «لكنني لست ميتاً، وكذلك الخطة. بالحاوية التي
كُبرت فيها لا يمكن تحقيق الأمر! سيكون لدي ماضيّ - كله. يحتاج
ذلك فقط إلى المحفز الصحيح».

«المحفز؟»

قال آيداهو بصوت مفعم بالغضب: «الإلزام القهري بقتلك.
حساب المنتات يقول: اكتشفوا أنني كنت أفكر فيك على أنك
الابن الذي لم أنجبه من قبل. بدلاً من قتلك، فإن دانكن آيداهو
الحقيقي سيسيطر على جسد الغولة. ولكن... ربما كانت لتفشل.
أخبرني أيها القزم، لو كانت الخطة فشلت، لو أنني قتلته، ماذا
بعد ذلك؟»

«أوه... بعد ذلك كنا سنتفاوض مع الأخت لإنقاذ شقيقتها. لكن
بهذه الطريقة المساومة أفضل».

استنشق پول نفساً مرتعشاً. كان يسمع المعزّين يتحركون عبر
الممر الأخير الآن نحو الغرف العميقة وأوعية تقطير الماء من الجثث.
قال بجاز: «لم يفت الأوان يا سيدي. هل ستستعيد حبك؟
يمكننا إعادتها إليك. غولة، نعم. لكن الآن - نقترح الاستعادة
الكاملة. علينا استدعاء الخدم مع حاوية التبريد، والحفاظ على
لحم محبوبتك...».

وجد پول أن الأمر أصبح أكثر صعوبة الآن. كان قد استفد
قواه في محاولة التليلاكسو الأولى لغوايته. والآن كل هذا كان من

أجل لا شيء! الشعور بوجود تشاني مجدداً...

قال پول لأيداهو، متكلمًا بلغة المعمارك الأترديزية، «أسكته».

سمع آيداهو يتحرك نحو الباب

صرَّ بجاز: «مولاي!»

قال پول، لا يزال يتحدث بلغة المعمارك: «لأنك تحبني، اصنع

لي هذا المعروف. اقلته قبل أن أتراجع عن قراري!»

صرخ بجاز: «لاااااااا».

توقف الصوت فجأة بنخرة مرعوبة.

قال آيداهو: «قتلته بلطف». مكتبة .. سرَّ مَنْ قرأ

أحنى پول رأسه، منصتًا. لم يعد بوسعه سماع المعزَّين. فكر

في الطقس الفرمني القديم الذي يؤدَّى الآن في عمق السبيتش

أسفله في حجرة تقطير الموتى حيث استعادت القبيلة ماءها.

قال پول: «لم يكن هناك خيار. تفهم ذلك، يا دانكن».

«أفهم».

«بعض الأشياء تفوق قدرة أي أحد على التحمل. انحشرتُ

في كل الاحتمالات المستقبلية التي استطعت خلقها، حتى، في

النهاية، هي من خلقتني».

«مولاي، لا يجب عليك...».

قال پول: «هناك مشكلات في هذا الكون لا إجابات عنها. لا

شيء. لا شيء يمكن فعله».

في حين يتحدث، شعر پول برابطته بالرؤية تتحطم. انكمش

عقله، مغمورًا باحتمالات لا نهائية.

أصبحت رؤيته الضائعة كالريح، تهب أنى تشاء.

نقول عن المؤدّب أنه انطلق في رحلة إلى تلك
الأرض حيث نمشي دون أن نترك آثار أقدام.

«ديباجة عقيدة الكزارة»

امتد خندق من الماء فوق الرمال، حد خارجي يؤطر مزارع
الأراضي التابعة للسييتش. جاء بعد ذلك جسر صخري ثم
الصحراء المفتوحة تحت قدمي آيداهو. احتلّ النتوء الصخري
لسييتش تبر سماء الليل خلفه. تجمد ضوء كلا القمرين فوق
حافتها المرتفعة. يحاذي بستان مجرى المياه تمامًا.

توقف آيداهو على جانب الصحراء وحدق إلى الورا في
الأغصان المزهرة فوق المياه الصامتة -الانعكاسات والواقع-
أربعة أقمار. شعر بلمس دهني لبذلة التقطير على بشرته.
غزت روائح أحجار الصوان الرطبة أنفه مخترقة المرشحات.
امتلأت الرياح العابرة للباستان بتصنُّع خبيث. أنصت بحثًا عن
أصوات الليل. كانت فئران الكنغر تسكن العشب على حافة الماء.
تردد صدى نداء بومة الصقر الرنّان في ظلال الجرف ثم علت
هسهسة شلال رملي أسقطته الريح من البيداء المفتوحة.
استدار آيداهو نحو الصوت.

لم يستطع رؤية أي حركة هناك على الكئبان الرملية المضاءة
بنور القمر.

كان تانديز من أوصل پول إلى هذا الحد. ثم عاد الرجل
ليقصّ حكايته. وسار پول إلى الصحراء - كفرمني.

قال كأن ذلك يشرح الأمر: «كان أعمى.. أعمى حقًا. قبل ذلك، راودته الرؤية التي أخبرنا بها.. لكن...».

هزة كتف. الفِرمَن العميان ينبذون في الصحراء. قد يكون المؤدّب إمبراطورًا لكنه فرمني أيضًا. ألم يشترط قبل رحيله أن يحرس الفِرمَن طفليه ويريونهما؟ كان فرمنيًا.

رأى أيدهو: الصحراء هنا هيكلية. تُظهر ضلوع صخرية فضية بنور القمر عبر الرمال؛ ثم بدأت الكثبان الرملية.

فكر أيدهو: ما كان عليّ أن أتركه بمفرده، ولا حتى لدقيقة واحدة. كنت أعرف ما دار في خلد.

أفاد تانديز: «أخبرني بأن المستقبل لم يعد بحاجة إلى حضوره المادي. عندما تركني، ناداني ثانية. كانت كلماته: «الآن أنا حر».

فكر أيدهو: اللعنة عليهم!

رفض الفِرمَن إرسال ثوبترات أو باحثين من أي نوع. كان الإنقاذ ضد عاداتهم الضاربة في القدم.

قالوا: «ستكون هناك دودة للمؤدّب». وبدؤوا يغنون من أجل الذين ألزموا أنفسهم بالصحراء، الذين ذهب مياهم إلى الشئ هولود: «يا أم الرمال، يا أبو الزمن، يا مبتدئ الحياة، امنحه حق العبور».

جلس أيدهو فوق صخرة مسطحة، وحدق إلى الصحراء. كانت الليلة بالخارج ملأى بأنماط التمويه. لا طريقة لمعرفة أين ذهب پول.

«الآن أنا حر».

تحدث آيداهو بالكلمات بصوت عالٍ، متفاجئًا بنبرة صوته. لمدة من الوقت، ترك عقله يركض، متذكرًا يومًا عندما اصطحب الطفل پول إلى سوق البحر في كلادان، وهج الشمس الباهر على الماء، ثروات البحر التي أُحضرت ميتة إلى هناك من أجل البيع. تذكر آيداهو جيرني هاليك وهو يعزف لهم موسيقى الباليست-البهجة، الضحك. قفزت الإيقاعات في وعيه، وقادت عقله في استعبادٍ أسر على امتداد بهجة استعادتها الذاكرة. جيرني هاليك. سيلومه جيرني على هذه التراجيديا. توارت موسيقى الذاكرة.

تذكر كلمات پول: «هناك مشكلات في هذا الكون لا إجابات عنها».

بدأ آيداهو يتساءل كيف سيموت پول هناك في الصحراء. بسرعة؛ بأن تقتله دودة؟ ببطء، في قيظ الشمس؟ قال بعض الفرمن في السبيتش إن المؤدّب لن يموت أبدًا، وأنه دخل إلى عالم الروح حيث توجد كل الاحتمالات المستقبلية الممكنة، وأنه سيكون موجودًا من الآن فصاعدًا في عالم المِثال متجولًا بلا نهاية حتى بعد فناء جسده.

فكر آيداهو: سيموت، وأنا عاجز عن منع ذلك.

بدأ يدرك أنه ربما يكمن لباقة مرهفة في أن يموت المرء بلا أثر وراءه- لا بقايا، لا شيء، وكوكب كامل كمقبرة. فكَر: أيها المِنتات، جَدِّ حَلًا لِنَفْسِكَ.

اقتحمت الكلمات ذاكرته - كلمات شعائر ملازم القدائيين، وهو يعين حارسًا على طفلي المؤدّب: «ليكن هذا واجبًا مقدسًا للضابط المكلف بالمسؤولية...»

أغضبته لغة الحكومة الرتيبة المتباطئة، والمفترة. أغوت الفرمن. أغوت الجميع. كان هناك رجل.. رجل عظيم، يحتضر، لكن اللغة تباطأت.. وتباطأت.. في رتابة.

تساءل ما الذي حدث لكل المعاني النقية الواضحة التي تمحو الهراء؟ في مكان ما، في مكان ضائع خلقتة الإمبراطورية، عُرِزَت تلك المعاني وأُغلق عليها ضد مصادفة إعادة الاكتشاف. بحث عقله عن حلول بأسلوب المِنتات. كانت أنماط المعرفة تتلألأ هناك. شعر امرأة فاتتة قد يلمع هكذا، مرشداً... مرشداً البحار المسحور إلى كهوف الزمرد...

بجفول مفاجئ، سحب أيدهو نفسه من النسيان الجمودي.

فكر: بدلاً من مواجهة فشلي، سأختفي داخل ذاتي!

ظلت لحظة شبه الانغماس تلك في ذاكرته. عندما فحصها، شعر بأن حياته تمتد ما دام للكون وجود. كان الجسد الحقيقي مكدساً، محدوداً في كهف إدراكه الزمردى، لكن حياة لا نهائية شاركته كيانه.

وقف أيدهو، شاعراً بأن الصحراء طهرته. بدأ الرمل يخشخش في الريح، وينقر على أسطح الأوراق في البستان خلفه. كانت هناك رائحة جافة وكاشطة للغبار في هواء الليل. خفق رداؤه على إثر هبة ريح مفاجئة.

في مكان ما بعيد في البيداء، أدرك أيدهو، أن عاصفة شعواء اندلعت، رافعة دوامات من الغبار الملتف في عنف مهسهس-دودة عملاقة من الرمال قوية بما يكفي لتمزيق اللحم من العظام. فكر أيدهو: سيصبح واحداً برفقة الصحراء. الصحراء ستشبعه .

غمرت فكرة زنسنية ذهنه مثل مياه صافية. كان يعلم أن پول سيستمر في المسير هناك. لن يخضع آترديز بالكامل للقدر، ولا حتى مع وعيه الكامل بما هو حتمي.

عبرت لمسة من الاستبصار فوق أيدهو لحظتذاك، ورأى أن الناس في المستقبل سيتحدثون عن پول من منظور البحور. رغم حياة غارقة في التراب، سيتبعه الماء. سيقولون: «جسده تعثر، لكنه واصل السباحة».

تنحى رجل خلف أيدهو.

استدار أيدهو، وميَّز خيال ستيلجار واقفاً على جسر فوق قناة.

قال ستيلجار: «لن يُعثر عليه. ومع ذلك سيحده كل الرجال».

قال أيدهو: «الصحراء ستأخذه -وتجعل منه إلهاً. ومع ذلك فقد كان دخيلاً هنا. جلب كيمياء غريبة إلى هذا الكوكب - الماء».

قال ستيلجار: «الصحراء تفرض إيقاعاتها الخاصة. رحبنا به، وأطلقنا عليه اسم مهدينا، مؤدبنا، وأعطيناه اسمه السري. قاعدة العمود.. أصول».

«فليكن لكنه لم يولد فرمناً».

«وهذا لا يغير حقيقة أننا تمسكنا به.. تمسكنا به حتى النهاية». وضع ستيلجار يده على كتف أيدهو. «كل الرجال دخلاء، يا صديقي».

«أنت عميق، أليس كذلك يا ستيل؟»

«عميق بما فيه الكفاية. أستطيع أن أرى كيف نزعزع الكون بهجراتنا. منحنا المؤدب شيئاً راسخاً. سيتذكر الرجال جهاده لذلك على الأقل».

قال آيداهو: «لن يستسلم للصحراء. إنه أعمى، لكنه لن يستسلم. إنه رجل شرف ومبادئ. تلقى تدريباً آتريديزياً». قال ستيلجار «وماؤه سينسكب على الرمال. هلم بنا». سحب برفق ذراع آيداهو. «عالية عادت وتساءل عنك».

«هل كانت برفقتك في سييتش ماكاب؟»

«نعم- لقد ساعدت في إخماد تمرد هؤلاء النواب الجبناء، وفرض الانضباط. يتلقون الأوامر منها الآن... كما أفعل أنا».

«أي أوامر؟»

«أمرت بإعدام الخونة».

«أوه». قمع آيداهو دواراً انتابه عندما نظر إلى أعلى نحو النتوء الصخري. «أي خونة؟»

«رجل النقابة إدريك، والأم الموقرة موهيم، وكربة... وقليل آخرون».

«قتلت أمًا موقرة».

«أجل. ترك المؤدّب كلمة مفادها إنه لا ينبغي فعل ذلك». هز كتفيه قبل أن يردف. «لكني عصيته تمامًا كما عرفت عالية أنني سأفعل».

حدق آيداهو مرة أخرى إلى الصحراء، وشعر بأنه أصبح كاملاً، شخصاً واحداً قادراً على رؤية نمط ما خلقه پول. استراتيجية الحكم كما أطلق عليها آل آتريديز في كتيبات تدريبهم. تساءل: الناس تابعون للحكومة لكن المحكومين يؤثرون في الحكام. هل امتلك المحكومون أي فكرة عما ساعدوا في خلقه هنا؟

قال ستيلجار وهو يتحنن: «عالية...» بدا مُحرجًا. «تحتاج إلى الراحة التي يمنحها وجودك لها».

تمتم آيداهو: «وهي الحاكمة».

«مجرد وصاية على العرش، لا أكثر».

تمتم آيداهو: «كثيراً ما قال والدها إن الحظ يمر على الجميع».

قال ستيلجار: «نبرم صفقتنا مع المستقبل. هل ستأتي الآن؟ نحتاج إليك هناك». بدا مُحرجاً مجدداً. «إنها مضطربة. تصرخ على أخيها لحظة ثم ترثيه في اللحظة التالية».

وعد آيداهو: «خلال لحظات».

سمع ستيلجار يفادر. وقف مواجهاً الريح المتصاعدة، تاركاً حبات الرمل تخشخش في مقابل بذلة تقطيره.

امتد وعي المِنتات إلى أنماط متدفقة في المستقبل. أذهلته الاحتمالات. بدأ پول بتحريك دوامة دوّارة، وما عاد هناك شيء يمكن أن يقف في مسارها.

كان البني تليلاكس والنقابة قد بالفوا في تقدير قوتهم وخسروا، وفقدوا مصداقيتهم في المقابل. اهتزت الكِزارة بخيانة كُربة وآخرين في مراتب عالية بداخلها. وكان عمل پول الطوعي الأخير؛ قبوله النهائي لعاداتهم، قد ضمن ولاء الفرمن له ولآله. كان واحداً منهم إلى الأبد الآن.

اختنق صوت عالية: «رحل پول!» صعدت بهدوء تقريباً إلى حيث وقف آيداهو، وباتت الآن بجانبه. «كان أحمق، يا دانكن!»

قال محتداً: «لا تقولي ذلك!»

قالت: «سيقول العالم كله هذا قبل أن أنتهي».

«لماذا، من أجل محبة الجنة؟»

«من أجل محبة أخي، وليس الجنة».

وسعت نباهة الزنُسُيون من وعيه. استطاع استشعار أنه لا توجد رؤية بداخلها- لم تراودها رؤية واحدة مذ وفاة تشاني. قال: «تمارسين حبًا غريبًا».

«حبًا؟ دانكن، كان عليه أن يخرج عن المسار! أي أهمية سيمتلکها ما تبقى من العالم، لو أعقبه التشظي والدمار؟ كان ليكون بأمان.. وتشاني معه!»
«إِذَا... لماذا لم يفعل؟»

همست: «من أجل محبة الجنة». ثم أردفت بصوت أكثر علوًا:
«حياة پول بكاملها كانت صراعًا للهروب من جهاده وتأليهه. على الأقل هو حر منه. أختار هذا!»
«أوه، أجل- النبوءة». هز آيداهو رأسه في تعجب. «حتى وفاة تشاني. قمره سقط».

«كان أحق، أليس كذلك يا دانكن؟»

تحشرج حلق آيداهو بحزن مكبوت.

شهقت عالية وقد انكسرت سيطرتها: «يا له من مغفل! سيعيش إلى الأبد في حين سيجب علينا نحن أن نموت!»
«عالية، لا...».

«إنه الحزن. الحزن فقط. هل تعرف ما يجب أن أفعل من أجله؟ عليّ أن أنقذ حياة الأميرة إيرولان. تلك المرأة! عليك أن تسمع حزنها. تتحب، وتعطي الرطوبة إلى الميت. تُقسِم أنها أحبته، لكنني أعرف أن ذلك كذب. تتدد بأخويتها بأقذع الشتائم، وتقول إنها ستقضي حياتها في تعليم طفلي پول».

«تثقين بها؟»

«تفوح منها رائحة الثقة!»

تمتم آيداهو: «آه». النمط النهائي انحلَّ أمام وعيه مثل تصميم منقوش على قماش. كان انشقاق الأميرة إيrolان عن الأخوية هو الخطوة الأخيرة. ترك ذلك البني چيسيرت دون أي سطوبة متبقية ضد ورثة آترديدز.

بدأت عالية تبكي، متكئة عليه، ووجهها مضغوط على صدره. «أوه، يا دانكن، دانكن! لقد رحل!»
وضع آيداهو شفثيه فوق شعرها. همس: «رجاءً».

شعر أن حزنها يمتزج بحزنه مثل تيار مياه يدخلان البركة نفسها.

قالت باكية: «أحتاج إليك يا دانكن. أحبني!»
همس: «أحبك».

رفعت رأسها، ونظرت إلى إطار وجهه الذي أناره القمر.
«أعرف يا دانكن. الحبُّ يعرف الحبَّ».

تسببت كلماتها في رجفة سرت عبره، وساوره شعور بالاغتراب عن ذاته القديمة. خرج إلى هنا بحثاً عن شيء، فوجد شيئاً آخر. تراءى الأمر كما لو أنه خطا داخل غرفة ملأى بأشخاص مألوفين فقط حتى يدرك بعد فوات الأوان أنه لا يعرف أيًا منهم. ابتعدت بجسدها عنه، وأمسكت يده. «هل ستأتي معي يا دانكن؟»

قال: «أينما تقوديني».

قادته عبر القناة إلى الظلام عند قاعدة النجد، ومكان أمانه.

مكتبة

الخاتمة

لا رائحة ننته مريرة لجنازة أو تقطيراً للمؤدّب.
لا قرعاً لناقوس موت أو طقسٍ مهيب
لتحرير الذهن
من الظلال الجشعة.

هو القديس الأحمق،
الغريب الذهبي، العائش إلى الأبد
على حافة الفكر.

دع حرسك يسقطون، وها هو هناك!
سلامه القرمزي وشحوبه المهيمن
اقتحم عالماً فوق شبكات نبوية
إلى حدود نظرة هادئة - هناك!
خارجاً من غابات نجمية صاخبة:
غامضٌ، قاتلٌ، نبوءةٌ بلا عينين،
أداة النبوة، صوته لا يموت!

الشّي هولود ينتظرك على صراط
حيث يسير الأزواج ويصلحون،
وجهاً لوجه، ضجر الحب اللذيذ.

يسير عبر كهف الزمن الطويل،
ناثراً الذات الحمقاء لحلمه.

(ترنيمة الغولة)

«معلم من معالم أدب الخيال العلمي الحديث».

- شيكاغو تريبيون

«كثيب الآن قد تكون أهمّ بكثير ممّا كانت حين نُشرت أوّل مرّة».

- ذا نيويورك

رائعة فرانك هربرت الكلاسيكية: انتصارٌ للخيال، وواحدة من أكثر روايات الخيال العلمي مبيعًا في التاريخ.

بعد اثنتي عشرة سنة من انتصاره على آل هاركونن، يحكم پول آترديز بصفته إمبراطور كوكب الصحراء أراكس لكن نصره كان له عواقب وخيمة. أعلنت الحرب على الكون المعروف بكامله، وهلك المليارات بالفعل. رغم أنه أصبح أقوى إمبراطور عرفه التاريخ، كان پول عاجزًا عن وضع نهاية للقتال.

في حين يتأمر حلفاء سابقون للإطاحة بهول من العرش، وحتى زوجته الأميرة إيرولان تعمل ضده، يقبل پول هدية من التليلاكسو، جماعة من المتلاعبين بالجينات، أملًا أن يجد شرارة سلام وصدقة وسط الخيانة والفوضى. لكن قبوله تلك الهدية سيقطع الدعم الذي يتلقاه هول من شعبه الفرمن. الفرمن المصدر الحقيقي لقوة هول. خسارته لهم الشيء الوحيد الذي قد يقضي حقًا على إمبراطوريته.

بينما تتصاعد الأحداث، سيُجبر هول على الاختيار بين عرشه، وزوجته، وشعبه، ومستقبله، وبالتبعية مستقبل الكون برمته.

«متفردة في عمق شخصياتها الروائية وفي تفاصيل العالم الاستثنائي الذي خلقته.

لا أعرف عملاً يمكن مقارنته بها غير سيدّ الخواتم».

- آرثر كلارك

«قويّة، ومقنعة، وعبقريّة تمامًا».

- روبرت هاينلاين

«ظاهرة مذهلة في أدب الخيال العلمي».

- واشنطن بوست



9 789921 768660

kalemat
www.kalemat.com

